وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الآدب واللغة العربية

لغة الخطاب التربوي في صحيح البخاري
بين التبليغ والتداول

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم
تخصص: علوم اللسان العربي

إعداد الطالبة :
حورية رزقي

إشراف الأستاذ الدكتور
بشير إبرير

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
01	محمد خان	أستاذ	بسكرة	رئيسا
02	بشير ابرير	أستاذ	عنابة	مشرفاومقررا
03	عمار شلواي	أستاذ	بسكرة	عضوا مناقشا
04	عمار ربيح	أستاذ محاضر"أ"	بسكرة	عضوا مناقشا
05	رشيد شعلال	أستاذ	قالمة	عضوا مناقشا
06	خليفة صحراوي	أستاذ محاضر"أ"	عنابة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية
1435 - 1436هـ/ 2014 - 2015م

بسم الله الرحمن الرحيم

مـقـدمـــة

مقدمـة

تعدّدت قراءات الخطاب بمختلف أشكاله في الدرس النقدي المعاصر، فكانت مسيرة حافلة بنتائج هامة، أضاءت دروب الباحثين عن نسق مترابط الحلقات يوصلهم إلى استكناه دلالات الخطاب، فتهافت المحلّلون إلى ما جادت به القرائح من خطابات مختلفة؛ سياسية، وإشهارية، وأدبية، ودينية...، فاستلهموا نظريّات شتى متباينة الاتجاهات، وحللوا الخطاب وفقها.

وإذاك قادتني هذه المسيرة إلى رحابها الشاسع، فألفيت الخطاب التربوي بعيدا عن اهتمامات اللغويين إلا ما كان مقتصرا على النظم التربوية بنظرياتها وقوانينها حيث لاحظت أن الجانب التبليغي للخطاب يكاد ينحصر في الخطاب الديني فارتأيت أن أخوض هذا الغمار بحثا عن إيضاءات تميط اللثام عن خطاب آخر وبمنظور جديد، عساه أن يكون لبنة أخرى تضاف إلى ما سبق دعما للمنظومة اللغوية والأدبية.

فبدأت الخطوة الأولى في البحث عن تجليات البعد التربوي في الخطاب فآثرت دراسة لغة هذا الخطاب، لما تنطوي عليه من أبعاد ودلالات، وبقي الموضوع مفتوحا على عدَّة احتمالات، إلى أن اهتديت إلى مدوّنة (صحيح البخاري)، التي تعد أرضا خصبة للتبليغ والتداول، وأن أقيم دراستي على أصل راسخ، أجمعت الأمة على أنه أصح ما روى عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان نتاجها الأول عنوانها الموسوم بـ :

(لغة الخطاب التربوي في صحيح البخاري بين التبليغ والتداول)

وإثرها انبثقت منطلقاتها مستنطقة مفاتيحها؛ لأن أصالة اللغة، وحداثة المنهج يشكلان توأمة الروح والجسد، فهذا التعالق بينهما يهدي إلى قراءة الخطاب بآليات جديدة، وبإجراءات مستحدثة.

وقد لاقى الحديث النبوي ـ في مدونات شتّى ـ دراسات مختلفة المشارب ومتنوعة الرؤى، فمن بحث ديني تشريعي، إلى بحث لغوي بلاغي، أما فيما يتعلق بدرس لغة الخطاب التربوي فالأعمال نادرة منصبّة على الجانب العقدي للناس وذكر الوسائل التبليغية المعينة على نشر الدين الإسلامي، أو الجانب البلاغي متمثلا في تحليل مختلف أساليب المعاني والبيان، أو دراسات أسلوبية أودلالية أونحوية وغير ذلك،

ومهما أُلِّفت الأسفار، وسُوِّدت الصحف، وألقيت المحاضرات والدروس يظل الخطاب التربوي . كما يتبين . من الموضوعات التي قليلا ما نتطرق إليها في أدبياتنا، ولغوياتنا، رغم أهمية الموضوع في عصرنا الحديث.

وتكتسب الدراسة أهميتها في كون الخطاب التربوي النبوي بصفة عامة أنموذجا متميزا في شكله ومضمونه، وكونه يمثل منهجا فريدا على كل المستويات.

ولأن التربية هي الإنسان، وهي الحياة نفسها، ظلت تشغلني على مدى نبضات الحياة، أروم حقيقتها بين دفّات المصنفات، وما نادى به المصلحون من أقوال وتوجهات، و "إنّي لتطربني الخِلال كريمة" كما قال (حافظ إبراهيم).

ولأهمية الموضوع وأصالته كان إقبالي عليه لأسباب عديدة أذكر منها:

- منزلة اللغة النبوية في الخطاب التربوي، وعلو مكانتها، حيث كان الرسول . صلى الله عليه وسلم . أفصح من نطق بالضاد.
- قلة الدراسات في لغة الخطاب التربوي مقارنة بغيرها.
- محاولة استثمار بعض النظريات اللسانية الحديثة؛ كالتداولية، والتبليغ وتطبيقها على الحديث النبوي، تدعيما للدراسة التطبيقية.
- جعل (صحيح البخاري) مناط بحث لمصداقية مضمونه، ويبعث هذا على الاطمئنان، والثقة، ويؤول إلى نتائج مقبولة.

وعليه جاء مجال البحث محدودا بأحاديث منتقاة من (صحيح البخاري)، لكونه أصحّ الكتب الحديثية، مركّزة على القصيرة منها في أغلب الحالات.

ويسعى البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف، أهمها:

- توضيح أبرز سمات الخطاب التربوي في صحيح البخاري.
- بيان فاعلية التربية في حياة الناس.
- إبراز أهم الأساليب التبليغية اللفظية، وغير اللفظية في الخطاب التربوي.
- تتبع الأثر التداولي في الخطاب التربوي، وتوظيف آلياته اللسانية.
- بيان خصائص لغة الخطاب التربوي في صحيح البخاري ليكون قدوة للمبلِّغين.

- وغايتي تناول الخطاب التربوي من زاوية جديدة وبمنهج حديث النشأة، والنأي عن التحليلات الكلاسيكية التي دأب عليها كثير من الباحثين.

وعلى إثر ذلك طرحت تساؤلات نظرية دفعت إلى هذا المشروع:

- هل يمكن أن تحمل لغة الخطاب التربوي في صحيح البخاري الميزات اللغوية نفسها مثل ما هو موجود في الخطابات العادية، أم لها سمات تنفرد بها عن غيرها؟
- ما المعايير التي وضعها التداوليون للخطاب، والتي تفيدنا في تحليل الخطاب وفقها؟
- هل التبليغ اصطلاح خاص بالخطاب التربوي النبوي، وعلى أي أساس يكون ذلك؟
- ما الآليات التداولية التي تعتمد أكثر لإبراز كنه الخطاب في صحيح البخاري؟
- كيف يُستثمر الخطاب التربوي النبوي منهج حياة تتعدى فواصل الزمان والمكان، وترتقي بالمتعلِّم إلى معالي الأمور؟

كل هذه الأسئلة وغيرها تقودني إلى بيان تطلعاتي من خلال هذا العمل، وتفرض عليَّ أن أقف عند أبرز ملامحها، في هيكل أطَّرته بمقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة ضمنتها أهم النتائج، ونظامه كالآتي:

. الفصل الأول: الإطار النظري: مصطلحات ومفاهيم.

ويرتكز على خمسة مباحث:

. المبحث الأول: خصصته لمفهوم الخطاب، لغة واصطلاحا، وموقعه في الدرس النقدي، ثم أنواعه.

. المبحث الثاني: الخطاب التربوي، مفهومه وخصائصه.

. المبحث الثالث: سلطت فيه الضوء على التبليغ؛ مفهومه، وأبعاده التربوية في القرآن الكريم ، وفي السنة النبوية، وفي اللسانيات.

. المبحث الرابع: أدرجت التداولية بمفهومها التداولي، والتربوي.

. المبحث الخامس: عرفت مدوَّنة البحث "صحيح البخاري"، وسبب اختياري لها.

الفصل الثاني: وسائل التبليغ في الخطاب التربوي في صحيح البخاري.

وقد تناولت هذه الوسائل بشقيها اللفظي وغير اللفظي في مبحثين:

. المبحث الأول: التبليغ اللفظي، وتضمن ثلاثة مطالب؛ التكرار، والحوار وضرب المثل، ورأيت من خلال النماذج المطبّق عليها هذه الوسائل، الأثر الفعّال في إنجاح تبليغ الخطاب التربوي.

. المبحث الثاني: التبليغ غير اللفظي: ومؤداه تبليغ رسائل إلى المتلقي من دون كلمات، وله أساليب كثيرة، اخترت منها: ملامح الوجه، وهيئة الرأس، ونظرات العين، وحركة اليد والأصابع، وهيئة المشي، والتعبير بالرسم.

كل هذه الوسائل أدّت دورها في التبليغ فاقت فيه . أحيانا . التبليغ اللفظي، لما لها من تأثير قوي في توضيح الصورة، وتقريب المعنى إلى أذهان ونفوس المتلقين.

الفصل الثالث: الأثر التداولي في لغة الخطاب التربوي.

استعنت بآليات تبنتها اللسانيات التداولية في إجراءاتها النصية؛ وضمنتها خمسة مباحث:

. المبحث الأول: المعينات، أو الإشارات، واختصرتها في خمسة مطالب؛ الضمائر وأسماء الإشارة، وأسماء الموصول، أسماء الزمان والمكان، وهي ألفاظ تحمل معنى الإشارة، دون أن تدلّ على مُعَيَّنٍ، وتحيل إلى حالة الخطاب الذي ترد فيه، ويتحدد معناها في إطار المقام.

. المبحث الثاني: متضمنات القول، ويمثل الجانب الضمني للخطاب، ويستلزم معرفة القواعد التي يخضع لها الكلام، ويندرج ضمنه مطلبان أساسيان، هما: الافتراض المسبق، والقول المضمر.

وفي الإضمار والتضمين مقاصد تربوية ينتهجها كثير من المربين لتحقيق الغاية من التبليغ.

المبحث الثالث: الاستلزام الحواري، ويعدّ من أهم جوانب الدرس التداولي، وقد قنَّن أسسه الفيلسوف الأمريكي (Paul Grice بول غرايس)، في (مبدأ التعاون) الذي يكفل نجاح الخطاب بين المتحاورين، ومؤداه أن يتعاون كل من المرسل والمرسل إليه على تحقيق الهدف المرسوم من الكلام، ولا يستوجب فهم ما يقال وإنما فهم ما يقصد قوله.

وكان لهذا الجانب في الخطاب التربوي الأثر الواضح لفهم مسائل عديدة وهامة.

المبحث الرابع: الحجاج، انبثقت هذه النظرية من الأفعال الكلامية، وهدفها تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتائج معينة، كما أن الحجاج تقنية خطابية تساعد على فهم مقصدية التبليغ للتأثير في المتلقين، باستخدام الدلائل العقلية والمنطقية استنادا إلى خاصية الإقناع التي يتميز بها، والتداولية أقدر على تحقيق ذلك أثناء وضعيات التلفظ.

ومن الوسائل اللغوية التي جسدت ذلك: التأكيد بنوعيه اللفظي والمعنوي والتكرار أما الوسائل المنطقية فأساسها القياس المنطقي؛ بعد المقدمات تأتي النتائج، والهدف منه الوصول إلى معرفة جديدة، وقد رأينا حضور هذه النظرية في الخطاب التربوي.

المبحث الخامس: الأفعال الكلامية، نشأت في ظل فلسفة اللغة على يد فلاسفة التخاطب، في مقدمتهم (John Austin جون أوستين)، وتكمن أهمية هذه النظرية في دراسة اللغة في بعدها الاستعمالي، باعتبارها قوة فاعلة في الواقع ومؤثرة فيه وقد عدّ الفعل الكلامي الوحدة اللغوية الصغرى للتبليغ، وترتكز على القوة الإنجازية في أداء أفعال الكلام فبمجرد التلفظ بالقول ننجز عملا.

ووقفت على أثرها التداولي في الخطاب التربوي، وقد حددت نوعية الفعل المؤدي إلى القوة الإنجازية في جانبه العملي من خلال نماذج رأيتها مناسبة لذلك وكانت كالآتي:

الفعل التداولي الأخلاقي، والفكري، والنفس . وجداني، والقيادي، والسلوكي وكل فعل منها يحقق الوظيفة المنوطة به.

الفصل الرابع: خصائص لغة الخطاب التربوي في صحيح البخاري، وتضمن:

. الوقوف على المفردة اللغوية في تجلياتها التربوية، حيث تعكس دقة اختيار اللفظة للمعنى المناسب، فكان التركيز على الصيغة اللغوية، في إيجازها ومجازها ووضوح عبارتها، وقوة فاعليتها في الإقناع.

. مراعاة أحوال المخاطبين في أبعادها اللغوية؛ ودعامتها: سهولة المنطق ووضوح المقصد وفق تنوعهم حسب السّن، والجنس، والنّفس، والمعتقد، والمنزلة.

. مراعاة الجانب السلوكي للمتلقين في بعده التربوي، وفلسفته في كيفية التواصل مع الحياة، لتحقيق التوازن في كل الأمور.

الخاتمة: ضمنتها نتائج الدراسة.

وقد تساوق المنهج الوصفي، والمنهج التداولي في نمنمة فسيفساء هذه الدراسة لمساءلة النص الخطابي، بحثا عن أسراره الكامنة في درر أحاديث التربية والتعليم في صحيح البخاري.

وتنوعت مصادر ومراجع الدراسة، من كتب تراثية، وحداثية؛ عربية وغربية ارتكزت فيها على مدونة البحث (صحيح البخاري)، وعلى أهم شروحاته، مثل: عمدة القارئ شرح صحيح البخاري (بدر الدين العيني)، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري (ابن حجر العسقلاني)، وشرح صحيح البخاري (ابن بطال)، كما استأنست ببعض الدراسات السابقة التي اهتمت بالحديث النبوي الشريف، كذلك استعنت بآراء وأفكار بعض الدراسات المنشورة في المواقع الالكترونية.

تهون كل المشقّات والصعوبات في سبيل إنجاز عمل خالص النية، هدفه الخير والنفع، فلم تعترض البحث ندرة المصادر ولا قلّة المراجع، فهذا أمر مقدور عليه ولكن المعضلة التي ساءلت نفسي عنها:

كيف أحلل لغة خطاب صادر عن أعظم مبلِّغ وخير معلم، دلَّت لغته على عظمته وبيّنت دلائل نبوَّته، وعبرت أدقّ تعبير عن سمو نفسه، وقد تبارى في هذا الميدان أفذاذ العلماء، وأساطين البلغاء في وصف فصاحته التي سار بها الرُّكبان على مدار الكون، فجعلته متربّعا على عرش الأساليب البشرية جمعاء.**(صلى الله عليه وسلم)**.

والفضل والمنّة لله. عز وجل. من قبل ومن بعد.

وختاما كلمة لأصحاب الفضل: أستاذي الدكتور **بشير إبرير** الذي أمدني بنصائحه وكنفني بعلمه، ووجهني بثاقب بصيرته، لأنجز هذا العمل تحت إشرافه طيلة هذه المدة، فشكرا على صبره، وسعة صدره، وسمو أخلاقه.

شكرا لمن سدَّد لي بعض النصائح أضاءت جزءا من عتمات هذا الطريق.

شكرا لأساتذتي في قسم الآداب واللغة العربية.

والله المستعان.

الفصل الأول

الإطار النظري: مصطلحات ومفاهيم

الفصل الأول:

الإطار النظري: مصطلحات ومفاهيم

أولا: الخطاب: مفهومه وأنواعه

أ . المفهوم اللغوي للخطاب.

ب . المفهوم الاصطلاحي للخطاب.

ج . أنواع الخطاب.

ثانيا: الخطاب التربوي: مفهومه وخصائصه

أ . مفهوم الخطاب التربوي.

ب . خصائصه.

ثالثا: مفهوم التبليغ: لغة واصطلاحا.

أ . التبليغ لغة.

ب . التبليغ اصطلاحا.

ج . أبعاد التبليغ التربوية:

أ . في القرآن.

ب . في السنة.

ج . في اللسانيات.

رابعا: التداولية: مفهومها وخصائصها

أ . مفهوم التداولية.

ب . خصائصها.

خامسا: التعريف بالمدونة وسبب اختيارها

ندرج تحديد بعض المفاهيم التي هي مناط البحث، فلا يستخدم المفهوم إلا في نطاق الوضع الإجرائي تجنبا لتداخل المفاهيم في حقول معرفية أخرى، وعليه سنحاول توضيح ذلك حسب العناصر الآتية:

أولا: الخطاب: مفهومه وأنواعه

تباينت الدراسات حول مفهوم الخطاب وتشعبت الآراء في تحديد كنهه، وصار من الصعب تمييز مفهوم عن آخر، مما جعل القارئ يتيه وسط كمية هائلة من النظريات والأفكار الفلسفية والاجتماعية والأدبية وغيرها، "وقد حوته العديد من الحقول النظرية والنقدية وعلم النفس واللسانيات والفلسفة وحقول أخرى، وجعلته ركنا رئيسا ضمن مقرراتها، واتخذته عناوين لفروع علمية مختلفة، وقد استعمل الخطاب بصورة واسعة في تحليل النصوص الأدبية والنصوص غير الأدبية، وتؤكد الدراسات أن مفهوم (الخطاب) . وهو مصطلح حديث . غير متفق عليه لتعدد الموضوعات التي يطرحها"[1]، ولذلك علينا توضيح مفهوم الخطاب في الدراسات اللغوية والنقدية.

أ . المفهوم اللغوي للخطاب

في رحاب اللغة ووقوفا عند لسانها العربي نجد مادة (خ.ط.ب) هو"الخِطابُ والمُخاطَبَةُ مُراجَعَةُ الكَلامِ وقد خاطَبَه بالكَلامِ مُخاطَبَةً وخِطاباً وهُما يَتخَاطَبانِ،... قال اللَّيْث: إنَّ الخُطْبَةَ مَصْدر الخَطيب، لا يَجُوزُ إلاّ على وَجْهٍ واحدٍ، وهو أنَّ الخُطْبَةَ اسمٌ للْكَلامِ، الذي يَتكلَّمُ به الخَطِيبُ، فيُوضَعُ مَوْضِعَ المَصْدرِ،... وفي التهذيب: الخُطْبَة مِثْلُ الرِّسالةِ الَّتي لها أوَّلٌ وآخِرٌ"[2]، لم يغفل (ابن منظور) عن خاصية التفاعل في إنتاج الخطاب، فهو مرادف للكلام ومؤداه المشاركة بين متكلم وسامع.

والمخاطبة هي: صيغة مبالغة تفيد الاشتراك والمشاركة في فعل ذي شأن.

---

[1] . فوزي نورية صالح، الخطاب المسرحي في النقد الأدبي في الخليج العربي، مجلة فصول، مج 16، عدد 3، 1997م، ص189.

[2] . ابن منظور، لسان العرب، المجلد الأول، مادة (خطب)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 2، 1997م، ص 361.

ويتمثل لنا المعنى اللغوي لكلمة (خ.ط.ب) اقتصاره على ما هو منطوق أثناء التحاور أما في حالة الكتابة فيقتصر على معنى الرسالة، كما تشير دلالة (خطاب) إلى عملية التواصل، فيحيل كل إجراء خطابي على عناصر تواصلية عديدة تتمثل في المخاطبين وسياق الخطاب، ومقاصده. ونقف على معنى الخطاب في كتاب الكليات أنه "الكلام الذي يقصد به الإفهام، إفهام من هو أهل للفهم، والكلام الذي لا يقصد به إفهام المستمع، فإنه لا يسمى خطابا"[1].

نرى أن الخطاب في اللغة العربية يكون بين اثنين قصد تأثير الأول في الآخر، كما هو نشاط تواصلي يتم بين متكلم ومخاطَب، لذلك حدد (الكفوي) عناصر الخطاب وذكر شروطا لازمة لكل عنصر من عناصره؛ فلابد من توفر نية الإفهام لدى المخاطِب لإيصال الرسالة، والخطاب يجب أن يكون مما تواضع الناس عليه، أما المخاطَب فيكون مستعدا لفهم الرسالة، ومستجيبا لها.

ومن جهة أخرى فما ذكر من مرادفات أجنبية لمصطلح (خطاب) أخذت من أصل لاتيني، وهو الاسم(Discursus) المشتق من الفعل(Discurrere) الذي يعني "الجري هنا أوهناك" أو "الجري ذهاباً وإياباً" وهو فعل يتضمن معنى التدافع الذي يقترن بالتلفظ العفوي، وإرسال الكلام، والمحادثة الحرة، والارتجال[2].

يتضح لنا أن الخطاب سواء في اللغة العربية أو الأجنبية قوامه القول بين طرفين؛ أحدهما مُخاطِب، وثانيهما مُخاطَب، "وقد يتحاوران في شكل حديث حر، فيقال حينئذٍ: إنهما يتخاطبان، فيفهم أحدهما الآخر عن طريق البيِّنة وفصل الخطاب*"[3].

وعليه تدل الجذور اللغوية للفظة (خطاب) على الكلام بهدف الإبانة والإفهام.

ب . المفهوم الاصطلاحي للخطاب

---

[1]. الكفوي، الكليات، معجم المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة بيروت، ط1، 1992م، ص419.

[2]. انظر: جابر عصفور، آفاق العصر، مهرجان القراءة للجميع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1997م ص64.

[*] . فصل الخطاب: الحكم بالبينة،...أو هو خطاب لا يكون فيه اختصار مخل، ولا إسهاب ممل، انظر:"المعجم الوسيط، ص 243".

[3] . عبد الرحمن حجازي، مفهوم الخطاب في النظرية النقدية المعاصرة، مجلة علامات في النقد، جدة: النادي الأدبي الثقافي، رجب 1426هـ، مجلد 15، الجزء 57، ص124.

إن مدلول مصطلح (خطاب) في الثقافة العربية ليس بالأمر السهل، حيث يتبين من خلال استقراء ومطالعة بعض التأويلات والتفاسير أن علماء الأصول كان لهم فضل السبق في منح كلمة (خطاب) وضعها الاصطلاحي، فمنهم من يرى أن الخِطاب "اسم مشترك قد يطلق على الألفاظ الدالة على ما في النفس، تقول: سمعت كلام فلان وفصاحته، وقد يطلق على مدلول العبارات، وهي المعاني التي في النفس"[1]، وعرفه آخر: "اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهيْ لفهمه"[2]، فيتطلب لكل خطاب وجود متكلم ومستمع تجمعهما علاقة تفاعل، فالمبلغ حريص على الإفهام والمتلقي يشترط فيه الانتباه والاستعداد لتلقي الخطاب، والخطاب هو الكلام الذي يقصد به الإفهام، وعلى هذا دأب المفسرون القدماء والمحدثون للآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ "الخطاب"، ورأوا أن الخطاب في المفهوم القرآني يحيل على الكلام، وهو المفهوم نفسه الذي ورد في المعاجم العربية، لأنها استمدت دلالة اللفظة من القرآن الكريم وفق السياق الذي وردت فيه.

والخطاب هو الكلام المؤثر المقنع الذي (تَمكّن) عن طريقه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مجادلة الكفار، وكما هو واضح أن أكثر الخطابات إقناعا وتعبيرا عن الحقيقة وتأثيرا في الناس هو الخطاب القرآني، بوصفه كلاما لفظيا متعاليا.

وتعدد في القرآن الكريم لفظ (خطب) فورد بصيغة (خطاب) ثلاث مرات، في قوله تعالى:

﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ وَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾[3]، ومعناه في تفسير الرازي: "جاءني بحجاج لم أقدر أن أورد عليه ما أورده به"[4]، وفي قوله تعالى:

---

[1] . الغزالي، المستصفى من علم الأصول، تحقيق: حمزة بن زهير حافظ، شركة المدينة المنورة للطباعة، (دط)، (دت). ص 64.

[2] . الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تعليق: عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 2003م، ص 18.

[3] . سورة ص، الآية 23.

[4] . الرازي، المحصول في علم أصول الفقه، تحقيق: طه جابر العلواني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1992م، ج1، ص 409.

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾[1]، وقيل أنه يجوز أن يراد بمعنى فصل الخطاب في الآية: " البيّن من الكلام الملخّص الذي يتبيَّنه من يخاطب به لا يلتبس عليه،... ويجوز أن يراد الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل، ولا إشباع ممل"[2]، وفُسِّر (فصل الخطاب): "الفقه في القضاء عند حال جوهر النفس النطقية التي لداود بقوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ أردف ببيان كمال حاله في النطق واللفظ والعبارة، فقال: (فصل الخطاب)؛ لأن فصل الخطاب عبارة عن كونه قادرا على التعبير عن كل ما يخطر بالبال؛ ويحضر في الخيال، بحيث لا يختلط شيء بشيء، وبحيث ينفصل كل مقام عن مقام، وهذا معنى عام يتناول جميع الأقسام"[3].

فورود الخطاب مقترنا بالحكمة في الآيات الكريمة فيه مدعاة للتأمل والبحث عن الدلالات العميقة للفظ (خطاب) حيث ينأى عن مفهومه اللغوي إلى مفهوم حِكمي لا يخفى عن ذوي الألباب النيرة.

كما ورد بصيغة "خطابا" في قوله:

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنُ لاَ يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً﴾[4]، وفسروا قوله تعالى: "لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا" بمعنى لا يقدر أحد من خلقه خطابه يوم القيامة إلا من أذن له منهم"[5].

وجاء بصيغة الفعل في الآيات الآتية:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰماً﴾.[6]

---

[1]. سورة ص، الآية 20.

[2]. الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2009م، ص 921.

[3]. الرازي، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط1، 1999م، ج26، ص 188.

[4]. سورة النبأ، الآية: 37.

[5]. الطبري، مختصر تفسير الطبري، أبو يحيى التجيبي، مراجعة: مروان سوار، دار الفجر الإسلامي، دمشق، ط6، 1998م، ص 583.

[6]. سورة الفرقان، الآية: 63.

وقال: ﴿وَلاَ تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾[1].

وقال: ﴿وَلاَ تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾[2].

ويَشترك المفهوم اللغوي والقرآني، في تبيان الدلالة السامية للخطاب، باعتبار أن (فصل الخطاب) لا يتم على الوجه الأفضل، إلاَّ إذا اقترن بالحكمة، وكان القصد منه إظهار الحقيقة كاملة.

وقد أفاض علماء الأصول في الحديث عن مفهوم الخطاب وحدوده، ومنهم من ذهب إلى تعريف (الخطاب) بحسب أصول اللغة على أنه "توجيه الكلام نحو الغير للإفهام" [3]، مميزا بين الكلام عامة والخطاب بوصفه نوعا من الكلام؛ حيث أشار إلى أن الكلام يطلق على العبارة الدالة بالوضع على مدلولها القائم بالنفس، فهو دلل على الأصول الشفهية للمصطلح محاولا إخراج لفظ الخطاب من كل ما يعتمد على الحركة والإيحاء والإشارة كوسائل للإفهام، كما أخرج أيضا المهمل من الكلام، وكل كلام لا يقصد به في الأصل إفهام السامع. فالخطاب "إما كلام لفظي أو كلام نفسي موجه نحو الغير للإفهام"[4].

وإذا سلّمنا بأن مدار الخطاب هو التواصل، فإن الوسيلة الوحيدة التي تحققه هي اللغة الإنسانية، لذا لا يمكن اعتبار أشكال التواصل الأخرى خطابات، لأن الشرط اللغوي غير متحقق فيها، فلا يتصور قيام علاقة من هذا القبيل اعتمادا على الوسائل السيميائية الأخرى؛ من إشارات ورموز وعلامات... ، أي أن كل خطاب هو حدث لغوي قبل كل شيء، لذلك مزج الأصوليون بين الخطاب والكلام واعتبروهما يدلان على مقصود واحد، ومنهم من عمد في بحثه عن تعريف جامع ودقيق إلى استبعاد كل الرموز الدالة الأخرى التي يغيب عنها التحقق الصوتي، كالحركات والإشارات والألفاظ التي لا يتوفر فيها

---

[1]. سورة هود، الآية: 37.

[2]. سورة المؤمنون، الآية: 27.

[3]. التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق: لطفي عبد البديع، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1972م، ج2، ص175 .

[4] . جليل وادي حمود، الخطاب الإعلامي وإدارة الأزمة السياسية (1991 – 1998)، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الإعلام، 2000 م، ص 38.

الشرط الدلالي كالألفاظ المهملة والكلام الصادر ممن لا يفهم كالنائم والمغمى عليه، ليخلص إلى تعريف قد سبق ذكره[1].

ويتجلى الفرق بين ما يقدمه المرسل وهو الخطاب، وما يؤوله المتلقي، ويفهمه.

ودخل مصطلح (خطاب) الدراسات النقدية الحديثة، وأصبح أكثر تداولا لدى النقاد المعاصرين العرب، نتيجة احتكاكهم بالتيارات النقدية العالمية، وتبنوا دلالاته في مؤلفاتهم مثلما نظَّر لها الغربيون، ومن المفاهيم الصريحة للخطاب يعرفه (إميل بنفنست Émile Benveniste):

(Toute énonciation supposant un locuteur et un auditeur, et chez le premier l'intention d'influencer l'autre en quelque manière).

"كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا، بحيث يحاول المتكلم التأثير على المستمع بطريقة ما"[2]، يركز بنفنست على الوظيفة التواصلية للغة، فلا ننظر لها على أنها منظومة من الرموز تخضع لنظام معين قابل للوصف والدراسة، وإنما أصبحت خطابا يتشكل بمجرد حدوث تواصل بين متكلم وسامع.

وفي المفهوم نفسه يصرح (جون ميشال آدام J.Michel Adam): "بأننا حين نتكلم فنحن نسعى من جهة إلى حمل المخاطَب على أن يقاسمنا آراءنا أو التمثيلات المتعلقة بموضوع معين، ونسعى من جهة أخرى إلى حمل الآخرين على الاقتداء بأكبر عدد ممكن من آرائنا"[3].

ويرى (باختين Mikhaïl Bakhtine) أن الخطاب يعني اللغة المجسدة ذات الشمول والاكتمال وهو يرتبط بالكلمة المنطوقة التي تقوم على أساس العلاقات الحوارية داخل اللغة، أو خارجها من زاوية حوارية، ويرى أن هذه العلاقات الحوارية قائمة في مجال الكلمة لأن الكلمة ذات طبيعة حوارية بالضرورة"[4].

---

[1] . الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 2003م ، ص 17.

2 - Émile Benveniste, Problèmes de linguistique générale,Editions Gallimard, Paris, 1966 ,p242

3 - J.M.Adam ,Les textes : types et prototypes, Paris, Nathan,1997 p 103.

[4] . ميخائيل باختين، شعرية ديستويفسكي، ترجمة: نصيف التكريتي، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1986م ص 267.

ويحدد (فوكو Michel Foucault) الخطاب بقوله: "هو مصطلح لساني يتميز عن النص والكلام والكتابة وغيرها، ويشمل كل إنتاج ذهني، سواء أكان نثرا أم شعرا منطوقا أم مكتوبا، فرديا أم جماعيا، ذاتيا أم مؤسسيا، وللخطاب منطق داخلي وارتباطات مؤسسية، فهو ليس ناتجا بالضرورة عن ذات فردية يعبر عنها، أو يحمل معناها أو يميل إليها، بل قد يكون خطاب مؤسسة أو فترة زمنية أو فرع معرفي ما"[1].

وفي منظور (أوليفيي روبول Olivier Reboul) "يتخذ اصطلاح (خطاب) في معجم (دوبوا Jean Dubois) للسانيات أربع دلالات؛ حيث يأتي مرادفا للكلام الذي هو اللغة المستعملة من طرف الذات المتحدثة، أو مرادفا للملفوظ باعتباره وحدة مساوية للجملة أوتفوقها ولها بداية وانغلاق، أو مرادفا للجنس في البلاغة التي تميز بين الخطاب الاستشاري والاحتفالي والقضائي، والخطاب أخيرا في تصور اللسانيات الحديثة هو قواعد تسلسل متواليات الجمل"[2].

ومن النقاد العرب من يعرِّف الخطاب أنه: "الكلام أو المقال، وعده كيانا أفرزته علاقات معينة بموجبها التأمت أجزاؤه، وقد تولد عن ذلك تيار يعرف الملفوظ الأدبي بكونه جهازا خاصا من القيم طالما أنه محيط ألسني مستقل بذاته"[3].

ومنهم من يصف الخطاب بأنه: "مجموعة دالة من أشكال الأداء اللفظي تنتجها مجموعة من العلاقات أو يصف بأنه مساق العلاقات المتعينة التي تستخدم لتحقيق أغراض معينة"[4].

وعند (سعيد يقطين) الخطاب هو: "الطريقة التي تقدم بها المادة الحكائية في الرواية وقد تكون المادة الحكائية واحدة، لكن ما يتغير هو الخطاب في محاولته كتابتها

---

[1] . ميشال فوكو، نظام الخطاب، ترجمة: محمد سبيلا، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1 2007م، هامش ص8.

[2] . أوليفيي روبول، لغة التربية تحليل الخطاب البيداغوجي، ترجمة: عمر أوكان، أفريقيا الشرق، المغرب، ط1 2002م، ص 47.

[3] . عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط1، 1997م، ص 110.

[4] . جابر عصفور، عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو، دار الآفاق العربية، بغداد، ط1، 1985م ص 269.

ونظمها"[1].

والخطاب عند (محمد مفتاح) حدث بمعنى أنه مرتبط بزمان ومكان محدد وقع فيه وهو على خلاف الحدث التاريخي لا يمكن أن يعاد، ويتميز الخطاب بالانغلاق؛ أي له بداية ونهاية رغم تداوليته، بمعنى أنه وليد أحداث تاريخية واجتماعية ولغوية، وتتوالد منه أحداث أخرى، وما يتميز به الخطاب عما هو ليس بخطاب كون الخطاب يختص بالاتساق والانسجام، والذي يعطيه هذه الصبغة، هو متكلم اللغة المتخصّص، فبإمكانه عند تلقي مقطع لغوي أن يحكم عليه بأمرين: إما يعتبره وحدة كاملة، فهو خطاب، وإما هو مجرّد جمل غير مترابطة مما يعني أنه ليس خطابا، فوجود وسائل الاتساق أو غيابها تحدد خطابية المقطع من عدميته[2].

وأماعند (الحميري) فالخطاب هو نسق التفكير في الأشياء، ونسق التعبير عنها أو هو عبارة عن النسق الذهني المجرد للكلام الذي نتكلمه بالقوة أو بالفعل، إنه نظام التكلم (التفاعل)، ومنطقه الذي علينا أن نلتزمه في كل موقف تواصلي على حدة،هو الشكل المجرد لكلام المتكلم في جانب ما من جوانب المعرفة، أو في مجال ما من مجالات الحياة، والنص هو الشكل الممثل للخطاب[3].

وحسب رأي (المتوكل):"يعد الخطاب كل ملفوظ/مكتوب يشكل وحدة تواصلية قائمة الذات"... ويفاد من التعريف ثلاثة أمور:

أولا: تحييد الثنائية التقابلية جملة/خطاب حيث أصبح الخطاب شاملا للجملة.

ثانيا: اعتماد التواصلية معيارا للخطابية.

ثالثا: إقصاء معيار الحجم من تحديد الخطاب، حيث أصبح من الممكن أن يعد خطابا نص كامل أو جملة أو مركب..."[4]

---

[1] . سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1989م، ص7.

[2] . انظر: نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث، تحليل الخطاب الشعري والسردي ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1997م، ص:96.

[3] . انظر: عبد الواسع الحميري، الخطاب والنص "المفهوم والعلاقة والسلطة"، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط1، 2008م، ص 36.

[4] . أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، الدار العربية للعلوم ناشرون، الرباط، المغرب، ط1، 2010م، ص 24.

وما سبق من آراء حول مفهوم الخطاب يقودنا إلى أن الخطاب هو: "الصيغة التي نختارها لتوصيل أفكارنا إلى الآخرين، والصيغة التي نتلقى بها أفكارهم ... إن الخطاب يتجاوز هذا المفهوم الضيق، ليدل على ما يصدر من كلام، أو إشارة، أو إبداع فني"[1].

ويرى الدارسون أن ثمَّة أسبابا تدفعنا لإنتاج الخطاب تتمثل في رغبة التعبير عن أنفسنا وذواتنا، ورغبة في التحاور والتلاقي ضمن محور واحد، فمن خلال التخاطب يتم التلاقي أو النفور، ويقودنا التحاور إلى اكتشاف المجهول والحقيقة"[2].

وأصبح مصطلح (الخطاب) في الثقافتين العربية والغربية، وفي الدراسات الحديثة يدل على حركية التواصل، ويمثل الوحدة التي تساوي أو تفوق الجملة.

ويرى البعض "أن الكم الغزير من الدراسات... لم يؤد إلى صبغ المفهوم بلون ثابت واضح يميزه عن غيره من المفاهيم، بل على العكس من ذلك تماما فقد جعلت تلك الدراسات مفهوم الخطاب كالحرباء، يتلون بلون الخلفية التي يقف أمامها، إذ فرض كل حقل معرفي عند استخدامه للمفهوم مسلماته ومقولاته وإشكالاته عليه، بحيث صار المفهوم يتسم بالنسبية والاختلاف الشديدين. فبينما يضيّق البعض مفهوم الخطاب ليقتصر على مجرد أساليب الكلام والمحادثة، يوسعه البعض الآخر ليجعله مرادفا للنظام الاجتماعي برمَّته حيث يصير كل شيء خطابا"[3]

وإثر ذلك فالخطاب في معناه البسيط ما حواه القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وما جاء في المعاجم اللغوية العربية القديمة، أما الخطاب الحداثي فأخذ حمولة ما يضاف إليه؛ إذا قلنا خطابا سياسيا فيحمل أيديولوجية وتوجُّهات معينة، كما يحمل الخطاب الفلسفي منهاجا معينا في التفكير والتصور والمضمون، وهكذا...

---

[1] . سمير شريف استيتية، اللغة وسيكولوجية الخطاب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2002م، ص 15

[2] . عيسى عودة برهومة، تمثلات اللغة في الخطاب السياسي، مجلة عالم الفكر، عدد1، مج 36، 2007م، ص 123.

[3] . محمد صفار: تحليل الخطاب وإشكالية نقل المفاهيم، رؤية مقترحة، مجلة النهضة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، القاهرة،مج6، ع4، 2005م، ص110.

وبهذا المفهوم لا يمكن عدّ الخطاب أسلوب تبليغ وتوجيه، وإنما هو معبر عن أفكار ومذاهب حسب توجهات أصحابها.

ومثلما رأينا تعدد مفهوم الخطاب، تتعدد أيضا أنواعه وأشكاله، وطرق تحليله.

ج . تحليل الخطاب

يعد (زيليغ هاريس Zellig Harris) أول من استخدم التحليل النصي الشامل من خلال دراسته لتحليل الخطاب عام 1952م، وقدّم في بحثه تحليلا منهجيا لنصوص بعينها، يقوم على التحليل البنيوي، مستعينا في ذلك بتقنيات التجزئة والاستبدال الخاصة به، وتوقف عند التحليل الظاهري للخطاب[1]، وبمرور الزمن أخذت عبارة مصطلح (تحليل الخطاب) في النمو والتطور، وينظر إليها على "أنها غاية في حد ذاتها، مكتفية بذاتها، مستغنية عن غيرها، فالتحليل يتركز على العلاقات القائمة بين العبارات، ومدى الترابط الموجود بينها، وصولا إلى تحديد نظام الخطاب ككل، فيكون الهدف من تحليل الخطاب إبراز فرادته، ومدى إحكام نسيجه الذي يعتمد على علاقة الترابط والنظام الداخلي"[2].

وفي مقالة (هاريس) ~~(تحليل الخطاب)~~، لم يخرج عن إطار المدرسة البنيوية البلومفيلدية، لأن هدفه كان منصبا على صياغة أسلوب شكلي من أجل تحليل الاتصال المنطوق والمكتوب.

أما "...منهج تحليل الخطاب عند فوكو، لايحلل نظام اللغة أو المضامين أو الدلالات، كما لايهتم بصدق الخطابات أو معقوليتها، وإنما ينصب التحليل على المنطوقات كأحداث وعلى قوانين وجودها، وعلى ما يجعلها ممكنة أو غير ممكنة"[3].

فكان عمل (فوكو) فلسفيا بالدرجة الأولى، يبحث في قوانين تكوين مفهوم الخطاب وتحويله وتلقيه، فكشف عن سلطة الخطاب وعن الآليات التي تحكم إنتاجه، وكون اللغة

---

[1] . انظر: زتسيسلاف واورزنياك، مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص، ترجمة: سعيد بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2003 م، ص 54.

[2] . عبد الله ابراهيم، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، ط1 1999م، ص 104.

[3] . الزاوي بغورة، منهج في تحليل الخطاب، مجلة إبداع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ابريل . مايو 2000م ص 109.

إحدى عناصر تمثيل الخطاب، "فإن بنية الثقافة، بممارستها النظرية والتحليلية، وبالفاعل الذي ينهض بها وهو الإنسان، تتمثل خطابيا، وعليه فالخطاب هو ميدان التحليل والخطاب ضرب من تضافر الإشارات، تكون اللغة فيه عنصرا تمثيليا بين عناصر إشارية أخرى"[1].

ولعل مقاربة (جيليان براون Gillian Brown وجورج يول George Yule) هي مقاربة للخطاب، وتندرج ضمن تحليل الخطاب، إلا أن هذه المقاربة توسع إطارها وتستعير أدواتها من علوم أخرى، مثل اللسانيات النفسية واللسانيات الحاسوبية، والذكاء الاصطناعي، وعلم النفس المعرفي، وذلك "أن المعاني لا تكمن في الأدوات اللغوية المستعملة، بل لدى المتكلم الذي يستعمل تلك الأدوات، ويوظفها بشتى السبل لتحقيق مقاصده ونواياه، ولدعم هذا الطرح يقدم المؤلفان نماذج كثيرة ومتنوعة من الخطاب(محادثات مسجلة في ظروف اجتماعية مختلفة، ومقتطفات من الصحف اليومية، إعلانات...)، ويحلِّلان تلك النماذج بعناية واضحة وتفصيل شديد، مما يسمح لأي دارس مهتم بتطبيقها على أي لغة وفي أي سياق يصادفه"[2].

ويرى (مانغونو Dominique Maingueneau)أن تحليل الخطاب يطمح إلى البحث عن منهج يقارب محتوى النص عبر قراءة موضوعية، تستثمر نتائجها، وهو ما يتطلب وجود مستند تميز فيه طبيعة النصوص منذ البداية، للوقوف على الثابت والمتحول فيها ويفصل المتشابه منها، ويقارنه بغيره. غير أن تحليل المحتوى لا يحل إشكالية بنيوية النص، لأن الغاية من تحليل الخطاب ليس البحث عن كيفية اشتغال الخطاب، بقدر ما هي استثمار مفاهيم (ميتا . لسانية) لاستخلاص ما يميز خصوصية مضمون مدونة عند مقارنتها بمدونات أخرى"[3].

---

[1] . الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2000 م ص 143.

[2] . جيليان براون، وجورج يول، تحليل الخطاب، ترجمة: محمد لطفي الزليطني، ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض، ط1، 1997م، (المقدمة).

[3] . عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1 2006م، ص 82.

وحقيق بنا أن نعترف بجهود العلماء العرب القدامى، وما قدموه من إسهامات في مجال تحليل الخطاب "لأن علماء التفسير والفقه والبلاغة بحثوا في الخطاب القرآني بحثا عميقا"[1].

وأشار محمود عكاشة "أن هناك من لاحظ أن الدراسات الخطابية العربية اتجهت إلى البنيوية، وعدتها المنهج اللساني في تحليل الخطاب، بيد أن علم تحليل الخطاب يختلف في منهجه وتحليله وفلسفاته عن البنيوية، ويرجع سبب اختلاف علماء العربية حديثا إلى طبيعة مشاربهم الغربية التي تأثروا بها. ويدعو كذلك إلى السعي لإقامة دراسات لسانية تعتمد على نظريات تحليل الخطاب"[2].

د . أنواع الخطاب

مثلما تعددت معاني الخطاب وتنوعت مناهج تحليله تعددت أيضا أنواعه وأشكاله حتى لا نكاد نذكره إلا مقترنا بوصف آخر مثل: الخطاب الفلسفي، والخطاب السياسي والخطاب الثقافي، والخطاب الديني، والخطاب التربوي، وداخل الخطاب الأدبي يمكننا أن نقول الخطاب الروائي، والمسرحي، والشعري، على هذا الأساس ورد الخطاب بتعريفات متنوعة بوصفه فعلا يجمع بين القول والعمل، وهذا من سماته الأصلية.

وأنواع الخطاب عند (فوكو)، فهناك خطاب يقال يوميا، ويتداول وينتهي أمره بانتهاء الفعل ذاته الذي نطق به، وخطاب آخر أصيل، يعد من ضروب الفعل الجديدة للكلام؛ إذ يعاد تناوله وتحوله، أو الحديث عنه، وخطاب قيل ويقال، وسيظل جاهزا للقول بقطع النظر عن صياغته مثل النصوص الدينية أو القانونية، ومنه تلك النصوص التي يطلق عليها نصوصا أدبية وعلمية[3].

ومن هذه الأنواع التي هي مناط بحثنا؛ الخطاب التربوي، فما مفهومه؟

ثانيا: الخطاب التربوي: مفهومه وخصائصه

---

[1] . محمود عكاشة، لغة الخطاب السياسي، دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظري الاتصال، دار التشر للجامعات، مصر، ط1، 2005م، ص42.

[2] . انظر :المرجع نفسه، ص 42.

[3] . انظر: ميشال فوكو، نظام الخطاب وإرادة المعرفة، ترجمة: أحمد السطائي وعبد السلام بنعبد العالي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ط1، 1985م، ص 16.

أ . مفهوم الخطاب التربوي: هو "الكلام الذي يدور حول التربية، وأوضاعها وقضاياها، ومشكلاتها، وهمومها، سواء أكان هذا الكلام كلاما شفويا أم كلاما مكتوبا وسواء أكان هذا الكلام تعبيرا عن فكر علمي منظم، أم كلاما مرسلا عاما"[1].

ومن ذلك نقول إن الخطاب التربوي كلام موجه، قد يكون شفويا أو مكتوبا، وهدفه بناء شخصية شاملة، ومتكاملة، وغايته المصلحة العامة.

وصورة الخطاب التربوي في تطبيقاته، يشكل أهدافا يسعى التعليم لتحقيقها، قوامها رؤية فلسفية وأبعاد وتحولات، كما أن له طبيعة مرجعية يمكن تحديدها بصورة مباشرة أو تأويلية، فمثلاً هناك صلة قائمة في لغة الخطاب، بينها وبين القوة والأيديولوجية، قوة صاحب الخطاب، والأيديولوجية التي تشكل إطاراً لهذا الخطاب التربوي لغة ومضموناً، كذلك فإن الموضع الفكري والسياسي والاقتصادي والاجتماعي كبيئة ثقافية للخطاب، تمثل سياقاً تفسيرياً مهماً في تحليل النصوص التربوية والاجتماعية، وفى تنمية الوعي اللغوي النقدي، ومن ثمّ لكل خطاب تربوي فلسفة وأيديولوجية تحدد أولوياته وموضوعاته وتحجم قوته، وتفاضل بين مفردات اللغة التعبيرية التي تنتج شكل الخطاب وتوحي بمضمونه أيضاً [2].

وقد يعبر الخطاب التربوي عن تطلعات الحكومة، أو أصحاب القرار في المجتمع حيال تخطيط وتشريع النظام التعليمي الذي يضمن الإبقاء والمحافظة على النظام الاجتماعي القائم، والخطاب هنا هو القوانين واللوائح والتصريحات، والتضمينات التي تشملها سياسات التعليم واستراتيجياته.

وليس من الضروري أن يكون الخطاب التربوي معبراً عن التوجهات الرسمية في البلاد، لذلك نجده يحمل بصمة من أنتجه من مؤلفات التربويين، أو نتاج لقاءات تربوية فتصاغ قوانين يراها العلماء ناجعة لطرحها أمام المسؤولين للمصادقة عليها وتطبيقها وبتضافر الجهود ينجح الخطاب التربوي.

---

[1] . عبد الغني عبود، طبيعة الخطاب التربوي السائد ومشكلاته، إسلامية المعرفة، بيروت، لبنان، 2002م، العدد: 29، ص 48.

[2] . انظر: صلاح الدين محمد توفيق، وآخرون، اتجاهات الخطاب التربوي في مجلة كلية التربية ببنها "دراسة في سياق بناء وإنتاج المعرفة التربوية، مجلة كلية التربية بنها، مصر، المجلد 17، العدد: 71، يوليو 2007م، ص 14.

أما الخطاب التربوي النبوي هو "الكلام الموجه من قبل الرسول . صلى الله عليه وسلم . سواء للفرد أم الجماعة، والذي يحمل مضمونا تربويا ذا طابع توجيهي وإرشادي، بما يحقق المصلحة العامة للمخاطب في الدنيا والآخرة، ويسهم في بناء شخصية سوية ومتوازنة"[1].

لذلك فالتربية التي تضمنتها الأحاديث النبوية لها مجالات عدة، وقبل الولوج إلى خباياها نشير إلى بعض مفاهيمها:

مفهوم التربية:

شاع مفهوم التربية بين الناس، إلى حد الاعتقاد أن الخوض في تعريفها وضبط حدودها من السهل بمكان، ولكن سرعان ما يتبدد هذا الاعتقاد، ويدرك الباحث أن التعرض لشرح هذا المفهوم هو من قبيل السهل الممتنع، ولذا نجد أدبيات التربية تزخر بتعاريف كثيرة ومتنوعة تعود إلى مقاربات متباينة. وإذا عدنا إلى معاجم اللغة وجدنا مدلولها اللغوي من الجذر (ربا) يربو يحمل المعاني الآتية:

1 . الزيادة والنمو: رَبا الشيءُ يَرْبُو رُبُوّاً ورِباءً زَاد ونَما وأَرْبَيْته نَمَّيته،... أَرْبَى على الخَمْسين ونَحْوِها : زاد [2]. جاء في قوله تعالى:

﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾[3]، أي ينمي الصدقات ويزيدها بمضاعفة أجرها، "والرَّبْوُ والرَّبْوَةُ والرُّبْوَةُ والرِّبْوة والرَّباوة والرُّباوة والرِّباوَة والرَّابِيَة والرَّباةُ كلُّ ما ارْتَفَعَ من الأَرض"[4] ، وسميت بذلك لما فيها من الزيادة التي بها ارتفعت عما جاورها.

---

[1] . محمود خليل أبو دف، جودة الخطاب التربوي في السنة النبوية، دراسة تحليلية، بحث مقدم لمؤتمر المعلم الفلسطيني، جامعة الأقصى، غزة، كلية التربية، منعقد من 28 إلى 29 جانفي 2008م، ص 5.

[2] . ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط 1، 2000م ، ج 10، ص 327.

[3]. سورة البقرة الآية 276.

[4] . ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص 306.

2 . النشأة: جاء في لسان العرب: "رَبَوْتُ في بَني فلان أَرْبُو نَشَأْتُ فيهِم، ورَبَّيْتُ فلاناً أُرَبِّيه تَرْبِيَةً وتَرَبَّيْتُه ورَبَبْتُه ورَبَّبْته بمعنى واحد"[1].

ومن الجذر: رب□: يرب□، تحمل المعاني الآتية:

1 . رعاية الشيء وحفظه: ورَبَّ ولَدَه والصَّبِيَّ يَرُبُّهُ رَبّاً، ورَبَّبَه تَرْبِيباً وتَرِبَّةً، عن اللحياني: بمعنى رَبَّاهُ. وفي الحديث: لكَ نِعْمةٌ تَرُبُّها، أَي تَحْفَظُها وتُراعِيها وتُرَبِّيها كما يُرَبِّي الرَّجُلُ ولدَه[2].

2 . القيام على شؤون الطفل حتى يدرك، "رَبَّ وَلَدَهُ والصَّبِيَّ يَرُبُّهُ رَبًّا: رَبَّاهُ أَي أَحْسَنَ القِيام عليه وَوَلِيَهُ حَتَّى أَدْرَكَ أَي فارَقَ الطُّفُولِيَّةَ، كانَ ابنَه أَو لمْ يَكُنْ"[3]، وقد ورد ذكر التربية بهذا المعنى في القرآن الكريم؛ قال الله تعالى على لسان فرعون مخاطبا موسى . عليه السلام .:

﴿فَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾[4]، وقال الله تعالى في آية أخرى: ﴿ وَقُل رَّبِّ إِرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾[5].

3 . التعليم: "والرَّبِّيُّ: مَنْسُوبٌ إِلى الرَّبِّ. والرَّبَّانِيُّ: الْمَوْصُوفُ بِعِلْمِ الرَّبِّ. ابْنُ الأَعرابي: الرَّبَّانِيُّ الْعَالِمُ المُعَلِّم، الَّذِي يَغْذُو الناسَ بِصغارِ الْعِلْمِ قبلَ كِبارها. والرَّبَّانِيُّ: الْعَالِمُ الرَّاسِخُ فِي العِلم وَالدِّينِ، أَو الَّذِي يَطْلُب بِعلْمِه وجهَ اللهِ، وَقِيلَ: العالِم، العامِلُ المُعَلِّمُ؛ وَقِيلَ: الرَّبَّانِيُّ: الْعَالِي الدَّرجةِ فِي العِلمِ. "[6].

4 . التأديب: "ربَّ الولدَ: ربًّا: وليه وتعهَّدَهُ بما يغذِّيه وينمّيه ويُؤَدِّبه"[7].

---

[1] . المرجع نفسه، ص 307.

[2] . المرجع نفسه، (مادة ر ب ب)، ج 1، ص 401.

[3] . الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق : علي هلالي، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 2004م، ج2،(مادة ر ب ب)، ص 474.

[4] . سورة الشعراء، الآية: 18.

[5] . سورة الإسراء، الآية: 24.

[6] . ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص 404.

[7] . شوقي ضيف، وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط 4 ، 2004م، ص 321.

5 . التكفُّل بالطفل: "وَفِي الْحَدِيثِ: الرَّابُّ كافِلٌ؛ وَهُوَ زَوْجُ أُمِّ اليَتيم، وَهُوَ اسْمُ فَاعِلٍ مِن رَبَّه يَرُبُّه أَي إِنه يَكْفُل بأَمْرِه. وَفِي حَدِيثِ مُجَاهِدٍ: كَانَ يَكْرَهُ أَن يتزوَّج الرجلُ امرأَةَ رابِّه، يَعْنِي امرأَة زَوْج أُمِّه، لأَنه كَانَ يُرَبِّيه"[1].

وفي المعاجم اللغوية تُشرح الكلمات على أساس حروفها الأصلية، وإذا رجعنا إلى معنى كلمة (تربية)التي تتكون من خمسة حروف، فتعود في أصلها إلى حرفين أصليين هما: الراء، والباء (رب)، ولهذين الحرفين عند اجتماعهما العديد من المعاني التي أشار إليها بعض الباحثين بقوله: " وهكذا نجد أن(الراء والباء) يجتمعان على معنى السمو والإصلاح، وتقوية الجوهر مع فروق طفيفة في تدرج هذا المعنى حيث يستعمل للأمور المادية (ربا يربو) تعبيرا عن زيادة مادية في جسم الأشياء، بينما يستعمل للإنسان والحيوان (ربى يربي) ...، بمعنى ترعرع في بيئة معينة؛ ويستعمل في الأمور المعنوية (ربأ يربأ) لتكريم النفس عن الدنايا، ويستعمل للرقي بالجوهر: رب يرب على وزن: مد يمد، حتى نصل إلى (الربُّ) وهو خالق كل شيء وراعيه ومصلحه، التربية الكاملة ..."[2]

وبناء على ما تقدَّم تشابهت تعريفات القدامى إلى حد ما، لاعتمادهم على المعنى اللغوي للكلمة؛ فقد عرفها (البيضاوي) بقوله: " الرب في الأصل مصدر بمعنى التَّربية، وهي تبليغُ الشَّيء إلى كَمَاله شَيْئا فشيئا"[3]، في حين يعرفها (الراغب الأصفهاني) بقوله: " الرب في الأصل التَّربية، وهو إنْشَاءُ الشَّيء حالاً فحالاً إلى حدِّ الَّتمام، يقال ربَّهُ ورَبَّاهُ، ورَبَّبَهُ، وقيل لأنْ يَرُبَّنِي رجلٌ من قُرَيْش أَحَبُّ إليَّ منْ أنْ يَرُبَّنِي رجلٌ منْ هَوَازِنَ... ولا يُقال الرَّبُّ مطلقًا إلاَّ لله تعالى المُتَكفِّلُ بمَصْلَحةِ المَوْجُودات"[4].

وقد تتعدّد مفاهيم مصطلح التربية، هذا ما يراه أحد التربويين بقوله: " يرى كثير من رجال التربية والتعليم أن مصطلح (التربية) لا يخضع لتعريف محدد، بسبب تعقد

---

[1] . ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص 405.

[2] . محمد خير عرقسوسي، محاضرات في الأصول الإسلامية للتربية، المبادئ العليا، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1419هـ ، ص 18، 19.

[3] . البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المجلد الأول، تحقيق: محمد صبحي حلاق ومحمود أحمد الأطرش، دار الرشيد، دمشق، ط1، 2000م، ص 13.

[4] . الراغب الأصفهاني، مفردات القرآن، (كتاب الراء)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1412هـ ، ص 184.

العملية التربوية من جانب، وتأثرها بالعادات، والتقاليد، والقيم، والديانات والأعراف، والأهداف من جانب آخر، بالإضافة أنها عملية متطورة متغيرة بتغير الزمان والمكان، ويمكن القول بأن التربية تدخل في عداد المسائل الحية لأنها تتسم بخاصية النمو"[1].

وفي هذا الصدد يمكننا أن ندرج بعض المفاهيم التي دأب عليها السلف الصالح والتي كانت تستخدم للدلالة على معنى التربية، فنجد منها:

1 . التنشئة: ويراد بها إعداد الإنسان وتنشئته تنشئة متوازنة وهي: "عملية تعلم وتعليم وتربية، وتقوم على التفاعل الاجتماعي، وتهدف إلى اكتساب الفرد . طفلا فمراهقا فراشدا فشيخا . سلوكا ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة"[2].

ومن هنا نتوصل إلى أن التنشئة عملية مستمرة مدى الحياة يقوم بها أفراد المجتمع على اختلاف أعمارهم كل على قدر استطاعته وإمكاناته، ولا تكتمل إلا مع نهاية عمر الإنسان.

2 . التهذيب: ومعناه تهذيب النفس البشرية وتنقية الأخلاق والصفات والسلوك من كل ما يشوبها، وتسويتها حتى تصبح في أحسن حال، وأجمل صورة، والمهذب من الناس: المخلص النقي من العيوب.

3 . الإصلاح: ويرمي إلى تعديل الشيء وتحسينه وتقويمه، كما يقصد به التغيير إلى الأفضل، وقد ورد في القرآن الكريم على لسان النبي شعيب . عليه السلام . في قوله تعالى: ﴿ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾[3]. والإصلاح هنا لا يؤدي المعنى الكامل للتربية وإنما يؤدي جزءا منه.

4 . التأديب: نجد مفهوم التأديب ملازما للتربية، فلا غنى لأحدهما عن الآخر، فكلاهما يصبو إلى الإصلاح، ويعدّ التأديب وسيلة من وسائل التربية، وطريقا من طرقها، وله

---

[1] . عبد الرحمان بن حجر الغامدي، مدخل إلى التربية الإسلامية، دار الخريجي للنشر والتوزيع، الرياض، 1418هـ ص 3.

[2] . حامد عبد السلام زهران، علم النفس الاجتماعي، عالم الكتب ، القاهرة، ط 4، 1977م ، ص 213.

[3] . سورة هود، الآية: 88.

فاعلية التأثير في بناء شخصية الفرد، فالتربية أعمّ والتأديب أخصّ، و"نجد أن كلمة أدب مرتبطة بالمعنى الأخلاقي التربوي والاجتماعي، وأن التأديب هو تهذيب الأخلاق وصفة كريمة للنفس، وطيب النشأة والدماثة، ومكارم الأخلاق، وحسن العشرة"[1]، وهناك من يبين أنّ الأدب هو: "استعمال ما يحمد قولاً وفعلاً، وعبّر بعضهم عنه بأنه الأخذ بمكارم الأخلاق. وقيل الوقوف على المستحسنات، وقيل هو تعظيم من فوقك، والرفق بمن دونك"[2].

5 . التعليم: يعد التعليم جزءا من التربية رغم استخدامه للدلالة عليها، فالتربية أشمل من التعليم؛ يقوم بها المعلِّم وغير المعلم، أما التعليم فهو محدود بما يُقدَّم داخل الفصل من معلومات ومهارات، وقد شاع استخدامه للدلالة على معنى التربية عند بعض السلف في كتباتهم، مثل رسالة (العالم والمتعلم) للإمام أبي حنيفة النعمان (تـ150ه)، وكتاب (تعلم المتعلم طريق التعلم) لبرهان الدين الزرنوجي (تـ 620ه)، وأصبح استخدامه اليوم محصورا في الجانب المعرفي المتمثل في طلب العلم.

6 . التزكية: هو أحد المرادفات التي استعملت قديما للدلالة على معنى التربية، ويقصد بالتزكية "تطهير النفوس وإصلاحها بالعلم النافع، والعمل الصالح، وفعل المأمورات وترك المنهيات"[3]، وفيها طلب الاستقامة ومكارم الأخلاق، وبحصول التزكية تسهل العملية التعليمية لأن التربية مقدمة على العلم، وقد ورد لفظ التزكية في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾[4].

---

[1] . عطا الله بن قسيم الحايك، قبسات من التأديب التربوي عند المسلمين، دار هجر للنشر والتوزيع، أبها،ط1، 2001م، ص 30.

[2] . ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج10، ص 414.

[3] . ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن القاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ط1، 2004م، ج10، ص 97.

[4] . سورة البقرة، الآية 151.

7 . السياسة: وتتمثل في حسن تدبير الأمور بحكمة وبصيرة، واكتساب آليات التعامل مع الآخرين، ومعرفة فنون القيادة والتسيير، وهي "استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المُنْجي في العاجل والآجل"[1]، وهي توعية الناس، وهدايتهم إلى سبيل الرشاد، يقول ابن القيم: "السياسة ما كان فعلا يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح، وأبعد عن الفساد، وإن لم يصنعه الرسول . صلى الله عليه وسلم . ولا نزل به وحي"[2].

وجاء في الحديث: " كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ وَإِنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي،... "[3]، ومعنى (تسوسهم): "تتولى أمورهم كما يفعل الأمراء بالرعية"[4]، ومما سبق ذكره نرى أن السياسة تنضوى فيها معانى التربية، لاهتمامها بإصلاح الفساد.

8 . النصح والإرشاد: ويعني الوعظ والتوجيه، والدلالة على الخير، كما يتطلب في بذل النصيحة والصلاح للمنصوح، سواء أكان دنيويا أم أخرويا، ولا يقتصر النصح والإرشاد على الأقوال، بل يشمل الأفعال أيضا.

ومن هذه المصطلحات المتنوعة لمعنى التربية نستنتج أن مفهومها العام لا يخرج عن كونها تنمية الجوانب المختلفة لشخصية الإنسان، عن طريق التعليم، والتدريب والتثقيف، والتهذيب، والممارسة، لغرض إعداد الإنسان الصالح لعمارة الأرض[5].

كما توجد مصطلحات قريبة من مفهوم التربية؛ مثل البيداغوجيا، والديداكتيك وهناك من وضح الفرق بينها:

التربية L'éducation : "التربية صيرورة تستهدف النمو والاكتمال التدريجيين لوظيفة أو مجموعة من الوظائف عن طريق الممارسة، وتنتج هذه الصيرورة إما عن الفعل الممارس من طرف الآخر، وإما عن الفعل الذي يمارسه الشخص على ذاته"[6].

---

[1] . الكفوي، الكليات، ص 510.

[2] . ابن قيم الجوزية، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق: نايف بن أحمد الحمد، دار علم الفوائد، جدة، (دط)، (دت)، المجلد الأول، ص 29.

[3] . البخاري، دار الهدى للطباعة والنشر عين مليلة، الجزائر، ط 1، 1992م، كتاب الأنبياء، بَابُ: مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، ج3، رقم: 5268، ص 1273.

[4] . ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج2، ص 1031.

[5] . انظر: الموقع الالكتروني، منبر التربية، علي عبده علي الألمعي، مفهوم التربية في الإسلام. http://www.minbr.com يوم السبت 28 /2014/06م، الساعة: 16.52.

[6] . محمد الصدوقي، المفيد في التربية، انفو برانت، فاس، المغرب، ط2، 2006م، ص4.

لذلك تعد مجموعة من الخبرات التي يسلكها الإنسان من بداية حياته إلى نهايتها، ويكون لها أثر في تعديل سلوكه.

البيداغوجيا La pédagogie: هي علم التربية سواء كانت جسدية، أم عقلية أم أخلاقية، وعليها أن تستفيد من معطيات حقول معرفية أخرى تهتم بالطفل، ويرى (فولكي Foulquié)* أن البيداغوجيا أو علم التربية ذات بعد نظري، وتهدف إلى تحقيق تراكم معرفي، أي تجمع الحقائق حول المناهج والتقنيات والظواهر التربوية، أما التربية فتتحدد على المستوى التطبيقي، لأنها تهتم قبل كل شيئ بالنشاط العملي الذي يهدف إلى تنشئة الأطفال وتكوينهم. لذلك فالبيداغوجيا حسب أغلب تعريفاتها بحث نظري، أما التربية فهي ممارسة وتطبيق[1].

ومن منظور (روبول Olivier Reboul) تحمل كلمة (بيداغوجيا) معنيين على الأقل: "هي فنّ بما أنها تدل أولا على تكوين الشخص بيداغوجيا، لاكتساب فن التربية والتعليم، وهي مهارة تكتسب بالممارسة، وهي نظرية إذ تدل بعد ذلك على نظرية هذا الفن، وهي "نظرية علمية" كما يقول (دوركايم Émile Durkheim) بما أنها تهتم بتطبيق العلوم الإنسانية على فن التربية"[2].

وبين في موضع آخر أن الخطاب البيداغوجي "ينصب على التربية، وبهذا المعنى يتميز عن الخطاب التربوي البسيط، فالأب الذي ينصح ابنه، والمعلم الذي يلقي درسه لا يعبران عن الخطاب البيداغوجي، إنهما يعبران عنه إذا كان يهدفان إلى إعطاء مشروعية للطريقة التي يربيان بها... والخطاب البيداغوجي هو الذي يهدف إلى حقيقة ذات نظام عملي"[3].

---

* . بول فولكي: مفكر وفيلسوف فرنسي (1893 . 1983م).

[1] . انظر المرجع نفسه، ص5.

[2] . أوليفيي روبول، فلسفة التربية، ترجمة: عبد الكريم معروفي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1994م، ص 51.

[3] . أوليفيي روبول، لغة التربية، ص 43.

الديداكتيك La didactique: هي شقّ من البيداغوجيا موضوعه الدرس، أو بمعنى أدق أسلوب معين لتحليل الظواهر التعليمية[1]، وله صلة بالتعليم، ويعرفه التربويون بأنه: "استرتيجية تعليمية، تواجه مشكلات كثيرة: مشكلات المتعلم، ومشكلات المادة، أو المواد، وبنيتها المعرفية، ومشكلات الطرائق، ومشكلات الوضعيات التعليمية التعلمية"[2]، لذلك فهي خطة تعليمية، تهدف إلى تحقيق مرامي استرتيجية.

ويرى (روبول) أن التربية شيء إنساني، وغير ذلك هو ترويض فقط، لذلك "يميز بين التعليم والترويض والتمهير والتلقين ، فالترويض هو تعويد الحيوانات أو الأطفال وحتى الراشدين، بالتهديد أوالمكافأة، على تنفيذ ما ينتظر منهم تنفيذا طيعا وآليا.

والتمهير هو التدرب على اكتساب مهارة كالسباحة والكتابة... والتلقين هو إدخال الفرد في جماعة يكشف لها عن طقوسها وتقاليدها وأساطيرها. أما التعليم فهو الشكل الأكثر إنسانية في التعليم إذ لا يقصد إلى تنشئة تقني أو مواطن أو مؤمن بل إلى تنشئة إنسان[3].

ويركز (روبول) كثيرا على تنشئة الإنسان إذ يقول:" إننا لا نربي الطفل من أجل أن يبقى كذلك، كما أننا لا نربيه من أجل أن نجعل منه "عاملا ومواطنا"، إنما نربيه من أجل أن نجعل منه إنسانا؛ بمعنى كائنا قادرا على أن يتواصل ويتحد مع الآثار والبشر...، فالغاية الأولى والأخيرة للتربية هي تربية الإنسان في الإنسان، تربية الإنسان من أجل ذاته حتى يمكنه متابعة تربيته الخاصة دون مساعدة الآخرين؛ ومعنى ذلك أن التربية ليس لها من غاية سوى ذاتها"[4].

ويظهر من خلال ما تقدم أن الخطاب التربوي له سلطة قائمة في مجال التربية الفكرية.

أزمة الخطاب التربوي

[1] . محمد الصدوقي، المفيد في التربية، ص5.

[2] . محمد مكسي، الدليل البيداعوجي . مفاهيم، مقاربات، منشورات صدى التضامن، الدار البيضاء، ط1، 2003م، ص 35.

[3] . أوليفيي روبول، لغة التربية، ص 87.

[4] . المرجع السابق، ص 31.

إذا سلمنا بأن التعليم هو وسيلة وليس غاية؛ وسيلة لخدمة الرؤية الاستراتيجية للدولة، فمن الواجب أن تكون تلك الرؤية واضحة عند القيادة السياسية، وإذا وافقنا (كانط Kant) في مقولته: "ثمة اكتشافين أساسيين يحق للمرء أن يعدهما من أصعب الأمور هما: فن حكم الناس وفن تربيتهم"[1].

ندرك . لا محالة . أن التربية من أصعب الأشياء التي ينوء لها كاهل المربي، كما ندرك يقينا أن الفلاسفة وعلماء التربية والمربين، سالت محابرهم في وضع أنظمة وقوانين لخدمة هذا القطاع الحيوي، وكلما تغيرت الأوضاع على المستوى العالمي جرف الغث والسمين، وتطلب من المجتمعات مواكبة الحضارة الجديدة انطلاقا من إصلاح هياكلها التقليدية، وفي مقدمتها المنظومة التربوية.

"وفي نسق التحديات الحضارية الجديدة ما زال الإصلاح التربوي يشكل هاجس المجتمعات الإنسانية، وما زال الحلم في بناء تربية متجددة قادرة على تجاوز قهر الإنسان، وتصفية معاناته والانتقال به إلى عالم العدالة، والقوة والمساواة يحتل مكانة هامة في وجدان القيادات السياسية، والتربوية في المجتمعات الإنسانية المعاصرة "[2] فبعد مرحلة الأزمة أتت مرحلة التفكير في الإصلاح، حيث "يعدان من أكثر المفاهيم شيوعا وتداولا في الأدبيات التربوية المعاصرة ولا سيما في النصف الثاني من القرن العشرين، وقد شهدت الساحة الفكرية في مجال التربية والعلوم الاجتماعية ولادة متسارعة لعدد كبير من المؤلفات، والمقالات التي تنطلق من هذين المفهومين لدراسة وتحليل الأنظمة التربوية المعاصرة.

وتأسيسا على ذلك بدأ هذان المفهومان يشكلان أداة هامة من أدوات التحليل السوسيولوجي والتربوي، ومدخلا منهجيا من مداخل البحث، والتقصي في مجال القضايا التربوية والاجتماعية"[3].

---

[1] . علي أسعد وطفة، إشكالية الإصلاح التربوي في الوطن العربي، تحديات وتطلعات مستقبلية، مجلة الطفولة العربية، الكويت، مج 2، العدد 6، 2001م، ص 80.

[2] . المرجع نفسه، ص 81.

[3] . المرجع السابق، ص 81.

وكلما ظهرت أزمة في مجال ما، تسارعت الأصوات للبحث عن حلول وإصلاحات لذلك "يمكن للإصلاح أن يتم في جانب من جوانب النظام التربوي. ويمكن القول في هذا السياق: إن مفهوم الإصلاح وإجراءاته مرهونة بمستوى ودرجة الأزمة التي يعاني منها النظام التربوي أو التعليمي"[1].

أما في مجال المعرفة العلمية، فقد انحسر دور المدرسة في إنتاج المعرفة، حيث برزت آلاف المؤسسات العلمية والتجارية، هدفها نشر العلم بسرعة مذهلة عبر وسائل الإعلام والاتصال المتطورة، والمدرسة بأساليبها التقليدية عاجزة عن مواكبة هذا التطور.

"وإزاء هذه الإشكالية بدأت المدرسة تلعب دورا سلبيا في قضايا التثقيف والمعرفة فهي بدلا من أن تعمل على تقديم المعرفة الجديدة والمستجدة إلى الطلاب، والتلاميذ راحت تحاصر الطلاب والتلاميذ بمناهجها وأساليبها القديمة وتحرمهم من التواصل مع المعرفة والحياة الاجتماعية التي تتصف بغناها وتجاربها"[2].

ومشكلات المنظومة التربوية عديدة منها: غياب ديموقراطية التعليم، وضعف توزيع الخدمات التعليمية، وافتقار التخطيط إلى الدراسات والبحوث الجادة، وضعف مستوى خريجي النظام التعليمي بصورة عامة، وغيرها من الأزمات الخانقة التي تعاني منها.

كما يشكو التعليم في الوطن العربي من صعوبات حقيقية، وشأنه في ذلك شأن أغلب الأنظمة التربوية في بلدان العالم،" فهناك إشكاليات تتعلق بالأهداف، والمعلمين والمناهج، والبناء المدرسي، والإدارة ومستوى الطلاب. وتلك هي النتائج التي تؤكدها أغلب الدراسات والبحوث الجارية حول التعليم في الوطن العربي"[3]، وكل إصلاح في هذا الميدان لا يأتي بنتائج جادة، لأنه " بقي في الوطن العربي بعيدا عن مقاربة مفهوم الزمن، وبقي يمثل محاولات متفرقة جزئية لا تمس جوهر العملية التعليمية السائدة.

---

[1] . علي أسعد وطفة، إشكالية الإصلاح التربوي في الوطن العربي، تحديات وتطلعات مستقبلية ، ص 82.

[2] . علي أسعد وطفة، علم الاجتماع التربوي، وقضايا الحياة التربوية المعاصرة، مكتبة الفلاح، الكويت، ط2، 1998م، ص 35..

[3] . علي أسعد وطفة، إشكالية الإصلاح التربوي في الوطن العربي، ص 91.

وبقيت هذه المحاولات نوعا من المبادرات التي تخشى الهدم حتى لو كان من أجل إقامة بناء راسخ متين"[1].

كما لا يكون للتربية دورها الأساس، ووظيفتها ما لم ترتبط بالواقع وتعبر عنه، "ومن هنا يجب هدم الحواجز التي تقوم بين المدرسة والتعليم والحياة، والغاية هي مدرسة للحياة وليس حياة للمدرسة منفصلة عن الواقع وتجلياته، فمن الخطر كل الخطر أن تتحول المدرسة إلى متحف تاريخي يعيش فيه الأطفال على إكراه منهم"[2].

و لِما طرأ على المدرسة من جمود في أنظمتها ومناهجها أصبحت لا تفرق بين التربية والتعليم ونسيت بالتدريج المهمة التي خلقت من أجلها ألا وهي التربية من خلال التعليم[3].

وقد رأينا أن الدول المتقدمة تسعى في كل مرة لإصلاح منظومتها التربوية فالأحرى بالدول العربية أن تبذل مجهودات مضاعفة لمعالجة أزمة التربية والتعليم.

فالخطاب النبوي بصفة عامة "يبلور الخبرات البشرية، وتجارب الأمة؛ فهو يدون التراث الثقافي الإسلامي، ويحتفظ بهذا المخزون الفكري جيلا بعد جيل، فلم تكن معجزة الهادي إلا من جنس حضارة قومه في خصوصيتها المتمثلة في بلاغة الخطاب وفصاحة القول التي كان العرب يتباهون بها كابرا بعد كابر"[4].

ج . خصائص الخطاب التربوي

من خصائصه:

. الشمول، حيث تصل شموليته الجميع.

. كذلك التأثير في المتلقي وإقناعه بما يرمي إليه.

. وأن يكون حجاجيا يستميل المتلقي بما يحتويه من منافع.

---

[1] . محمد متولي نعيمة، القيمة الاقتصادية للتعليم في الوطن العربي، الوضع الراهن واحتمالات المستقبل، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1996 م ، ص 205

[2] . علي أسعد وطفة، إشكالية الإصلاح التربوي في الوطن العربي، ص 102.

[3] . انظر :المرجع نفسه، ص 108.

[4] . عريب محمد عيد، الخطاب النبوي خريطة البيان العربي، دراسة في اللسانيات النفسية والاجتماعية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2015م، ص43.

. اعتماده على الأساليب اللغوية المتداولة، والطرق الاستدلالية في المقارنة والتعريف والتماثل والسرد والوصف.

. التنوع؛ وذلك بالانتقال من طريقة إلى أخرى عند عرض الجوانب المختلفة للموضوع الواحد.

. تغيير العناصر اللغوية وعدم تكرارها في الموضوع الواحد.

. تميزه بالوضوح والبساطة والوقعية، بعيدا عن الخيال والمغالاة في المثالية.

. مراعاة سنة التدرج، والابتعاد عن الفوضى اللفظية.

هذه بعض خصائص الخطاب التربوي في العموم، لكن في الخطاب النبوي تتجسد تعاليمها الربانية، دالة على رسالة مقدسة موجهة إلى كافة الناس، فلم يكن النبي . صلي الله عليه وسلم . معلماً عادياً أو تقليدياً، إنما كان آيةً من آيات الله الكبرى في السيطرة على قلوب طلبته، والتحكم الكامل في عقولهم، من خلال طرقه وأساليبه التعليمية الرائعة المانعة، التي تثير أشواق المتعلمين وتبعث فيهم رغبة قوية في التعلم والفهم والإدراك.

ونشير أيضا إلى أهم وظائف الخطاب التربوي النبوي؛ فهو خطاب معبر وموصل ومؤثر، "فمعبر: فلأنه عربي قرشي بليغ وفصيح، سلم لسانه من عيوب الكلام. وأما خطابه موصل: فلأن "خطابه الإنسان" تصل رسالته في قناة التواصل بلغة مدروسة ومنظمة ومفهومة...وأما مؤثر: فلأن تعبيره الوجداني يحرك نوازع المتلقي ويؤثر في أحاسيسه، ومستويات الانفعال لديه، ومؤثر كذلك؛ لتعبيره الفكري الذي يقنع عقل المتلقي بحجته ومنطقه وأدلته..."[1]، وقد انفرد الرسول . صلى الله عليه وسلم . بخطابه المتجدد على كل المستويات، حيث لا يفقد قوته التأثيرية مهما تكرر، وكلما تداوله الناس ازدادوا تمسكا به لما له من وقع طيب في نفوسهم.

ثالثا: مفهوم التبليغ:

أ . لغة:

[1] . عريب محمد عيد، الخطاب النبوي خريطة البيان العربي، دراسة في اللسانيات النفسية والاجتماعية، ص 48.

التبليغ لغة: " الباء واللام والغين أَصلٌ واحِدٌ، وهو الوُصولُ إلى الشيء. تقول: بَلَغْت المكان، إذا وصلت إليه...، وَالبُلْغَة ما يُتَبَلَّغُ به من عَيشٍ، كأنّه يُرادُ أنَّه يبلُغُ رُتْبَة المُكْثِرِ إذا رَضِيَ وقَنَع؛ وكذلك البَلاَغة التي يُمْدَحُ بها الفَصِيحُ اللّسان، لأنّه يبلُغُ بها ما يريده ولي في هذا بلاغٌ أي كِفاية... وقولهم تبلَّغَتِ القِلَّة بفلانٍ، إذا اشتدَّتْ، فلأنه تناهِيها به وبلوغها الغاية"[1].

وفي الصحاح: " بلَغْتَ المكان بُلوغاً: وصلت إليه، وكذلك إذا شارفتَ عليه. ومنه قوله تعالى: "فإذا بلَغْنَ أَجَلَهُنَّ" أي قارَبْنَهُ. وبَلَغَ الغلامُ: أدرك. والإبْلاغُ: الإيصالُ وكذلك التَبْليغُ، والاسمُ منه البَلاغُ. والبَلاغُ أيضاً: الكفايةُ.... وبالَغَ فلانٌ في أمري، إذا لم يقصِّر فيه... وَتَبَلَّغَتْ به العِلَّةُ أي اشتدّتْ"[2].

"وبلغ: البلوغُ والبلاغُ: الانتهاء إلى أقْصى المقْصِد والمُنْتَهى، مكانًا كانَ أوْ زمانًا أو أمْرًا مِنَ الأمُورِ المُقَدَّرَةِ، وَرُبَّمَا يُعَبَّرُ عَنْ المُشَارَفَةِ عليه وإنْ لمْ ينْتَهِ إليه"[3].

وفي لسان العرب: "بَلغَ الشيءُ يَبْلُغُ بُلُوغاً وبَلاغاً وصَلَ وانْتَهَى وأَبْلَغَه هو إبْلاغاً وبَلَّغَه تَبْلِيغاً، وتَبَلَّغَ بالشيء وصَلَ إلى مُرادِه وبَلَغَ مَبْلَغَ فلان ومَبْلَغَتَه والإبلاغُ الإيصالُ وكذلك التبْلِيغُ والاسم منه البَلاغُ"[4].

بَلَغَ المَكَانَ بُلُوغاً بالضَّمّ: وَصَلَ إلَيْهِ وانْتَهَى ومنْهُ قوْلُه تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ ٱلأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[5]... البُلُوغُ والإبْلاغُ : الانْتِهَاءُ إلى أقْصَى المَقْصِدِ والمُنْتَهَى مَكَاناً كان أو زَماناً أو أمْرَاً منَ الأمُورِ المُقَدَّرَةِ... والبَلاغُ : الاسْمُ منَ الإبْلاغ والتَّبْلِيغِ وهُمَا: الإيصالُ يُقَالُ : أبْلَغَهُ الخَبَرَ إبْلاغَاً وبَلَّغَهُ تَبْلِيغاً"[6]

---

[1] . ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط 1، 1979م، كتاب الباء، ج1، ص 301، 302.

[2] . الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1990م، ج 4، ص 1316.

[3] . الراغب الأصفهاني، مفردات القرآن، مادة بلغ، ص 60.

[4] . ابن منظور، لسان العرب، ج 8، ص 419.

[5] . سورة النحل، الآية: 7.

[6] . الزبيدي، تاج العروس، ج22، مادة(ب ل غ)، ص 444، 448.

ويعني هذا أن كلمة " بلَّغ " تدل بمادتها الأصلية أو بجذرها اللغوي على معنى واحد وهو: الوصول إلى الشيء.

ومنهم من أشار إلى أن البلاغ: اسم من التبليغ... والبلوغ والبلاغ: الانتهاء إلى أقصى الحقيقة، ومنه البلاغة، والأصل فيه أن يجمع الكلام ثلاثة أوصاف: صوابا في موضوع اللغة، وطبقا للمعنى المراد منه، وصدقا في نفسه.

وبلغ الرجل بالضم: أي صار بليغا.

والبليغ: من يبلغ بلسانه كنه ما في ضميره.

والبلغة بالضم: الكفاية وهو ما يكتفي به في العيش.

وتبلَّغ بكذا: اكتفى به.

وتبلَّغت به العلَّة: اشتدَّت[1].

فالبلاغ هو مجرد عملية نشر الخبر أو الأمر. والإبلاغ هو عملية التأكد من أن الإنسان المقصود تبليغه قد وصله البلاغ وأصبح ضمن مدركاته.

ب . اصطلاحا:

اقتصر حدُّ التَّبليغ في الاصطلاح على الجانب الدَّعوي، فهو: "عرض وإيصال

التعاليم والإرشادات إلى الناس، أي إيصال الحقيقة إلى أذهان الناس وعقولهم"[2].

والتبليغ هو إطلاع الناس على الأحكام والمعارف، وهو "بشكل عام: نقل مفاهيم معينة، والعمل على جذب نظر الناس والتأثير فيهم؛ لبنائهم طبقاً لهذه المفاهيم للوصول إلى تحقيق أهداف مختلفة على الصعيد المعرفي، والعقلي والروحي والعقدي والسلوكي والاجتماعي وربما اقتصادي... بغض النظر عمّا تحمله هذه المفاهيم من قيم، أو حقيقة

[1] . الطّريحي، مجمع البحرين ومطلع النيرين، تحقيق السيد أحمد الحسيني، مركز الإشعاع الإسلامي،(دط)، (دت)، ج1 ص242.

[2] . مركز نون للتأليف والترجمة، التبليغ الديني، مفهومه، مضمونه، أساليبه، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 2011م، ص 18. الإخراج الالكتروني: http://www.almaaref.org

أو جزء الحقيقة، ولهذا فإن مسألة التبليغ قضية هامة، ويمكن القول . في دنيا اليوم . أنها تقع على رأس كل الأمور، لأن العالم اليوم يتكئ على مسند التبليغ والإعلام"[1].

وللمبلّغ هدف معيّن يسعى للوصول إليه، لأن "التَّبليغ عملية مقصودة ومدروسة ويجب أن تكون على أسس دقيقة ومتينة؛ لخدمة أهداف عليا مختلفة، فتبني الإنسان من كل جوانبه وأبعاده، وأن دورها هو تلبية احتياجاته المختلفة"[2].

كذلك التركيز على بناء شخصية المتلقي، "فيجب أن يكون طبقاً للمفاهيم الأساسية في الإسلام. وأن تحتوي عملية التبليغ على الصفاء التام، ووضوح الصورة المعطاة؛ لذلك يجب بادئ ذي بدء أن تصان هذه المفاهيم بشكل صحيح، وأن تُتناول صافية نقية؛ لتصل بنسبة النقاء نفسها إلى الشخصية الإنسانية، وتَعمل على التأثير بها"[3].

يتحقق التبليغ إذا أثَّر في الشخصية وأسهم في بنائها، ولا يتأتى ذلك إلا بمعرفة كل ما يتعلق بها؛ من مواصفات، ومشكلات، ومراحل تكوين وغير ذلك.

ج . أبعاد التبليغ التربوية:

1 . في القرآن الكريم

نحاول تتبع أبعاد التبليغ في القرآن الكريم لمعرفة بعض دلالاته "فما ورد في القرآن الكريم من لفظ (بلغ) ومشتقاته يعود في أصله لهذا المعنى. نحو قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾[4]. أي حتّى يصل الهدي المكان المخصَّص له، والغاية أو الهدف هنا مكانيّ"[5].

---

[1] . المرجع نفسه، ص 22.

[2] . عقبات في طريق التبليغ الإسلامي المعاصر، (المؤلف غير مذكور)، الموقع الالكتروني: دار الولاية للثقافة والإعلام، 22 /2007/10، 16.22. http://www.alwelaya.net

[3] . عقبات في طريق التبليغ الإسلامي المعاصر، الموقع السابق.

[4] . سورة البقرة، الآية: 196.

[5] . محمد عصمت بكر، الفرق بين الدعوة والتبليغ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مجلة النبأ الالكترونية، العدد 35، السنة الخامسة، ربيع الثاني، 1420هـ. http://annabaa.org/nba35/tableeg.htm

ونحو قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ﴾[1]، وهو الزمن الذي يك فيه رشد الإنسان ببلوغه أربعين سنة، فالهدف زماني كما يتضح ذلك. ونحو قوله تعالى: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴾[2] فالأمر معنوي يتعلق ببلوغه الحد الذي لا يقبل عذره.

"ومن ثمّ فإنّ معنى التبليغ المراد بيانه هو إيصال شيء إلى شيء آخر، وغالباً ما يُستعمل معنى التبليغ في الأمور المعنويّة ويقلّ في الأمور المحسوسة نحو قولنا: أبْلَغت أو بلّغت زيداً رسالة، أو فلاناً إنذاراً"[3]، قال تبارك وتعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ ﴾[4]، يبين أنه مكلّف لإيصال رسالات الله وكل ما تتضمنه من إرشاد ونصح، "وقد وردت مشتقات لفظ (بلغ) في القرآن الكريم لمقاصد منها:

قوة التوكيد:

﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[5].

والحجة البالغة هنا بمعنى الحجة الواصلة إلى الحد النهائي وهذا التعبير يفيد قوة توكيد الحجة"[6].

ومنها الكفاية:

﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴾[1]، في هذا البلاغ كفاية من القوة لتحقيق الغرض.

---

[1] . سورة الأحقاف، الآية: 15.

[2] . سورة الكهف، الآية:76 .

[3] . محمد عصمت بكر، الفرق بين الدعوة والتبليغ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الموقع السابق.

[4] . سورة الأعراف، الآية: 62.

[5] . سورة الأنعام، الآية: 149.

[6] . محمد عصمت بكر، الفرق بين الدعوة والتبليغ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الموقع السابق.

ومنها قصد الإنذار:

﴿ هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ ﴾[2]، فيه إنذار للناس ليعتبروا، كذلك قوله تعالى: ﴿ بَلَـٰغٌۢ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ ٱلْقَوْمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾[3]، بمعنى هذا بلاغ. حذف المبتدأ لتوجيه الاهتمام إلى الخبر. بمعنى هذا إنذار.

ونجد أن وظيفة النبي . صلى الله عليه وسلم . هي التبليغ، لذلك تقتضي البيان والتفصيل والتوضيح، وهذا ما قامت به السنة النبوية الشريفة.

وما كان يترك . عليه السلام . أمرا مما أمر بتبليغه، كما أنه لم يترك شيئا مما أمر بتبليغه دون بيان، فكلا الأمرين؛ التبليغ والبيان، من صميم الرسالة:

قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[5].

ونشير في سياق الآية السابقة أنّ التبليغ من البلاغ، "فعملية البلاغ هي عملية نقل من شخص إلى آخر دون التأكد من الشخص المنقول إليه البلاغ وصله الخبر...لذا قال:(بلّغ ما أنزل إليك)، ولو قال أبْلغ ما أنزل إليك من ربّك، لوجب على النبي أن يتأكد من أنَّ كل إنسان معني بهذا البلاغ قد أدرك ووعى محتويات البلاغ...

وفي هذه الحالة يجب أن يطوف الدنيا ويتأكد أن كل شخص وصله البلاغ، ولأنَّ هذا يتعذر كلَّ التعذر، فقد قال في حجَّة الوداع: "ألا ها بلَّغت"، ولم يقل ألا هل أبلغت"[6] لأن

---

[1] . سورة الأنبياء،الآية: 106.

[2] . سورة إبراهيم، الآية: 52.

[3] . سورة الأحقاف، الآية: 35.

[4] . سورة المائدة، الآية: 69.

[5] . سورة النحل،الآية: 44.

[6] . محمد شحرور، الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، سورية، ط7، 1994م، ص 148.

همزة الفعل (أبلغ) تفيد معنى التعدية . في اللسان العربي . لذلك "لم يكن مطلوبا من النبي . صلى الله عليه وسلم . أكثر من البلاغ... فالبلاغ هو مجرد عملية نشر الخبر أو الأمر، والإبلاغ هو عملية التأكد من أنّ الإنسان المقصود تبليغه، قد وصله البلاغ وأصبح ضمن مدركاته"[1]، وكلما اتسع نطاق الخطاب كان التبليغ، وكلما ضاق كان الإبلاغ، ويتحقق هذا الأخير في المدارس، وصفوف الدراسة.

2 . في السنة النبوية

فكلمة " بلّغ " فيها توكيد، والتوكيد يتضمن معنى التكرار أي أن هذا الموضوع على درجة من الأهمية، بحيث يجب إبلاغه إلى الناس دفعات، وبصورة مكررة.

كما وردت لفظة (بلّغ) في الحديث الشريف منها:

عن عبد الله بن عمرو: أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: "بلّغوا عنّي ولو آية وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمّدا فليتبوّأ مقعده من النّار"[2].

وفي لفظ التبليغ يتحدد دور المتلقي لرسالة الإسلام، فهو بدوره مطالب بالتبليغ ولو أدنى شيء، في قوله "ولو آية"، وهنا نقف على مهمّة المكلف في توصيل المعلومة إلى المتعلمين، وذلك قدر استطاعتهم، "ولو آية" أي واحدة ليسارع كل سامع إلى تبليغ ما وقع له من الآي ولو قل ليتحمل بذلك نقل جميع ما جاء به الرسول . صلى الله عليه وسلم . "[3].

وعن ابن عبّاس- في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾[4] قال: المعنى بلّغ جميع ما أنزل إليك من ربّك، فإن كتمت شيئا منه فما بلّغت رسالته؛ وهذا تأديب للنّبيّ صلّى الله

[1] . المرجع نفسه، ص 148.

[2] . البخاري، كتاب الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم: 3274، ج 3، ص 1275.

[3] . ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج6، ص 498.

[4] . سورة المائدة، الآية: 69 .

عليه وسلّم، وتأديب لحملة العلم من أمّته ألاّ يكتموا شيئا من أمر شريعته، وقد علم الله تعالى من أمر نبيّه أنّه لا يكتم شيئا من وحيه[1].

وقال الإمام ابن تيمية: أمر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم الأمّة أن يبلّغ عنه من شهد لمن غاب، ودعا للمبلّغين بالدّعاء المستجاب، فقال في الحديث الصّحيح: "بلّغوا عنّي ولو آية، وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمّدا فليتبوّأ مقعده من النّار"، وقال أيضا في خطبته في حجّة الوداع: "ألا ليبلّغ الشّاهد الغائب، فربّ مبلّغ أوعى من سامع"[2].

قال القرطبيّ في قوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾[3]، أي ومن بلغه القرآن، وقيل: ومن بلغ الحلم. ودلّ بهذا على أنّ من لم يبلغ الحلم ليس بمخاطب ولا متعبّد"[4].

وما توصلنا إليه: أن لفظ (التبليغ) يدل في الاستعمال اللغوي العام والاستعمال القرآني على توصيل أو إيصال الشيء إلى الآخر.

ومما لا شك فيه أنّ وظيفة التبليغ تعدُّ أشرف وظيفة في الدنيا؛ لأنها تخص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإنّ الله سبحانه وتعالى لم يكلّفهم . وهم أشرف المخلوقات . بمهمة أخرى سوى التبليغ. ومن ثم إذا استطاع الإنسان أن يكون مبلّغاً لدين الله، فهذا يعني أنّه وضع أقدامه وخطاه في موضع أقدام الأنبياء (عليهم السلام) وسلك مسلكهم.

"هناك التفاتة لطيفة في القرآن الكريم تكشف عن أهمية التبليغ أقدّم لها بمقدّمة وهي: أنّ الناس . كما نلاحظ عادة . مترتّبون في الأمور العامة وفق سلسلة من المراتب يتم حسبها تبليغ الأوامر من الأعلى وصولاً إلى مرحلة التنفيذ في المراتب الدنيا، أي أنّ

---

[1] . القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، صححه: هشام سمير البخاري، دار الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط2، 2003م، ج6، ص 242.

[2] . ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج1، ص11.

[3] . سورة الأنعام، الآية: 19.

[4] . القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ج6، ص 399.

الأعلى يأمر الذي هو دونه، وهذا يأمر الأدنى منه، والأدنى فالأدنى حتى تنتهي سلسلة المراتب عند حلقة التنفيذ"[1].

أما في القرآن فهي أنّه عندما يتوجّه الخطاب للنبي . صلى الله عليه وسلم . بالتبليغ، يأمره الله أن يقوم به مباشرة وبلا واسطة، يقول تعالى مخاطباً نبيّه الكريم: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[2]، ويقول: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ ﴾[3]، ويقول: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ ﴾[4]، ويقول: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾[5]، وهكذا؛ وهذا يعني المباشرة في التبليغ.

3 . في اللسانيات

أما التبليغ في اللسانيات فيراه البعض مرادفا للتواصل، وله العناصر نفسها التي جاء بها (رومان جاكبسون Roman Jakobson)؛ يقول عمر بلخير: "يعدّ اللّساني رومان جاكبسون مؤسّس هذه المقاربة (المقاربة التبليغية)، وذلك بحصره مكوّنات العملية التبليغية في ستة عناصر :المرسِل، والمتلقي، والوضع، والمرجع، والقناة والخطاب، وقد أسند لكلّ عنصر من هذه العناصر وظيفة: الوظيفة التعبيرية للمرسِل، والوظيفة الإفهامية للمتلقي، والوظيفة الاصطلاحية للوضع، والوظيفة المرجعية للمرجع، والوظيفة الانتباهية للقناة، وأخيرا الوظيفة الشعرية للخطاب، لقد اعتبر الوظيفة الإفهامية أهمّ وظيفة، وباقي الوظائف تتمحور حولها، لأنّ التّبليغ هو الماهية الأولى للّغة، يعترف (ياكبسون) نفسه أنّه من الصّعب إيجاد

---

[1] . أهمية التبليغ، الموقع الالكتروني: http://www.alshirazi.com يوم 25/ 10/ 2010م، الساعة 15.10.

[2] . سورة الأحزاب، الآية: 59.

[3] . سورة الأنفال، الآية: 38.

[4] . سورة الجاثية، الآية: 14.

[5] . سورة الكافرون، الآية: 1.

خطابات تنحصر، تماما، في وظيفة من هذه الوظائف الست، ومنه فإنّ الصّيغة الكلامية لأيّ خطاب تخضع للوظيفة المهيمنة"[1].

كما يرى البعض أن هذه النظرية تتشابه في مهمتها الرسالية، من حيث العناصر والأبعاد التعليمية، لذلك نصوغ أربعة أسئلة من أجل وضع منهجية علمية لتطبيق هذه النظرية، وهي كالآتي:

. لماذا نبلّغ؟

. ماذا نبلّغ؟

. من نبلّغ؟

. كيف نبلّغ؟

يشير السؤال الأول إلى أهداف العملية التبليغية، أما السؤال الثاني فيشير إلى المعلومات والمادة العلمية المراد تبليغها، أما السؤال الثالث فيشير إلى الأشخاص المراد تبليغهم أي (المبلَّغين)، أما السؤال الرابع فيشير إلى الأساليب والوسائل المستخدمة في عملية التبليغ.

رابعا: التداولية مفهومها وخصائصها

أ . مفهوم التداولية

لعل أقدم مفهوم للتداولية ما جاء في تعريف الفيلسوف الأمريكي (تشارلز موريس Charles Moris) الذي استخدمه سنة 1938، على أنه "فرع من فروع علم العلامات، إذ إن التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلامة ومستعملي هذه العلامات"[2].

وقد لاحظنا كثرة المفاهيم وتشعب التعريفات لهذا الاتجاه، "إذ يمكن القول بوجود تداوليات؛ تداولية اللسانيين، وتداولية البلاغيين، وتداولية المناطقة، والفلاسفة، مما يجعل عملية حصره بدقة إجراء يكتسي صعوبة تقنية"[3]. ومنه تعددت مفاهيمها، فهناك من عرفها

---

[1] . عمر بلخير، الخطاب وبعض مناهج تحليله، مدونة على الشبكة العنكبوتية.omarbelkheir.wordpress.com

[2] . فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة د.سعيد علوش، مركز الانتماء القومي، بيروت،الطبعة الأولى 1986م، ص 8.

[3] . إدريس مقبول، الأسس الابستمولوجية والتداولية، للنظر النحوي عند سيبويه، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2007م، ص 263.

أنها "اتجاه في الدراسات اللسانية، يعنى بأثر التفاعل التخاطبي في موقف الخطاب، ويستتبع هذا التفاعل دراسة كل المعطيات اللغوية والخطابية المتعلقة بالتلفظ ولاسيما المضامين، والمدلولات التي يولدها الاستعمال في السياق"[1].

ومنهم من حدد لها معطيات وتتمثل في:

. معتقدات المتكلم ومقاصده، وشخصيته وتكوينه الثقافي ومن يشارك في الحدث اللغوي.

. الوقائع الخارجية، ومن بينها الظروف المكانية والزمانية والظواهر الاجتماعية المرتبطة باللغة.

. المعرفة المشتركة بين المتخاطبين، وأثر النص الكلامي فيها[2].

ومنهم من يلخص التداولية في دراسة الآثار اللغوية التي تظهر من الخطاب، وتنظر في عنصر الذاتية للخطاب، ويشمل هذا التداول ضمائر الشخص ومبهمات الزمان والمكان، وينظر في الجانب الضمني والتلميحي، والحجاجي للكلام، والسياق يفرض على الباحث احترام مجموعة من قوانين الخطاب في أثناء مخاطبته للآخر[3].

أما حدّ الخطاب التداولي عند (فان ديك) فهو "الذي يهتم بالعلامات المطردة الموجودة بين بنيات النص والسياق"[4].

وترى (فرانسواز أرمينكو Francoise Armingaud) أن التداولية "ظاهرة خطابية وتواصلية، واجتماعية، وعرَّفها (آن ماري ديلر Anne –Marie Diller)، و(فرانسوا ريكاناتي François Récanati) "أنها دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية"[5].

---

[1] . عثمان بن طالب، البراغماتية وعلم التراكيب، الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات، الجامعة التونسية، تونس، 1980م، ص 125.

[2] . انظر: طه عبد الرحمن، البحث اللساني والسيميائ، ندوة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، جامعة محمد الخامس، 1980م، ص 301.

[3] . انظر: مجيد الماشطة، شظايا لسانية، مطبعة السلام، البصرة، العراق، ط1، 2007م، ص 59.

[4] . فان ديك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2000م،ص 275.

[5] . فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 8.

ويدل هذا على أن التداولية توفر لنا الآليات المناسبة التي تخولنا كشف مضامين الخطاب، وسبر أغواره، وتمكّن الفرد من ملكة تحليل البنى التي يتركب منها النص.

ومنهم من يعطيها مفهوما عاما بقوله: "إن التداولية أحدث فروع العلوم اللغوية وخصائصها خلال إجراءات التواصل بشكل عام"[1].

وعليه فهي دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل، فالمعنى غير مقتصر على المتكلم أو المخاطب، أو متأصلا في الكلمات، وإنما يشمل الكلّ أثناء تداول اللغة بين مستعمليها وفي سياق محدد.

أما منطلقاتها الأولى فتعود إلى أعمال فلاسفة اللغة المنتمين إلى التراث الفلسفي لجامعة أكسفورد (Oxford) وهم: (جون أوستين John Austin ، وجون سيرل John Searle، وبول غرايس H. Paul Grice)، حيث وضعوا نواة التداولية، ونشروا بحوثا فتحت آفاقا واسعة، فتولدت عنها أسئلة واهتمامات كانت مسوّغة للاعتراف بالتداولية بوصفها أحدث بحث أفرزته اللسانيات الحديثة.

وتوضح الدراسات أن (أوستين) عندما ألقى " محاضرات وليام جيمس " عام 1955 لم يكن يفكر في تأسيس اختصاص فرعي للسانيات ، فلقد كان هدفه تأسيس اختصاص فلسفي جديد هو فلسفة اللغة، بيد أن تلك المحاضرات كانت بوتقة التداولية اللسانية وانطلق من ملاحظة بسيطة، مفادها أن كثيرا من الجمل التي ليست استفهامية أو تعجبية أو أمرية، لا تصف مع ذلك أي شيء، ولا يمكن الحكم عليها بمعيار الصدق أو الكذب، فهي لا تستعمل لوصف الواقع بل لتغييره، فجملة (آمرك بالصمت) يسعى قائلها إلى فرض الصمت على مخاطبه، أي ينتقل من حالة ضجيج إلى حالة سكون"[2].

وانطلاقا من هذه الملاحظات توصَّل (أوستين) إلى تقسيم الجمل إلى وصفية وإنشائية؛ فالوصفية هي التي تقابل في العربية (الجمل الخبرية)، ويمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، فهي صادقة إذا كان الوضع الذي تصفه قد تحقق فعلا في الكون

---

[1] . صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، عدد 164، 1992م، ص 8.

[2] . انظر: آن روبول ، وجاك موشلار ، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، دارالطليعة للطباعة والنشر بيروت لبنان ، ط١ ، 2003م ، ص 30.

وهي كاذبة بخلاف ذلك، "وتتفرد الجمل الإنشائية بعدد معين من الخصائص لا توجد في الجمل الوصفية، من ذلك أنها تسند إلى ضمير المتكلم في زمن الحال، وتتضمن فعلا من قبيل (أمر) و (وعد) و (أقسم)... ويفيد معناها على وجه الدقة إنجاز عمل وتسمى هذه الأفعال أفعالا إنشائية...لا تقبل الحكم عليها بمعيار الصدق والكذب، بل يتم الحكم عليها بمعيار التوفيق والإخفاق"[1]. فعندما يخاطب الرسول . صلى الله عليه وسلم . الناس بقوله: "إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ". فَقَالُوا مَا لَنَا بُدٌّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا. قَالَ: "فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجَالِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا". قَالُوا وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: "غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلاَمِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ"[2].

ففي الخطاب تحذير من الجلوس في الطرقات، ولكن هل تحقَّق فعل التحذير؟

نرى أن الصحابة لم يمتثلوا لذلك، فهذا ليس معناه أن الفعل كان صادقا، أو كاذبا وإنما ندرك أن المخاطَبين بيَّنوا أن ليس لهم مكانا آخر يجلسون فيه "فَقَالُوا مَا لَنَا بُدٌّ إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا"، لذلك أرشدهم إلى ما ينفعهم إن اتخذوا الطريق مجلسا وهنا يمكن القول إن الفعل كان موفَّقا بعد معرفتهم حقَّ الطريق إن أرادوا المكوث فيها لحاجياتهم.

وقد ظن أوستين في البداية أن هذا التقسيم بسيط، ولكنه اكتشف بعد ذلك أن بعض الجمل الإنشائية غير مستندة لضمير المتكلم في زمن الحال، ولا تتضمن فعلا إنشائيا مثل: (رفعت الجلسة)، وقد قادته هذه الملاحظة إلى تمييز جديد لا يزال مقبولا إلى يومنا هذا، فهو يقرّ بأن كل جملة تامة مستعملة تقابل إنجاز عمل لغوي واحد على الأقل، وميز بين ثلاثة أنواع من الأعمال اللغوية؛ العمل القولي، والعمل المتضمّن في القول، وعمل التأثير بالقول"[3].

ولتوضيح ذلك نعود إلى المثال السابق، فمجرد التلفظ بعبارة (إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ) يكون الرسول . صلى الله عليه وسلم . قد قام بعملين معا؛ فالأول إنجاز عمل قولي يتمثل في نطقه بجملة: (إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ)، والثاني ينجز عملا

---

[1] . المرجع السابق، ص 31.

[2] . البخاري، كتاب المظالم، باب: أفنية الدور والجلوس فيها والجلوس على الصعدات، رقم: 2333، ج2، ص 870.

[3] . انظر: آن روبول ، وجاك موشلار ، التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، ص 31.

متضمنا في القول، وهو تحذير موجَّه إلى المخاطَبين، ليتجنبوا الجلوس في الطرقات ومن جهة أخرى يقوم المخاطبون بإنجاز ثلاثة أعمال ؛ فالأول عمل قولي، وهو نطقهم بجملة: (مَا لَنَا بُدٌّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا).

والثاني عمل متضمَّن في القول، وهو عدم رغبتهم في التخلي عن الجلوس في الطرقات، والثالث وهو عمل تأثيري ويتمثل في إقناع الرسول . صلى الله عليه وسلم . بتركهم يقومون بأعمالهم لأنها مجالسهم التي تجمعهم للحديث وغيره، وذلك بعد أن بين لهم حق الطريق الواجب التقيد به إن رغبوا في البقاء.

"وهكذا تخلى أوستين في هذه المرحلة الثانية عن تمييز الجمل الإنشائية من الجمل الوصفية،...وأقر بأن كل جملة بمجرد التلفظ بها على نحو جاد توافق على الأقل إنجاز عمل قولي وعمل متضمن في القول، وتوافق أحيانا كذلك القيام بعمل تأثير بالقول وأفرد محاضراته الأخيرة لتصنيف مختلف أنواع الأعمال المتضمنة في القول"[1].

وقام (أوستين) بتصنيف الأفعال الكلامية على أساس قوتها الإنجازية إلى:

1 . أفعال الحكم verdictifs

2 . أفعال الممارسة exerctifs

3 . أفعال السلوك comportatifs

4 . أفعال الوعد promissifs

5 . أفعال العرض expositifs [2]

إلا أن تلميذه (سيرل) اقترح تصنيفات أخرى للأفعال الكلامية بعد أن لمس بعض الاضطرابات في تصنيف (أوستين)، وجعلها خمسة أصناف حسب القوة الإنجازية للأفعال الكلامية، وهي:

1 . أفعال تمثيلية Représentatifs

2 . أفعال توجيهية Directifs

3 . أفعال التزامية Commisifs

---

[1] . المرجع السابق، ص 32.

[2] . انظر: أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، ط1، 1991م، ص 176.

4 . أفعال تعبيرية Expressifs

5 . أفعال إعلانية Déclaratifs [1]

ثم تباينت الآراء حول الفعل الإنجازي من قبل لغويين أتوا بعد "أوستين" و"سيرل" وركز اللسانيون في مجال الدرس التداولي على طائفة من الجوانب مثل:

. المعينات Déictiques: وهي العناصر الهامة في اللغة والتي لا يستطاع تفسيرها بمعزل عن المقام، لأن في كل اللغات كلمات وتعبيرات تعتمد كليا عليه ولا يتحدد معناها إلا في إطاره، وتشمل الضمائر وأسماء الإشارة، وزمان الفعل، وبعض ظروف المكان والزمان، نحو: أنا، وأنت، وهنا، وهناك، والآن وغدا والأمس ...

. الافتراض المسبق Présupposition: وهو مفهوم تداولي حيث إن المعنى المستنتج ضمن محادثة ما يكون معلوما للمتكلم والمخاطب.

. الاستلزام الحواري Conversationnel Implicature: ويمثل جانبا مهما في الدرس التداولي وهو نقيض الافتراض المسبق، فإذا كان المعنى المستنتج غير معروف للمخاطب مسبقا فإن الاستنتاج يدخل في إطار الاستلزام الحواري أو ما يعرف بتضمن المحادثة.

. الأفعال الكلامية Les actes de langage: وقد أسس هذه النظرية الفيلسوف الإنجليزي (أوستين)، "فهو يرى أن وظيفة اللغة الأساسية ليست إيصال المعلومات والتعبير عن الأفكار، إنما هي مؤسسة تتكفل بتحويل الأقوال التي تصدر ضمن معطيات سياقية إلى أفعال ذات صبغة اجتماعية"[2].

كما تعد هذه النظرية من الموضوعات الهامة في الدرس التداولي، وأفعال الكلام ما ينجزه المتكلم، فبمجرد التلفظ في سياق مناسب ينجز عملا، وتوظف في مواقف تعبيرية حسب سياق التلفظ، كطلب تنفيذ أمر ما، أو طلب الاعتذار، أو تمني، أو رجاء، وهكذا وقد تتحقق هذه الأفعال وتكون موفقة، أو لا تتحقق فنقول أخفق المتكلم في إنجاز فعل القول.

وكل فعل كلامي إلا ويتكون من ثلاثة أفعال متداخلة كما يراها (أوستين):

---

[1] . انظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، بيت الحكمة، للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط1، 2009م، ص 99.

[2] . عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي، ص 155.

أ- الفعل القولي L'acte Locutoire: وهو التلفظ بجملة تفيد معنى انطلاقا من معنى ألفاظها، إنه بعبارة أخرى فعلٌ ما لقول شيء ما (الفعل هنا قول) .

ب-الفعل الإنجازي L'acte Illocutoire: وهو فعل أمر أو استفهام أو طلب أو تعجب أو نداء ...الخ، إنه فعل ينجز عندما نقول شيئا ما، وهذا الفعل لا يكون متحققا سطحيا في الجملة (الفعل هنا إنجاز) .

ج-الفعل التأثيري L'acte Perlocutoire: وهو فعل إقناع شخص بشيء، أو إزعاج شخص، أو حمل شخص ما على كلامنا، إنه أثر الفعل الإنجازي[1].

ونجد ذلك في خطاب الرسول عليه السلام:

عَنْ حَارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ الْخُزَاعِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَاعِفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ. أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ* جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ "[2].

ويتمثل الفعل القولي في ما جاء من ألفاظ الحديث، أي ما قاله الرسول . صلى الله عليه وسلم . حيث تلفظ بإخبار الناس من هم أصحاب النار، ومن هم أصحاب الجنة

أما الفعل الإنجازي فيتمثل في صيغة الاستفهام "ألا أخبركم؟" وقد كان النبي . صلى الله عليه وسلم . يوظف هذا الأسلوب قصد إثارة انتباه المتلقين، ليستعدوا لتلقي الرسالة، وتتحقق قوته الإنجازية في الترغيب والترهيب؛ يرغبهم ليكونوا من أهل الجنة، ويرهبهم من أن يكونوا من أهل النار.

أما الفعل التأثيري فمؤداه الإفادة التي تلقاها المخاطبين عقب هذا التنبيه، هل سيتأثرون بما أفادهم المبلغ، فيمتثلوا لذلك فيكونوا من أهل الجنة بتمسكهم بأخلاق التواضع والسكينة، أم يعرضون عن القول، فيصبحوا عتاة متكبرين ومتجبرين على الحق، فيكون مصيرهم النار، وبئس القرار.

---

[1] . عبد المجيد جحفة ، مدخل إلى الدلالة الحديثة ، دار توبقال للنشر الدار البيضاء ،ط1 ،2000م ،ص 03 .

* عتل: الشديد الغليظ، وجواظ: فيه زيادة من سوء الأخلاق.

[2] . البخاري، كتاب الأدب، باب: الكبر، رقم:5723، ج5، ص 2255.

وهنا يؤكد (أوستين) أننا عندما نتلفظ بقول نقوم بهذه الأفعال الثلاثة دون الفصل بينها كما وجه اهتمامه إلى الفعل الإنجازي L'acte Illocutoire ، حتى أصبح لبّ النظرية فسميت " النظرية الإنجازية ".

ب . خصائص التداولية

بما أن التداولية أساسها الفعل الكلامي، نجدها تهتم بالطرق الخاصة في استعمال اللغة، ولذلك يلجأ المبلّغ إلى تصنيف الأساليب حسب القدرة على التعبير عن المقاصد لتتيح له تجاوز التبليغ إلى التأثير في المتلقين، وتزود التداولية المبلغ بآليات ناجعة لتحقيق المقاصد.

ومن جهة أخرى يمثل البعد التداولي نواة العملية التربوية، إذا اقتصر دوره على تزويد المتعلم كل أساسيات التعليم، بعيدا عن التلقين المملّ الذي يثقل ذهن المتلقي فتكون النتائج غير موفقة، وهذا ما يؤكده أحدهم بقوله: "هناك شعار واحد يشغل أهل هذا الاختصاص الملكة والتبليغ؛ أي تزويد المتعلم أو المتعلمين بالأدوات التي تمكنهم من التحرك بواسطة الكلام تحركا يلائم المقام والمقاصد المراد تحقيقها، إن الأمر لم يعد يتعلق بتلقين بنية نحوية معينة، بل إنه يتعلق بتوفير الوسائط اللسانية التي تسمح للمتعلم بإجراء اختيار بين مختلف الأقوال وذلك بحسب المقام"[1].

وفي هذا المقام نرى أن اللسانيات التداولية لها إسهامات في مجال التربية والتعليم ولا بد من استثمار كل ما تتطلبه العملية التربوية حسب المواقف الكلامية، ولا بد من إعطاء الأولوية لمفهوم التبليغ على اللغة، "لقد بات أساسيا توسيع مجال المكتسبات من جهة وقلب ترتيب الأولويات من جهة أخرى، ذلك لأن مفهوم التبليغ هو الذي يجب أن يكون الأسبق والمحرك، وليس اللغة، لأن الاهتمام بالمتعلم يعني الاعتراف الكلي بأن هدفه هو التبليغ لا أحكام اللغة وحذقها، وأن هذا الوجه الأخير ليس سوى وسيلة وليس غاية في حد ذاته، ووسيلة واحدة ضمن وسائل أخرى"[2]، وفيه دعوة لمراعاة جانب التبليغ للمتكلم.

---

[1] . جيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1992م، ص 46.

[2] . المرجع السابق، ص ص 48 – 49.

وقد قدم الفيلسوف الأمريكي (بول غرايس Paul Grice) مجموعة من المبادئ يتبعها المشاركون في الخطاب، ولها أبعاد تربوية، حيث يشتمل على أربع قواعد سلوكية عامة هي:

1- قاعدة الكم Quantité : و له فرعان :

أ- لتكن إفادتك المخاطب على قدر حاجته

ب- لا تجعل إفادتك تتعدى القدر المطلوب

2- قاعدة الكيف Qualité: لا تقل ما تعلم كذبه ولا تقل ما ليست لك عليه بينة

3- قاعدة المناسبة Relation : ليناسب مقالك مقامك .

4- قاعدة الطريقة أو الهيئة Modalité: تجنب الغموض وكن واضحا، ولتحترز من الإجمال ورتب كلامك مع الإيجاز[1].

ويرى طه عبد الرحمان أن (غرايس) قد اهتم بالجانب التبليغي من التخاطب وأسقط الجانب التهذيبي، إلا أننا نجد (غرايس) يشير إلى هذا الجانب في عبارته التي جاء فيها: "هناك أنواع شتى لقواعد أخرى جمالية واجتماعية وأخلاقية من قبيل " لتكن مؤدبا" التي يتبعها المتخاطبون في أحاديثهم والتي قد تولد معاني غير متعارف عليها"[2].

ونجد كل خطاب تربوي في صحيح البخاري إلا وتضمن هذه المبادئ، ولتوضيح هذا المبدأ نذكر الحديث الآتي:

عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ". فَقَالُوا يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: "يَعْمَلُ بِيَدِهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ". قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: "يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ". قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: "فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ".[3]

فمن خلال الحوار الوارد في هذا الحديث، يتضح لنا أن إجابة الرسول . صلى الله عليه وسلم . كانت:

---

[1] . انظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998م ، ص238.

[2] . المرجع نفسه، ص 239.

[3] . البخاري، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، بَابُ: عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، رقم:1376، ج2، ص 524.

واضحة ←—— الطريقة.

وصادقة ←—— الكيف.

واستخدم القدر المطلوب من الكلمات دون إطالة ←——الكم.

وإجابته ذات صلة وثيقة باستفسار السائلين ←—— المناسبة.

فوضح المبلّغ للمتلقين كل أبواب الخير التي غابت عنهم، وأرشدهم إليها وفق القواعد السلوكية السابقة.

ونتبين أن اللسانيات التداولية بكل آلياتها لها خاصية استجلاء مكامن الخطاب التربوي، كما تفيد في العملية التعلمية لدى المتلقين بكل أصنافهم.

خامسا: التعريف بالمدونة

أ . صحيح البخاري

يعد كتاب (صحيح البخاري) أصح الكتب بعد القرآن الكريم، وقد اشتهر قديما وحديثا في أكثر كتب الفقه والتفسير، والحديث وغيرها من كتب المكتبة الإسلامية وعلى ألسنة الكثير من الناس[1].

أما أصل (صحيح البخاري) فقد لخصها ابن حجر بقوله: " تقرر أنه التزم فيه الصحة، وأنه لا يورد فيه إلا حديثا صحيحا، هذا أصل موضوعه، وهو مستفاد من تسميته إياه (الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وسننه وأيامه)، ومما نقلناه عنه من رواية الأئمة عنه صريحا، ثم رأى أن لا يُخْليه من الفوائد الفقهية، والنكت الحكمية، فاستخرج بفهمه من المتون معاني كثيرة، فرقها في أبواب الكتاب بحسب تناسبها، واعتنى فيه بآيات الأحكام، فانتزع منها الدلالات البديعة وسلك في الإشارة إلى تفسيرها السبل الوسيعة"[2].

[1] . انظر: ابن حجر العسقلاني، هدي الساري، مقدمة فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد القادر شيبة الحمد، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، الرياض، ط1، 2001م، ص 8.

[2] . ابن حجر العسقلاني، هدي الساري، ص 10.

أقدم الإمام البخاري على تأليف هذا الكتاب لما سمعه من أستاذه، بقول: "كنا عند إسحاق بن راهويه فقال: لو جمعتم كتابا مختصرا لصحيح سنة رسول الله . صلى الله عليه وسلم . قال البخاري: فوقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع الجامع الصحيح"[1].

ولمكانته العلمية اتفق العلماء أن مصنف (صحيح البخاري) أصح الكتب بعد القرآن الكريم، و"أول من صنف في الصحيح البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، وتلاه أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، ومسلم مع أنه أخذ عن البخاري استفاد منه فإنه يشارك البخاري في كثير من شيوخه وكتاباهما أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز"[2]. كما بينوا أن "الصحيحين: البخاري ومسلم"، تلقتهما الأمة بالقبول، وكتاب البخاري أصحهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة، وقد صح أن مسلما كان يستفيد من البخاري ويعترف بأنه ليس له نظير في علم الحديث"[3].

وقد مكث الإمام البخاري في تصنيف جامعه وتهذيبه ستة عشرة سنة، لأنه جمعه من ألوف مؤلفة من الأحاديث الصحيحة[4]، وكان لا يضع حديثا في كتابه إلا اغتسل قبل ذلك وصلى ركعتين، وابتدأ تأليف كتابه في المسجد الحرام والمسجد النبوي، ولم يخرجه للناس إلا بعد مراجعته وتنقيحه.

ويكفيه فخرا أن شهد له أساطين العلم وجهابذته، ومما شهدوا:

. قال قتيبة بن سعيد: "جالست الفقهاء والزهاد والعباد، فما رأيت منذ عقلت مثل محمد بن إسماعيل البخاري وهو في زمانه كعمر في الصحابة"[5].

. وقال عنه الإمام الذهبي: "كان رأسا في الذكاء، رأسا في العلم، ورأسا في الورع والعبادة"[6].

---

[1] . المصدر نفسه، ص 9.

[2] . ابن حجر العسقلاني، هدي الساري ، ص 12.

[3] . النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1994م، ج1، ص 47.

[4] . هدي السلري، ص 7.

[5] . ابن حجر العسقلاني، مقدمة فتح الباري، ص 482.

[6] . الذهبي ، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1، 1998م، ج2، ص 555.

. وقال إسحاق بن راهويه: "يا معشر أصحاب الحديث انظروا إلى هذا الشاب واكتبوا عنه، فإنه لو كان في زمن الحسن بن أبي الحسن، لاحتاج إليه الناس لمعرفته بالحديث وفقهه"[1].

كما استحسنه شيوخه بعد أن عرضه عليهم، وكان منهم جهابذة الحديث، مثل: أحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، ويحيى بن معين، فشهدوا له بصحة ما فيه من الحديث.

ولأهمية ما ورد اخترنا هذا المصنف ليكون مناط الدراسة.

ب . سبب اختيار صحيح البخاري

جاء اختيارنا للخطاب التربوي في صحيح البخاري ليكون مادة للبحث، لمسوغات عديدة منها:

إدراكنا أن الإمام البخاري من أبرز العلماء المحدثين، وأن كتابه من أصح الكتب بعد القرآن الكريم، وعرفنا ما يحتويه من مادة علمية، وإسهامات تربوية، فكيف لا يكون مجال بحث لاستكناه تنوع الأساليب التعليمية التي مارسها الرسول . صلى الله عليه وسلم . في تربيته لأصحابه.

وجدنا فيه الكثير من النظريات والتطبيقات العملية ما يوافق كثيرا من مناحي الحياة.

ولذا أردنا أن يكون هذا البحث إسهاما في خدمة التربية، والدعوة إلى الإفادة من كل الوسائل التعليمية الواردة في الخطاب التربوي النبوي، والاسترشاد بها في توجيه تربيتنا وتعليمنا المعاصر.

كذلك ما رأيناه من ابتعاد الناس عن المناهج القويمة المنبثقة عن الكتاب والسنة واتباعهم النظريات والمناهج الغربية، وإقصاء كل ما يمت إلى أصالتنا، وإثارة الشكوك حول معتقداتنا، وجلب لنا تربية حديثة هي ثمرة من نظريات العلم والتعليم الغربية التي تقوم على أساس فصل الدين عن الدولة، فأنتجت لنا جيلا يحمل كل التناقضات وبهذا " أوجدت في العالم الإسلامي الشخصية المتناقضة في الفكر والسلوك حتى أصبح الجيل

[1] . الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت)، ج2، ص 27.

المسلم ركاما من التناقضات، ونهبا للعديد من الأفكار، وأصبح غارقا في محيط النظريات والآراء، وأضحى لا لون له ولا ميزة"[1].

ولذلك بعث الله نبيه محمداً . صلى الله عليه وسلم . معلماً ومزكياً، ومبشراً ونذيراً ﴿هُوَ ٱلذِى بَعَثَ فِى ٱلأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَالْحِكْمَةَ﴾[2]؛ فعن جابر بن عبد الله . رضي الله عنه . أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "إن الله لم يبعثني معنِّتاً ولا متعنتاً*، ولكن بعثني معلماً ميسراً"[3]، فالحكمة مِنْ بَعْث النبي . صلى الله عليه وسلم . أن يعلِّم الناس، ولذا كانت حياته . صلى الله عليه وسلم . كلها تربية وتعليم، مما يجعلها غنية جداً بالأساليب التربوية والتعليمية.

كذلك ما لمسناه من تغريب المنظومة التربوية لإبعاد المتعلمين عن ثقافتهم الدينية وهويتهم وأصالتهم، فنرى جيل اليوم لا يفقه شيئا إلا ما ورثه عن أبويه من أبجديات لا تكاد تعينه على فهم دينه.

فالخطاب النبوي من أعرق النصوص وأقدسها وأفصحها بعد القرآن الكريم، ومن خصائصه التبليغ والتداول، وخطابه شاملا يستفيد منه كل متلق، كما يمتاز ببنائه اللغوي المشحون بالسمات التواصلية التي تحاور وتستفهم وتسرد وتقرر وتؤكد، وهي أساليب تربوية ناجعة.

كذلك يعد من أرقى الخطابات فصاحة، لما يتفرد به من خصائص لغوية وبلاغية ومنطقية في بناء النص الخطابي، كما أنه خطاب مألوف، وقريب من لغة الحياة اليومية للمتلقين.

---

[1] . عز الدين التميمي و بدر إسماعيل سمرين، نظرات في التربية الإسلامية، دار البشير عمان، ط1، 1985م، ص 5.

[2] . سورة الجمعة، الآية: 2.

* . المعنَّت: الذي يوقع غيره في العنت، والعنت له معان كثيرة والمناسب منها هنا: المشقة، والأذى، والتعنت: هو الذي يطلب زلة الآخر وأذاه.

[3] . رواه مسلم، صحيح مسلم المسمى المسند الصحيح المختصر من السنن، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 2006م، كتاب الطلاق، باب: أن تخيير المرأة لا يكون طلاقا إلا بالنية، رقم: 1479، ص 681.

وإذا تحدثنا عن الخطاب، وخصصناه ببعض التعريفات، توضيحا لمدلوله اللغوي والاصطلاحي، وكذلك استعمالاته سواء عند الأصوليين، أو عند المحدثين، وبيَّنا أن أكثر الخطابات إقناعا وتأثيرا هو الخطاب القرآني، ثم الخطاب النبوي.

وفي التربية كان تركيزنا على المفهوم بصفة عامة.

وفي تجليات التبليغ وقفنا على معانيه الدالة على التوصيل والإيصال، كما يوحي بالتوكيد، الذي يناسب لغة الخطاب التربوي، لأنّ هدفها الأول التبليغ، وقد آثرنا لفظ (التبليغ) على التواصل أو التوصيل، لأن طبيعة الخطاب التربوي يتطلب توظيف هذه اللفظة، فهي الأنسب للموضوع.

أما مجال الدرس التداولي فقد بيَّنا الأصول الفلسفية لهذه النظرية، وكيف انتقلت إلى دراسة اللغة على يد فلاسفة في جامعة (أكسفورد)، هدفهم توضيح المقاصد اللغوية أثناء الاستعمال، فقلبوا النظرية البنيوية التي تدعو إلى دراسة اللغة لذاتها إلى دراسة اللغة وهي حية يتواصل بها.

ثم بينا أبعادها التربوية؛ وكيف يمكن استثمار هذا الحقل لتطبيقه في ميدان التربية والتعليم، لتعطينا ثمارا يانعة، هي غاية ما نطمح إليه.

وفي تناولنا للمدوَّنة بينا مسوِّغات اختيارنا لها، لتكون أنموذجا لخطاب تربوي يحمل دلالات لغوية، تتقاطع بين التبليغ والتداول، فجمعنا من خلالها بين الحداثة والتراث.

الفصل الثاني

أساليب التبليغ في الخطاب التربوي في صحيح البخاري

أساليب التبليغ في الخطاب التربوي في صحيح البخاري

1 . أساليب التبليغ اللفظي

أ . التكرار

ب . الحوار

ج . ضرب المثل

2 . أساليب التبليغ غير اللفظي

أ . حركات الجسد

ب . رسوم هندسية وخطوط توضيحية

يتناول الفصل الثاني أهم أساليب التبليغ في الخطاب التربوي النبوي، ويكون التركيز فيه على شقي التبليغ؛ اللفظي وغير اللفظي، وهدفنا توضيح هذه الوسائل استنادا للحديث النبوي، لنتأسى بها خدمة للدرس التربوي، وتكون حافزا للمبلغ أينما كان لترشده إلى الأخذ بمثل هذه الأدوات لإنجاح مهمته، ومن وسائله:

1. التَّبليغ اللفظي

ونقصد بالتبليغ اللفظي: تبليغ رسالة إلى متلق قصد محاورته أو إقناعه، أو إيصال فكرة، أو معلومة له، ووسيلة ذلك هي الألفاظ، كما يهتم أساسا بالكلمات المنطوقة أو المكتوبة حيث تعد اللغة من أهم وسائل التبليغ في شتى المواقف.

وقد استخدم الرسول . صلى الله عليه وسلم . الكثير من وسائل التبليغ لتربية الصحابة آنذاك، وذلك من خلال أساليب لغوية متعدّدة في خطابه معهم للتأثير فيهم وجعلهم في موقع استقطاب؛ فمن المستمع إلى المدرك إلى المقتنع بالفكرة إلى المنفذ لها، ومن أبرز هذه الوسائل:

أ . التَّكرار:

يعد التكرار شكلا من أشكال التبليغ، ووسيلة تربوية تفيد التقرير "وهو أسلوب تعبيري يصور انفعال النفس بمثير ما، واللفظ المكرر منه هو المفتاح الذي ينشر الضوء على الصورة لاتصاله الوثيق بالوجدان، فالمتكلم إنما يكرر ما يثير اهتماما عنده، وهو يحب في الوقت نفسه أن ينقله إلى نفوس مخاطبيه، أو من هم في حكم المخاطبين، ممن يصل القول إليهم على بعد الزمان والديار"[1].

ويأتي التكرار في مقدمة الوسائل التبليغية في الخطاب التربوي النبوي، لأن الموقف التعليمي للصحابة يراعي "الفروق الفردية في التلقي، فرسول الله . صلى الله عليه وسلم . يخاطب الناس على قدر عقولهم، والفكرة الواحدة تتلقاها الأذهان بسرعات متفاوتة، وتترسخ دلالتها في العقول بتدرج، بحيث يحمل الدال دلالة ويضيف الدال المكرر دلالة

[1] . عز الدين علي السيد، التكرير بين المثير والتأثير، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1986م، ص 136.

أخرى"[1]، كما يعدُّ التكرار من سنن العرب في كلامها، عرف في الشعر العربي القديم، قال ابن فارس: "ومن سنن العرب التكرير والإعادة إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر"[2]، وهو موجود في النحو في درس التوكيد اللفظي، بالإضافة لوجوده في البلاغة العربية، ولا زال العرب يستعملونه في كلامهم حتى الآن، لذلك استعمله الرسول . صلى الله عليه وسلم . وقد أشار أنس بن مالك . رضي الله عنهما، "عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاَثًا حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلاَثًا"[3].

وأشار صاحب العمدة أن "هذا باب في بيان من أعاد كلامه في أمور الدين ثلاث مرات لأجل أن يفهم عنه...قال الخطابي: إعادة الكلام ثلاثا إما لأن من الحاضرين من يقصر فهمه عن وعيه فيكرره ليفهم، وإما أن يكون القول فيه بعض الإشكال فيتظاهر بالبيان"[4]، ومما لاشك فيه أن تكرار الكلام مقصود لذاته، وذلك لتعليم المتلقين وتوجيههم، "لأن إعادة النبي . صلى الله عليه وسلم . ثلاث مرات إنما كانت لأجل المتعلمين والسائلين ليفهموا كلامه حق الفهم، ولا يفوت عنهم شيء من كلامه الكريم"[5].

ويهدف التكرار إلى إبراز جوانب تربوية مهمة؛ كالتأكيد، وزيادة الترغيب والاحتفاظ بالمعلومة، والفهم والاستيعاب، والحفظ، وغير ذلك، كما أنه لا يقوم على إعادة اللفظة لمجرد تكرارها، وإنما ما تتركه هذه اللفظة من أثر في نفس المتلقي والخطاب التربوي يحتاج إلى هذه الوسيلة قصد التذكير الدائم، لترسخ المعلومة في ذهن المتعلمين للوصول إلى المطلوب، والتكرار من الوسائل "التي نجدها في الألفاظ والتراكيب والمعاني لتحقيق البلاغة في التعبير ولتأكيد الكلام والجمال في الأداء اللغوي"[6]. والتكرار في الخطاب التربوي النبوي لا يخرج عن هذا التقسيم، "فالتكرار عنده إما تكرار بالمعنى فقط دون اللفظ

---

[1] . فوز سهيل نزال، التكرار في طائفة من أحاديث الرسول . صلى الله عليه وسلم . المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد السابع، العدد(1/أ)، 2011م، ص 163.

[2] . ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية، ص 158.

[3] . البخاري، كتاب العلم، باب: من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه، رقم: 95، ج1، ص 48.

[4] . بدر الدين العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، ضبطه وصححه: عبد الله محمود بن محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001م ، ج2، ص 173.

[5] . المصدر نفسه، ص 173.

[6] . محمود سليمان ياقوت، علم الجمال اللغوي، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ط1، 1995م، ص 449.

وهو كثير، وإما تكرار باللفظ والمعنى، وقد يصبح تفسير استعمال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لهذا الأسلوب أكثر وضوحا إذا تذكرنا أن مهمته الأساسية هي التبليغ"[1]، ومادام التبليغ هو المهمة الأساسية في الخطاب التربوي النبوي، فهذا أمر يقتضي التكرار لاختلاف حالة المتلقين، وتباين مستوياتهم في التلقي، فكان التبليغ باللفظ وباللفظ والمعنى.

ويقع التكرار أكثر في الألفاظ، أما في المعاني فهو أقل، وهذا رأي ابن رشيق، قال: "وأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني وهو في المعاني دون الألفاظ أقل"[2] لذلك سنتوقف عند بعض الأحاديث النبوية التي ورد فيها التكرار، ونستهلّ ذلك بـ:

التَّكرار اللفظي: ومعناه إعادة اللفظ نفسه، أو العبارة نفسها، وقد وردت عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ألفاظ وعبارات استخدمها في ظروف مختلفة، منها:

عَنْ عَمْرٍو قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَانَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ يَرْجِعُ فَيَؤُمُّ قَوْمَهُ، فَصَلَّى الْعِشَاءَ، فَقَرَأَ بِالْبَقَرَةِ، فَانْصَرَفَ الرَّجُلُ، فَكَأَنَّ مُعَاذًا تَنَاوَلَ مِنْهُ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: "فَتَّانٌ فَتَّانٌ فَتَّانٌ". ثَلاَثَ مِرَارٍ، أَوْ قَالَ: "فَاتِنًا فَاتِنًا فَاتِنًا". وَأَمَرَهُ بِسُورَتَيْنِ مِنْ أَوْسَطِ الْمُفَصَّلِ. قَالَ عَمْرٌو: لاَ أَحْفَظُهُمَا[3].

نقف عند لفظة (فتَّان) حيث كررها ثلاث مرات، والغرض التبليغي من تكرارها يتمثل في:

ـ تربية كل من يؤم المسلمين أن يخفف على المأمومين، مراعاة لأحوالهم.

ـ الفائدة من التخفيف هو المحافظة على صلاة الجماعة.

ـ التكرار ثلاثا للتأكيد، حتى يفهم عنه، وأن الأمر يجب أن ينفَّذ.

ـ الانتقال من السهل إلى الصعب، ومن البسيط إلى المركب.

---

[1] ـ أميمة بدر الدين، التكرار في الحديث النبوي الشريف، مجلة جامعة دمشق، المجلد 26، العدد الأول + الثاني، 2010م، ص 79.

[2] ـ ابن رشيق القيرواني،العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط5، 1981م، ج2، ص 73.

[3] ـ البخاري، كتاب الجماعة والإمامة، باب: إذا طول الإمام، وكان للجل حاجة، فخرج فصلى، رقم: 669، ج1، ص 248.

وهكذا نجد وسيلة التكرار هامة في تربية الناس، وأن "استخدام الرسول . صلى الله عليه وسلم . لأسلوب التكرار يعد تقنية خطابية، ينفذ بها إلى عقل المتلقي وقلبه فالتكرار من أساليب التوكيد لتبليغ الرسالة، وتعليم الدين، وهو يجسد حرصه على أن تصل كلمته واضحة جلية إلى الأذهان كافة"[1].

ومما لا شك فيه أن بعد هذه التصرف الذي قام به معاذ . رضي الله عنه . أدرك مَنْ بعده أن الإطالة في الصلاة بالمأمومين فيها إرهاق لهم، فتجنّبوه وواظبوا على التخفيف، وهذا هو المراد من هذا الخطاب التربوي؛ وهو أن نكرر الكلام ليستفيد المتلقي، وخاصة في مجال التعليم يكون للتكرار فائدة في توصيل المعلومة للمتعلم فترسخ في ذهنه، ويكون لها الأثر في نفسه، وقد أشارت (نازك الملائكة) إلى هذا الجانب، وبينت نظرة الأدباء والنقاد إليه في قولها: "أما الأدباء والنقاد فإنهم يرون أن التكرار في حقيقته إلحاح على جهة مهمة في العبارة يُعنى بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها، فالتكرار يسلِّط الضوء على نقطة حساسة في العبارة، ويكشف عن اهتمام المتكلم بها، وفي هذا تركيز واضح على الباعث النفسي للتكرار، مما جعله ذا دلالة نفسية قيِّمة، تفيد الناقد الأدبي الذي يدرس الأثر، ويحلِّل نفسية كاتبه"[2]، وعليه فتوظيفه ضروري خاصة في المجال التربوي.

ونجد هذه الوسيلة التربوية في حديث آخر:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو: قَالَ سُفْيَانُ: لَمْ يَرْفَعْهُ الأَعْمَشُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَفَعَهُ حَسَنٌ وَفِطْرٌ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا"[3].

وجاء تكرار لفظ (الواصل)، في الجملة الأولى مسبوقا بنفي، أما الثانية جاء مثبتا حيث "يأتي الدال الأول منفيا والدال المكرَّر مثبتا، وذلك في سياق تحديد المفاهيم

أو المبادئ الجديدة وسلب دلالات هذه المفاهيم السائدة في أذهان المتلقين"[4].

---

[1] . فوز سهيل نزال، التكرار في طائفة من أحاديث الرسول . صلى الله عليه وسلم .، ص 164.

[2] . نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، مكتبة النهضة، بغداد، ط3، 1967م، ص 276.

[3] . البخاري، كتاب الأدب، باب: ليس الواصل بالمكافئ، رقم: 5645، ج5، ص 2233.

[4] . فوز سهيل نزال، التكرار في طائفة من أحاديث الرسول . صلى الله عليه وسلم .، ص 168.

ليس الواصل بالمكافئ ←أي الذي يعطي لغيره نظير ما أعطاه ذلك الغير.

لكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها ←أي الذي إذا منع أعطى.

"قال الطيبي: المعنى ليست حقيقة الواصل ومن يعتد بصلته من يكافئ صاحبه بمثل فعله، ولكنه من يتفضل على صاحبه"[1].

ففي هذا الخطاب التربوي دلالة التمسك بصلة الرحم، حيث نقف على مقاصد ثلاثة[2]:

أ . المكافئ: هو الذي يعطى غيره نظير ما أعطاه و قيل هو الذي لا يزيد في الإعطاء على ما يأخذ.

ب . الواصل: قيل هو الذي يصل من قطعه و هو ما في حديثنا و قيل هو الذي يتفضل على الصاحب و قيل أنه إذا كانت المقاطعة من الجانبين فمن بدأ حينئذٍ فهو الواصل.

ج . القاطع: هو الذي يأخذ دون أن يعطى.

وعليه فالتكرار وسيلة تربوية لفظية تحث على صلة الأرحام قصد بلوغ الدرجات العليا، ويمكن إسقاط مثل هذا في شتى مجالات التربية لتعليم المتلقين أسسا صحيحة.

ونقف أيضا عند الخطاب المتضمّن تكرار الدعاء، مثل قوله:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ*"[3].

نجد دعوة النبي . صلى الله عليه وسلم . للمخاطبين أن يكرروا الدعاء خلال اليوم مائة مرة، وذلك لأهمية التسبيح وفضله، "فسبحان الله، معناه تنزيه الله عما يليق به من كل نقص"[4].

وفي هذا مبالغة؛ أي لو كثرت ذنوب المرء غفرها الله . عز وجل . بكثرة الذكر والاستغفار. "والأفضل أن يقول ذلك متواليا في أول النهار وفي أول الليل، والمراد بقوله "وإن كانت مثل زبد البحر" فيه كناية عن المبالغة في الكثرة"[5].

---

[1] . ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج10، ص 423.

[2] . انظر: المرجع نفسه، ص 423.

* ـ حطت خطاياه: وضعت عنه، ـ زبد البحر: رغوة البحر، صحيح البخاري، ص 2043.

[3] . البخاري، كتاب الدعوات، باب: فَضْلِ التَّسْبِيحِ، رقم: 6042، ج5، ص 2043.

[4] . ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج11، ص 210.

[5] . ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج11، ص 210.

ويحثّ هذا الخطاب التربوي على تكرار ذكر الله ليكون حافزا للقيام بالأعمال الصالحات، لأن التسبيح يذكِّر المرء بأنه مراقب، فيقدم على فعل الخير ويتجنب اقتراف المعاصي، ونوجز بعض فوائد التسبيح في المشجَّر الآتي:

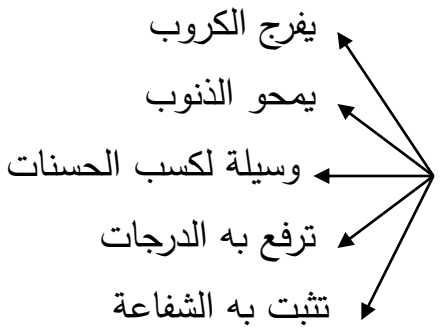

وفوائده كثيرة لما ورد عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في أحاديث مختلفة.

وهكذا لاحظنا أن التكرار في هذا الخطاب التربوي هو وسيلة تعليمية، لتأكيد أهمية المعلومة لدى المتلقي، ومن ثم تتحقَّق النتائج المرجوة، وهذا ما نقف عنده أيضا في موقف تربوي آخر في قوله:

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ". ثَلاَثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ . وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا، فَقَالَ . أَلاَ وَقَوْلُ الزُّور*ِ". قَالَ: فَمَا زَالَ يكررها حتى قلنا: ليته سكت.

وَقَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: حَدَّثَنَا الْجُرَيْرِيُّ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ[1].

اشتمل التكرار على عبارة "قول الزور"، حيث ظل يكررها علية السلام حتى قال الصحابة ليته سكت، قال ابن حجر: "قوله: فما زال يكررها؛ حتى قلنا ليته سكت، أي: شفقة عليه، وكراهية لما يزعجه، وفيه ما كانوا عليه من كثرة الأدب معه ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمحبة له، والشفقة عليه"[2]، فدلالة التكرار في هذا الحديث التربوي لتأكيد قبح هذا الفعل، لأن كثيرا من الناس لا يهتمون بهذه الكبيرة، فهي أسهل وقوعا على الناس، وإذا

* . والزور هو الميل، وقول الزور هو كل قول مائل عن الحق(صحيح البخاري، ص 939).

[1] . البخاري، كتاب الشهادات، باب: ما قيل في شهادة الزور، رقم: 2511، ج2، ص 939.

[2] . ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج5، ص 311.

تهاونوا فيها جرتهم إلى مفاسد كبيرة، "ووقع هذا التكرار في نفس سامعيه الذين علَّقوا على التكرار غير المحدد بأنهم تمنوا توقف رسول الله عن تكرار العبارة، "ألا وقول الزور" الذي تفاعل مع العبارة المكررة جسديا (كان متكئا فجلس) مظهرا خطورة الزور قولا وشهادة، مسلطا الأضواء عليها ليتجنبها المتلقي بقوة وعزم"[1].

لذلك نرى الغرض من تكرار "قول الزور" ما يلي:

. تأكيد تحريم الزور وعظم قبحه.

. قول الزور أبلغ من فعله.

. فيه تضييع للحقوق والإعانة على الظلم.

. شهادة الزور سبب لزرع الأحقاد والضغائن في القلوب.

. تطمس معالم العدل والإنصاف.

. تعصف بالمجتمع وتدمره.

. سبب لسخط الجبار ودخول النار.

وغير ذلك من الأغراض الأخرى التي تعين الظالم على ظلمه، وتعطي الحق لغير مستحقه.

ويعلمنا هذا الخطاب التربوي كيف نتفاعل باللفظ والجسد لتبليغ الحقائق للآخر فيكون الأثر الفعَّال عندما نكرر القول مع تغيير الهيئة، فترقى همم المتعلمين للأفضل.

ونتعلَّم ممَّا سبق أن التكرار وسيلة تربوية لفظية تستخدم لغرض تعليم الناس دينهم وترسيخ عقيدتهم، فنقتدي بمثل هذه الأساليب لتعليم الناشئة.

وإن كانت هذه عينة من تكرار بعض الألفاظ في الخطاب النبوي في صحيح البخاري، فهناك الكثير من الأحاديث التي تضمَّنت هذه الوسيلة، لما لها من أهداف وفوائد تبليغة، كما أن التكرار في الخطاب النبوي ليس جمالية أسلوبية، وإنما وسيلة تربوية تبليغية، لتعليم الناس وتربيتهم، و"لم يكن التكرار في الحديث النبوي ناجما عن فقر لغوي، ولا عن عجز في التعبير، وإنما كان مقصودا متعمدا، جاء ليحمل جزءا من المعنى المراد، فكان وسيلة من وسائل الدعوة"[2].

---

[1] . فوز سهيل نزال، التكرار في طائفة من أحاديث الرسول . صلى الله عليه وسلم .، ص 165.

[2] . أميمة بدر الدين، التكرار في الحديث النبوي الشريف، ص 100.

وعليه يجب أن نقتدي برسولنا الكريم أثناء تأدية رسالة التربية والتعليم تجاه التلاميذ في مختلف مراحلهم الدراسية، حيث نجد في التكرار وسيلة ناجعة لترسيخ المعلومة والاحتفاظ بها، خاصة في القضايا التي تتطلب التركيز، وتستوجب الانتباه، فالتكرار يستميل المتلقي وينبه الغافل، ويزيد الترغيب في الشيء، لذلك لا بد من توظيفه في حالة الضرورة إليه.

ولتبليغ الرسالة التربوية واضحة جلية يجب انتهاج كل الوسائل المعينة على ذلك ومنها أيضا:

ب . الحوار

يعد الحوار من وسائل التبليغ الفعَّالة في الخطاب التربوي وهو: "وسيلة تستخدم الإقناع الذاتي لتمحيص الأفكار والمعلومات السابقة، واختبارها بطريق غير مباشر للتأكد من صحتها أو خطئها؛ لذا فهي لا تعتمد التلقين المجرد القائم على الأمر والنهي أو على مجرد الإلقاء والسماع المطلقين، فالحوار طريقة تقوم على المناقشة المتبادلة بين طرفين وتتخللها أسئلة وإجاباتها"[1].

وما دام للحوار فائدة فيجب أن نوليه عناية كبرى في مدارسنا، ونحرص على تدريب التلاميذ على كيفية إتقان التحاور، "فإن بعض التربويين يؤكدون أن تنمية قدرة طلاب العلم على التحاور من أهم الأغراض في تعليم اللغة؛ فليس هناك شيئ يقتنيه المتعلم في حياته أثمن من تمكنه من لغة أهل بلده، واستطاعته أن يعبر عما في نفسه"[2].

ويتطلب الحوار مهارات وقواعد وآدابا لتحقيق الأهداف المرجوة، وقد أولى الرسول . صلى الله عليه وسلم . الحوار أهمية بالغة في مواقف تبليغ الرسالة، وجعله الأسلوب الأمثل لتوجيه الناس وإرشادهم، كما استخدمه في تعامله مع القضايا الهامة والملمات التي حدثت أثناء بناء الأمة الإسلامية، وتميز الحوار النبوي بالقوة والدقة وحسن الخطاب والتوازن.

[1] . عبد الحميد الهاشمي، الرسول العربي المربي، دار الثقافة للجميع، دمشق، ط1، 1981م، ص 243.

[2] . عبد الله بن حسين، الحوار في الإسلام، مركز الكون، مكة المكرمة، ط1، 2006م، ص 301.

والحوار من الوسائل المحببة إلى النفس، يدفع الملل والشرود عن السامع، لذلك اتخذه الرسول . صلى الله عليه وسلم . وسيلة تربوية لتبليغ رسالة الإسلام، ومن الحوارات التعليمية:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَدَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ السَّلاَمَ، فَقَالَ :"ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ". فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ :"ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ". ثَلاَثًا، فَقَالَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، فَمَا أُحْسِنُ غَيْرَهُ، فَعَلِّمْنِي، قَالَ :"إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلاَةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلاَتِكَ كُلِّهَا"[1].

فمن خلال هذا الحوار في الخطاب النبوي نلمس مواضيع تربوية وتعليمية تتمثل في الآتي:

. الصبر على المتعلم ليدرك خطأه بنفسه ←——— ترك النبي . صلى الله عليه وسلم

. الرجل يمارس خطأه، وفي الوقت نفسه كان يأمره بأداء الصلاة أكثر من مرة "ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ"، فتقتضي الحكمة في التعليم طلب إعادة الفعل من المخطيء لعلَّه ينتبه فيصحح خطأه، وإن كان ناسيا يتذكره.

. على طالب العلم أن يسأل لجهله بالأمر.

. عدم مباشرة التعليم دون تهيئة المتعلم.

. استعمال أسلوب التشويق لأنه أرسخ في بقاء المعلومة ←——— على المربي أن يؤخر الإجابة حتى يشتاق المتلقي إلى الجواب، فإذا اشتاق إلى الجواب كانت المعلومة أثبت في ذهنه.

. على المربي أن يكون رفيقا رقيقا بالمتعلِّم.، وقد لاحظنا كيف عامل الرسول . صلى الله عليه وسلم . الرجل، فلم يعنفه أو يشدد في الإنكار عليه، رغم خطئه في أهم ركن في الإسلام، فاتَّسم الحوار بالهدوء واللين.

[1] . البخاري، كتاب صفة الصلاة، باب: إتمام الركوع والاعتدال فيه والاطمئنانية، رقم: 720، ج1، ص 274.

. التكرار لمعرفة كُنْه المشكلة؛ هل تتمثل في عدم العلم، أم من العلم مع عدم العمل فأمره بإحسان صلاته لمعرفة مواطن الخلل.

. هذا التوجيه التربوي عام لكل الصحابة، ولكل الأمة، حتى يومنا هذا.

ومن طرق الحوار في الحديث النبوي: حواره حول العلاقات الاجتماعية:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: "أُمُّكَ". قَالَ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: "أُمُّكَ". قَالَ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ :"أُمُّكَ". قَالَ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ:"ثُمَّ أَبُوكَ"[1].

نلاحظ في هذا الخطاب التربوي حوارا موجزا، سهل العبارة، بني على سؤال رجل يريد أن يتعلم واجبا تجاه المقربين إليه؛ " يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟" فمن أولى بالبرّ والإحسان؟

هو حوار المتيقِّن أن النتيجة ستكون قطعية عند من هو أدرى بأحوال الخلق ومعادن الناس، وكيف لا وهو نبي أدَّبه ربَّه وعلَّمه وفهَّمه، فكان الجواب غير متوقع: **(أمُّك)**

الأمُّ ⟵ أولى المقربين بالبرّ والإحسان.

الأمُّ ⟵ كررها ثلاثا، ونعلم أن وسيلة التكرار غرضها التأكيد؛ تأكيد حقها في الإشادة بقدرها.

الأمُّ ⟵ مرتبتها عظيمة.

الوصية بصحبتها ⟵ أعظم مكافأة لها.

وبعدها يأتي الأب، ثم الأقرب فالأقرب.

نتعلم من هذا الحوار التربوي أن برَّ الوالدين أجلّ الطاعات، وأنفس الأعمال الصالحات.

فمنهج النبي . عليه السلام . مع السائل منهجا حكيما في تبيان لمن الأفضلية في الصحبة والقربة.

والغرض التربوي من هذا الحوار هو التعليم، وتوضيح الأمور، وإزالة الغموض كما هو وسيلة موصلة إلى الإقناع لمن تكون الأفضلية في الصحبة، والقربة والإحسان والبر، ولا

[1] . البخاري، كتاب الأدب، باب: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ، رقم: 5626، ج5، ص2227.

شك أن هذا السائل ومن ورائه كل المتلقين قد اقتنعوا أن ما ورد في هذا الحوار حقيقة لا تقبل الشك.

وهكذا نرى أن الحوار تفاعل لفظي هدفه التواصل لتحقيق نتائج مفيدة، وما نلحظه أن أغلب الحوارات في الخطاب النبوي هي بمثابة أسئلة وأجوبة خاطب فيها النبي . صلى الله عليه وسلم . الناس، بغية تعليمهم، أو إرشادهم، أو إقناعهم، أو تعديل سلوكهم، أو التأثير فيهم، كما أن الحوار وسيلة بنائية علاجية تساعد على حل الكثير من المشكلات، وتلك طريقة من طرق الحوار في الخطاب التربوي النبوي، وفي حوار آخر عن تربية الناس مكارم الأخلاق، نجد المعلم الأول يحاورهم في صفة الكرم:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: "أَتْقَاهُمْ لِلَّهِ". قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: "فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ". قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: "فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونَنِي؟ النَّاسُ مَعَادِنُ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلاَمِ، إِذَا فَقِهُوا"[1].

في هذا الحوار دلالة على حرص الصحابة لمعرفة ما يحفّزهم لبلوغ المراتب العليا والفوز بمقام رفيع عند الله . عز وجل . سواء في الدنيا أم في الآخرة، لذلك جسد الحوار موقف السائلين عن أمر شغل بالهم، ولم يكن جواب النبي . صلى الله عليه وسلم . في بادئ الأمر مما قصدوه بسؤالهم، لذلك قالوا: "لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ"، ثم يستأنف في الثانية، ولكن القصد ليس ذاك، ويستدرك في الثالثة ما عنَوْه، وفهم ما رموا بيانه (أكرم الناس)، فيجيبهم: "خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلاَمِ، إِذَا فَقِهُوا" وعندها أدرك المتلقون ما كانوا عنه يسألون، فكان "الجواب الأول من جهة الشرف بالأعمال الصالحة، والثاني من جهة الشرف بالنسب الصالح، قوله(أفعَنْ معادن العرب) أي أصولهم التي ينسبون إليها ويتفاخرون بها، وإنما جعلت معادن لما فيها من الاستعداد المتفاوت، أو شبههم بالمعادن لكونهم أوعية الشرف كما أن المعادن أوعية الجواهر"[2].

[1] . البخاري، كتاب الأنبياء، باب: قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ)، رقم: 3203، ج3، ص 1238.

[2] . ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج6، ص 414.

فاستعار لفظ (معادن) لأصول الناس التي ينتمون إليها فهناك تفاوت في الطبائع بين الشرف والوضاعة، مثل تفاوت المعادن في قيمتها بين النفاسة والخسَّة، وبيَّن أن قيمة الإنسان ليست في حسبه ونسبه، وإنما في مكارم أخلاقه، وفي أعماله الصالحة، فبقدر تقوى الإنسان لربه، يكون كريما عنده.

والفوائد التربوية المستقاة من هذا الحوار نوجزها في النقاط الآتية:

. الناس في الدنيا معادن.

. خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام.

. أكرمهم من اتصف بالخصال الحميدة.

. أرفعهم مرتبة أتقاهم.

. قيمة الفرد ما يملك من تقوى ودين ومحاسن أخلاق.

وبين هذا الحوار النبوي بأن طريق الخير هو المنجي من المهالك.

فلْنعلِّم أبناءنا هذه الفضائل، أليس نحن الأولى بها؟ خاصة إذا عرفنا أن حياة البشر لا تستقيم إذا غفلنا عن تربية من نرعاهم، ونعولهم.

فمن النصيحة التربوية إلى باب آخر في المنفعة العامة:

حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ". فَقَالُوا يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: "يَعْمَلُ بِيَدِهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ". قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: "يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ". قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: "فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ"[1].

لقد ألقى الرسول . صلى الله عليه وسلم . على مسامع صحابته جملة أثارت حوارا مؤداه منفعة المخاطَبين، فقوله: "عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَة"، وهو يعلم أن الكثير منهم معدم وفقير، ولكن يريد أن يوصل إليهم معنى آخر يجهلونه، كما يريد أن يرشدهم إلى أبواب الخير، فلفظ (صدقة) يشمل كل أنواع الخير مادية كانت أو معنوية؛

فالمادية ⟵ تكون بالمال، أو ما يقوم مقامه.

[1] . البخاري، كتاب الزكاة، بَابُ: عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، رقم:1376، ج2، ص 524.

والمعنوية ←تكون بالعمل الإنساني؛ كمساعدة الضعيف، وهداية الضال ونصرة المظلوم، وغير ذلك.

فإن لم يتيسَّر هذا أو ذاك تكون بالكفِّ عن الأذى، "فإن قيل: كيف يكون إمساكه عن الشر صدقة؟ قيل: إذا أمسك شره عن غيره، فكأنه قد تصدق عليه بالسلامة منه، وإن كان شرا لا يعدو نفسه؛ فقد تصدق على نفسه بأن منعها من الإثم"[1].

ونتعلَّم من هذا الخطاب التربوي أن كل معروف يبذله الإنسان فيه خير له ولغيره. وعليه تعد الصدقة من أفضل الأعمال وأحبها إلى الله تعالى، ومن أهم فوائدها التربوية في هذا الحديث نذكر ما يلي:

. تطلق لفظة الصدقة على كل أنواع الخير.

. الحث على العمل والتكسب للاستفادة والإفادة.

. كل أعمال الخير هي في منزلة الصدقات.

. كل ما يفعله المرء أو يقوله من الخير يكتب له صدقة.

. أعمال الخير تنزل منزل الصدقات في الأجر.

. تمحو الخطيئة، وتدفع البلاء، وتقي من النار.

. فيها طمأنينة وانشراح الصدر، وراحة القلب.

. هي دليل على صدق العبد وإيمانه.

وغيرها من الفوائد الكثيرة التي أرشد إليها الرسول . صلى الله عليه وسلم . في هذا الخطاب التبليغي الذي يتفرد بمنهجية تسهم في تحقيق التوازن بين الحاجات المادية والروحية.

ونرى أن وسيلة الحوار في هذا التبليغ اللفظي قد أكسبت السائل قيما تربوية رفيعة إن تمسك بها فاز فوزا عظيما.

ويظل الحوار هو الوسيلة المساعدة على إكساب المتعلِّم كل ما ينفعه في الدارين ولا أدلّ على ذلك مما جاء في هذا الحديث المفعم بمحبَّة الرسول . صلى الله عليه وسلم . لأصحابه، حيث وضَّح لهم:

---

[1] - ابن بطال، شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دارالنشر: مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط2، 2003م ،ج3، ص 443.

. أنَّ للخير طرقا كثيرة من أجل تنوّع الفضائل، وأجره كبير لمن سعى إليه، ولو كان الخير طريقا واحدا لنفر الناس منه، ولكن التنوّع فيه، يحثّ الناس على الإقبال عليه.

وفي هذا الحوار التربوي تجلَّت الغاية المرجوة، في بيان ما يرفع درجات المؤمن عند خالقه.

وتكمن أهميته في العمل على "التشويق وشحذ الهمم، وتقريب المعاني، وتشخيص الحقائق، والتشجيع على المبادئ، والمشاركة الذاتية في عملية التربية والتعليم"[1].

وفي خطاب آخر يرشد المبلّغ إلى القيام بالعبادات قدر الاستطاعة، ويرفض التشدد لأنه منفّر، وخير العمل ما كان قليلا ودائما:

فعَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ، قَالَ: "مَنْ هَذِهِ". قَالَتْ: فُلاَنَةُ، تَذْكُرُ مِنْ صَلاَتِهَا، قَالَ: "مَهْ، عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَوَاللَّهِ لاَ يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا". وَكَانَ أَحَبُّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَامَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ[2].

جرى هذا الحوار بينه وبين إحدى زوجاته حول تلك المرأة، حيث ذكرت عائشة . رضي الله عنها . بعض خصالها؛ فهي تكثر الصلاة ولا تنام الليل، فقال النبي . عليه السلام . "(مه) وهو اسم فعل أمر بمعنى اكفف.(عليكم بما تطيقون) أي اشتغلوا بما تستطيعون المداومة عليه من الأعمال. (لا يملّ حتى تملّوا) لا يقطع عنكم ثوابه، إلا إذا انقطعتم عن العمل، بسبب إفراطكم فيه"[3].

في تمفصلات هذا الحوار النبوي، أراد المبلّغ أن يعلم الناس الاقتصاد في الطاعة بما يطيقون، و"أن الرسول عليه الصلاة والسلام أمر هذه المرأة أن تكف عن عملها الكثير الذي قد يشقّ عليها وتعجز عنه في المستقبل فلا تديمه، ثم أمرنا أن نأخذ من العمل بما نطيق،...يعني عدم تكليف الأنفس فوق طاقتها، فإن الإنسان إذا أجهد نفسه وكلَّف نفسه ملَّت وكلَّت، ثم انحسرت وانقطعت"[4].

---

[1] . عبد الحميد الصيد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط2، 1993م، ص 205.

[2] . البخاري، كتاب الإيمان، بَابُ أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهُ، رقم: 43، ج1، ص 24.

[3] . المصدر نفسه، ج1، ص 24.

[4] . انظر: النووي، شرح رياض الصالحين، من كلام سيد المرسلين، شرحه: محمد بن صالح العثيمين وآخرون، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ط 1، 2004م، ص 398.

أظهرت نبضات حروف هذا الخطاب شفقة النبي . صلى الله عليه وسلم . بحال أمَّته، حيث نهى عن التشدد والمغالاة في العبادة، لأن هذا يضعف القوى البشرية وعلى الإنسان أن لا يكلف نفسه فوق قدرتها، فعمل قليل دائم خير من كثير منقطع.

ومن الفوائد الموجَّهة للمخاطَبين:

. السؤال عن الأشخاص الذين يطرقون المنازل، توخيا للحذر.

. عدم إجهاد النفس بالطاعات.

. كثرة العمل تسبب الملل.

. إذا ملَّ الشخص هجر العمل وتركه.

. أفضل الأعمال المداوم عليها وإن قلَّت.

. القيام بالعبادة على وجه مقتصد، لا غلوّ ولا تفريط[1].

وعبر هذه الفوائد ندرك أن كثرة الأعمال ترهق البدن، وتنفِّر المتلقين من الاجتهاد والإقبال على أداء واجباتهم بيسر، ولذلك لا بدَّ من تخفيف أعباء التكاليف عن المتعلِّمين خاصة، وإلزامهم بما يطيقون، لتحقيق الغاية المنشودة.

فالحوار وسيلة تربوية وتعليمية، ورأينا كيف ساعد المتلقِّين على تقبُّل كل ما بُلِّغ إليهم، واستخدمه النبي . صلى الله عليه وسلم . لتحفيز المتعلمين، وإثارة أذهانهم ودفعهم إلى المشاركة لفهم الأحكام الشرعية، وتزداد اليوم الحاجة للحوار، ونحن نعيش في ظل تغيّرات عالمية متسارعة، وقفزة تكنولوجية نوعية، جعلت العالم غرفة صغيرة.

ورأينا كيف كانت الخطابات الحوارية مبنية على السؤال في أغلب الأحيان، فالسؤال مفتاح التعلّم، لقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[2] لذلك وظَّفه الرسول . صلى الله عليه وسلم . كثيرا، فيقبل على شحذ الأذهان بالأسئلة التي تدعو إلى التفكير العميق، مثل ما جاء:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَهِيَ مَثَلُ الْمُسْلِمِ، حَدِّثُونِي مَا هِيَ ". فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَادِيَةِ، وَوَقَعَ

[1] . انظر المصدر نفسه، ص 399.

[2] . سورة النحل، الآية: 43.

فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَاسْتَحْيَيْتُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه أَخْبِرْنَا بِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "هِيَ النَّخْلَةُ". قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَحَدَّثْتُ أَبِي بِمَا وَقَعَ فِي نَفْسِي، فَقَالَ: لأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا* أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي كَذَا وَكَذَا[1].

نرى كيف طرح الرسول . صلى الله عليه وسلم . السؤال بعد تهيئة الأذهان لذلك فمهَّد له بقوله: "إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَهِيَ مَثَلُ الْمُسْلِمِ، حَدِّثُونِي مَا هِيَ".

أراد أن يبين لهم قيمة المسلم في الحياة، فلم يسألهم عن ذلك مباشرة، وإنما اتخذ مذهب ضرب المثل، لتقريب المعنى في أروع صورة:

شجرة لا يسقط ورقها ←تشبه المسلم.

فتبارى المتلقون بذكر أطيب شجر البادية، ولكن لم يصلوا إلى الجواب الصحيح حتى أخبرهم بذلك، فنلاحظ كيف استثار تفكيرهم، ثم علَّمهم بعد ذلك ما كان يريد أن يعلمهم بشأن خصال المسلم التي تميزه عن غيره من الناس.

فهذا تبليغ لفظي اعتمد فيه أسلوب السؤال، فماذا يفيد؟

. فيه اختبار لأذهان المتعلمين بما يخفى مع بيانه لهم إن لم يفهموه.

. فوائد شجرة النخيل، وأنها نافعة ومباركة.

. "فيه تحريض على فهم العلم...، وفيه دليل على بركة النخل وما تثمره"[2].

. تشبيه النخلة بالمسلم في كثرة خيرها على الدوام، "وضرب الأمثال والأشباه لزيادة الإفهام، وتصوير المعاني لترسخ في الذهن"[3].

. عقيدة المسلم كالنخلة؛ ثابتة راسخة عميقة الجذور مثل جذور النخل، وهو صلب كصلابتها، ومستقيم في سلوكه كاستقامتها، وتثمر أعماله الصالحة كثمرها.

---

* . قلتها: أي قلت إنها النخلة، كرسول الله . صلى الله عليه وسلم . ، كذا وكذا: أي من الأموال، (البخاري، ص 61).

[1] . البخاري، كتاب العلم، بَابُ: الْحَيَاءِ فِي الْعِلْمِ، رقم: 131، ج1، ص 61.

[2] . ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج1، ص 146.

[3] . المصدر نفسه، ج1، ص 146.

ولذلك "ينبغي أن نسعى في تربية الناشئة وطلبة العلم على هذا النوع من التفكير المنهجي، لكي ينطلق الطالب في تعلّمه وتعليمه لفنه من قاعدة ومنهج بدلا من سير عشوائي ليس له ضوابط أو أعلام يهتدي بها"[1].

و إزاء هذا التحاور النبوي، نستشعر تلك الحركية الدائبة بين المتحاورين، فهم في مواجهة حية، حيث "يمثل الحوار حالة حضور ومشاهدة، وهي حالة حية متحركة نابضة، والحوار فيه الإشارة واللمحة والنظرة والحركة، كل هذه عوامل مساعدة للغة في عملية التوصيل، والفعل اللغوي نفسه في حالة المحاورة مختلف عن الصور الأخرى للاستعمال اللغوي، ففيه استعمال للصوت بدرجات ونبرات متنوعة تناسب المقام والسياق الكلامي"[2].

وفوائد هذا الخطاب التربوي جليلة، فلاحظنا كيف تعددت الوسائل، من السؤال إلى الحوار إلى ضرب المثل في خطاب واحد، والغاية من ذلك تبليغ الناس ما ينفعهم وتحفيز المعلّمين للأخذ بهذة الوسيلة الفعَّالة حين تقديم دروسهم للمتعلّمين. وتعزيزا لذلك نذكر وسيلة أخرى هي:

ج . ضرب المثل

يعد ضرب المثل من أجمل وسائل التبليغ اللفظي في الخطاب التربوي، كما أنه وسيلة شائعة لتقريب الأفكار، وتوضيح المفاهيم، وإزالة الغموض عن الأشياء التي يعتريها التعتيم، والمثل هو: "سرد وصفي أو قصصي، أو تصويري لتوضيح فكرة عن طريق تشبيه شيء بشيء، لتقريب المعقول من المحسوس، أو أحد المحسوسين إلى الآخر، لغرض التأدب أو التهذيب، أو الإيضاح، أو غير ذلك"[3].

وتكمن أهميته في تمثيل الأشياء غير المادية، وغير المحسوسة بحيث تصبح في متناول المتلقي ليفهمها، ويتدبر معانيها، كما يعدُّ وسيلة إيضاح أو تشويق، أو مدح أو ذم، تحرك في المتلقي ميوله واتجاهه نحو الخير، "فالأمثال القرآنية والنبوية سلاح بلاغي،

---

[1] . عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، قواعد ومنطلقات في أصول الحوار ورد الشبهات، دار المسام، الرياض، ط1، 1994م، ص 11.

[2] . السيد علي خضر، الحوار في السيرة النبوية، الهيئة العالمية للتعريف بالرسول ونصرته، الرياض، ط1، 2010م، ص 41.

[3] . إميل بديع يعقوب، موسوعة أمثال العرب، دار الجيل، بيروت، 1995م، ج1، ص 17.

وعاطفي، وعقلي، بليغ الأثر، وعظيم النتائج، وجمّ الفائدة"[1]، لذلك وردت كثيرا في أحاديث النبي . صلى الله عليه وسلم . فاستعان بها لتبليغ رسالة الإسلام.

وضرْب المثل في الخطاب التربوي ليس الغاية منه تزيين الكلام وتنميقه، وإنما غايته سامية تتمثل في تبليغ رسالة العلم، وتقريب المعاني إلى أذهان المتلقين، وتوضيح ما أشكل عليهم فهمه، وحث العقول على التفكير الصحيح.

وقد تميزت الأمثال النبوية . التي تهدف إلى تربية المتلقي . بالقوة البلاغية والإقناعية، كما اتخذها . عليه السلام . مطية لتبليغ المتلقين ما أراد من توجيهات وإرشادات هي في صالح الناس جميعا، ويتضح ذلك من خلال ما ورد في الحديث الصحيح الآتي:

حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ: حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ، عَنْ عَامِرٍ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "تَرَى الْمُؤْمِنِينَ: فِي تَرَاحُمِهِمْ، وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"[2].

هذا مثل قياسي حيث يبن فيه الرسول . صلى الله عليه وسلم . القيم الأخلاقية والاجتماعية التي تسهم في التكافل الاجتماعي بين الناس؛ كالتراحم والتعاطف والتوادّ فيشبه أفراد المجتمع المسلم في تعاملهم على أساس تلك القيم . وهي أمور معنوية . بأمر حسي مشاهد، وهو الجسد القوي الذي إذا اعتل فيه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

يقول ابن حجر: "فأمّا التراحم فالمراد به أن يرحم بعضهم بعضا بأخوَّة الإيمان لا بسبب شيء آخر، وأما التوادّ فالمراد به التواصل الجالب للمحبة كالتزاور والتهادي وأما التعاطف فالمراد به إعانة بعضهم بعضا كما يعطف الثوب عليه ليقويه"[3].

ففي هذا التبليغ اللفظي نجد في المثل تقريب الأشياء غير المنظورة إلى ما هو مادي ليفهمها المتلقي، "فتشبيه المؤمنين بالجسد الواحد تمثيل صحيح، وفيه تقريب للفهم وإظهار

---

[1] . عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، دمشق، ط1، 1979م، ص 254.

[2] . البخاري، كتاب الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، رقم:5665، ج5، ص 2238.

[3] . ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج10، ص 439.

للمعاني في الصور المرئية، وفيه تعظيم حقوق المسلمين، والحض على تعاونهم وملاطفة بعضهم بعضا"[1].

وتشبيه المؤمنين بالجسد الواحد فيه تضامن وتكافل وتآلف وتحابب، ووجه الشبه فيه التوافق في التعب والراحة وتداعي بعضه بعضا إلى المشاركة في كل ما يلم به، "شبه النبي . صلى الله عليه وسلم . الإيمان بالجسد وأهله بالأعضاء لأن الإيمان أصل وفروعه التكاليف، فإذا أخلَّ المرء بشيء من التكاليف شان ذلك الإخلال الأصل وكذلك الجسد أصل كالشجر، وأعضاؤه كالأغصان، فإذا اشتكى عضو من الأعضاء اشتكت الأعضاء كلها كالشجرة إذا ضرب غصن من أغصانها اهتزت الأغصان كلها بالتحرك والاضطراب"[2].

ونجد في هذا المثل بلاغة الفعل التبليغي لإيصال المعنى إلى المتلقي، حيث يتمكن السامع من فهم المقصود من وراء هذا المنهج التربوي، فيقبل على تطبيق هذه التعاليم في حياته اليومية، وساعتها ندرك بلوغ الهدف المنشود.

وفي مثل آخر له حمولة إيمانية فعَّالة، يستشعر المتلقي إزاءها بطاقة الجذب :

فعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ"[3].

ضرب النبي . صلى الله عليه وسلم . مثلا في أهمية الذكر بالنسبة للمؤمن، حيث جعل الذِّكر بمثابة الروح للجسد، ونلاحظ قوَّة هذا الأسلوب التبليغي في تقريب الصورة الحسيَّة إلى ذهن المتلقي، فيبرز المعنى المعقول في صورة المحسوس، فالذاكر لربه نابض بحركية الحياة، مستظل بنورها، مستمتع بزينتها، بخلاف الغافل عن ذكر الله فهو في عداد الموتى لا حراك فيه.

وفائدة التبليغ في هذا الخطاب التربوي هو حثُّ المتلقي على ذكر الله تعالى، لما فيه من قربى وصلة دائمة بالخالق، فالذاكرون أحياء والغافلون أموات.

---

[1] . المصدر نفسه، ص 439.

[2] . المصدر نفسه، ص 440.

[3] . البخاري، كتاب الدعوات، باب: فضل ذكر الله عز وجل، رقم: 6044، ج5، ص 2353.

"والمراد بذكر الله الإتيان بالألفاظ التي ورد الترغيب فيها والإكثار منها، وقد يطلق ذكر الله، ويراد به المواظبة على العمل بما أوجبه الله تعالى أو ندب إليه: كقراءة القرآن وقراءة الحديث، ومدارسة العلم والتنفل بالصلاة"[1]، والذكر أنواع: منه ذكر باللسان، وذكر بالقلب، وذكر بالجوارح.

ونتيجة لذلك نرى أن ضرب المثل في هذا الخطاب، قد حقق الهدف المرجو من خلال تبليغ المتلقي فوائد الذكر التي:

. تحيي القلب.

. تزيل الهم.

. تصل العبد بربه.

. تغذي الروح.

. تجلب الرزق.

. تنفع صاحبها عند الشدائد.

وهذه هي الحياة الحقيقية؛ حياة القلوب والأرواح، لا حياة الأجساد، "ووجه الشبه بين الذاكر والحي، الاعتداد به والنفع والنصرة ونحوها، وبين تارك الذكر والميت التعطيل في الظاهر والبطلان في الباطن"[2]، فالذكر وسيلة للحياة بكل ما فيها من خير.

ولأسلوب ضرب المثل طاقة إيجابية في التبليغ التربوي، لإبراز المعاني في صورة مجسَّمة وزيادة توضيح ما استشكل فهمه، وتقريبها إلى الذهن كما ورد:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ، يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ: ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِه". قَالُوا: لاَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا، قَالَ: "فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهَا الْخَطَايَا"[3].

نستشف من خلال هذا الأسلوب التربوي كيف أراد النبي . صلى الله عليه وسلم . أن يقرب الصورة إلى ذهن السامع، حيث ابتدره بسؤال: "أرأيتم لو أن نهرا"، ليوقظ حس الإدراك لدى المتلقي، ويزيد في لفت انتباهه، فجاءت صورة المثل واضحة بينة فذِكر لفظة

---

[1] . بدر الدين العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، ج23، ص 40.

[2] . المصدر نفسه، ج23، ص 40.

[3] . البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب: الصلوات الخمس كفارة، رقم: 505، ص 197.

(نهر) تحمل معاني الصفاء والعذوبة، كما تدل لفظة (بباب) على القرب والتجاور الملامس بين النهر والباب، كذلك توحي لفظة (يغتسل) بالتجدد والحركة فكلما تكرر الفعل . وهو خمس مرات في اليوم . إلا وتحققت الغاية وهي المحافظة على الصلوات الخمس التي يمحو الله تعالى بها الخطايا، كما أنها قربة يتقرب بها العبد إلى خالقه ليكفر ذنوبه، وهي من أكبر شعائر الإسلام وأجلِّها.

والغاية من ضرب المثل في هذا الحديث للتأكيد والتقرير، "وفائدة التمثيل التأكيد وجعل المعقول كالمحسوس، قال الطيبي: في هذا الحديث مبالغة في نفي الذنوب لأنهم لم يقتصروا في الجواب على (لا) بل أعادوا اللفظ تأكيدا"[1].

وصورة المثل ما ذكر في هذا النص:

"شبهت الصلاة بالنهر لأنها تنقِّي صاحبها من الذنوب، كما ينقي النهر البدن من الأوساخ التي تعلق به بالاغتسال فيه، وشبه قرب تعاطي الصلوات وسهولته بكون النهر قريبا من مجاورته على باب داره، وشبه أداءها كل يوم خمس مرات بالاغتسال المتعدد كذلك، وشبهت الذنوب بالأدران للتأذي بملامستها، وشبه محو السيئات عن المكلف بنقاء البدن وصفائه..."[2].

فوجه التمثيل هنا ما يعْلق من أقذار حسية تدنِّس بدن المرء، لا يزول أثرها إلا بالماء الكثير، كذلك الصلوات، تطهَّر المذنب من المعاصي والآثام، كلما داوم عليها وأقامها طاعة لخالقه، تسقط ذنوبه، ويتطهَّر منها.

وقد رأينا أن الهدف من ضرب الأمثال هو إدراك المعاني الذهنية المجردة وتقريبها إلى العقل، ليكون التأثر أكثر، والاستجابة أسرع، خاصة في تحفيز المتلقي على التعلم فهي وسيلة مساعدة في التربية والتعليم، وأكثر ما يجعل أثرها فعَّالا لدى المتلقين ورودها في أسلوب تشبيه مشوِّق:

---

[1] . ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج2، ص 11.

[2] . البخاري، عون الباري لحل أدلة البخاري، دار الرشيد، حلب، سوريا، (د ط)، (د ت)، ج1، ص 620.

فعَنْ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ*، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ. وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ، لاَ رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ. وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ. وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ"[1].

وفي فضل تدبُّر القرآن العظيم وآياته، والعمل بأحكامه كان الناس في رحاب تناوله أربعة أصناف: مؤمن قارئ عامل، ومؤمن عامل غير قارئ، وفاجر قارئ، وفاجر غير قارئ، ويشبه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كل صنف من هذه الأصناف الأربعة بنوع من النبات؛ تقريبا للأذهان وتوضيحا للمعاني.

فالأترجة ⟵ ثمر شبه التفاحة، وهي من أحسن الثمار الشجرية عند العرب.

الريحانة ⟵ كل بقلة طيبة الريح، وقيل هي كل نبت طيب الريح من أنواع الشموم.

الحنظلة ⟵ نبات ثمرته في حجم البرتقالة ولونها، فيها لب شديد المرارة، ويمتد على الأرض كالبطيخ ولكنه أصغر منه، ويضرب المثل بمرارته[2].

فجاء المثل في هذا الخطاب صورة رائعة تقرب الفهم إلى المتلقي، فتحثه على إنجاز الفعل، لما فيه من خير ونفع يشمل صاحب العمل، "اعلم أن هذا التشبيه والتمثيل في الحقيقة وصف اشتمل على معنى معقول صرف لا يبرزه عن مكنونه إلا تصويره بالمحسوس المشاهد، ثم إن كلام الله المجيد له تأثير في باطن العبد وظاهره، وإن العباد متفاوتون في ذلك، فمنهم من له النصيب الأوفر من ذلك التأثير، وهو المؤمن القارئ ومنهم من لا نصيب له البتة وهو المنافق الحقيقي، ومنهم من تأثر ظاهره دون باطنه وهو المرائي، أو بالعكس وهو المؤمن الذي لم يقرأه"[3].

---

* . فالأترجة: ثمر شبه التفاحة، وهي من أحسن الثمار الشجرية عند العرب، الريحانة: كل بقلة طيبة الريح، وقيل هي كل نبت طيب الريح من أنواع الشموم، الحنظلة: نبات ثمرته في حجم البرتقالة ولونها، فيها لب شديد المرارة، ويمتد على الأرض كالبطيخ ولكنه أصغر منه، ويضرب المثل بمرارته، انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج9، ص ص 68، 69.

[1] . البخاري، كتاب الأطعمة، بَابُ: ذِكْرِ الطَّعَامِ، رقم: 5111، ج5، ص 2070.

[2] . انظر، ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج9، ص ص 68، 69.

[3] . بدر الدين العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، ج20، ص ص 53 ،54.

واختار عليه السلام النبات لضرب المثل، لأنه الأقرب إلى الناس في التعامل ومعروف لديهم، " وقد ضرب النبي المثل بما تنبته الأرض ويخرجه الشجر للمشابهة التي بينها وبين الأعمال؛ فإنها من ثمرات النفوس فخص ما يخرجه الشجر من الأترجة والتمر بالمؤمن، وبما تنبته الأرض من الحنظلة والريحانة بالمنافق، تنبيهًا على علو شأن المؤمن وارتفاع علمه ودوام ذلك، وتوقيفًا على ضعة شأن المنافق وإحباط عمله وقلة جدواه"[1].

ومن فوائد ضرب المثل في هذا الخطاب التربوي:

. بيان فضل القرآن الكريم، في تلاوته والعمل بما دلَّ عليه.

. الغرض من ضرب المثل هو تقريب الفهم.

. من أثر تلاوة القرآن على حامله: زيادة إيمانه، وطيب نفسه، وعلو منزلته.

. الحث على تلاوة القرآن الكريم، وتدبر آياته، والعمل بها.

. التحذير من هجر القرآن لما في ذلك من حرمان البركة، والرزق، والأجر.

. ارتباط المثل بالبيئة، حيث استخدم النبي . صلى الله عليه وسلم . صورة مألوفة لدى الناس وهي صورة الأترجَّة والتمرة والريحانة والحنظلة، فكلها صور من واقع الناس.

وحقيق بنا أن نعترف بأن ضرب المثل في الخطاب التربوي من الوسائل الفعَّالة والناجعة في توجيه السلوك إلى الأفضل، لأنها أوقع في النفس، وأبلغ في الوعظ وأقوى في الزجر، وأقوم في الإقناع، لذلك وردت هذه الوسيلة بكثرة في الحديث النبوي الشريف، لتبليغ المتلقين قواعد دينهم، وتذكيرهم بواجباتهم، وتلقينهم التربية السوية التي تفيدهم في الدارين، ومن التربويات التي تحفِّز على اختيار الجليس الصالح، وتحثُّ المتعلمين على الاحتكاك بصاحب الأخلاق الرفيعة، يأتي المثل:

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً. وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً"[2].

[1] . المصدر نفسه، ج20، ص 54.

[2] . البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب: المسك، رقم: 5213، ج5، ص 2104.

ذُكرت في هذا المثل مقارنة بين صورتين: صورة الجليس الصالح وصورة جليس السوء، حيث تظهر هذه المقارنة محاسن الصورة الأولى، ومساوئ الصورة الثانية، إذ الضد بضده يعرف، فحامل المسك ينفعك في كل الأحوال، إما يعطيك، أو تشتري منه أو تصلك رائحته الطيبة على أقل تقدير، أي أنك إن لم تظفر منه بحاجتك كلها لم تعدم واحدة منها، إما الإعطاء وإما الشراء وإما الاقتباس للرائحة، أما نافخ الكير إما أن يحرق ثيابك بالشرر المتطاير من آلة النفخ على النار، وإما أن تلقى منه رائحة دخان منتنة سيئة نتيجة لحام الحديد، أي أنك متضرر على كلا الحالين[1].

ومؤداه هنا أن الصديق إما أن يعطيك من صفاته وعلمه وتقواه وأخلاقه الحسنة دون أن تطلب منه ذلك؛ إذ تؤثر فيك صحبته، وإما أن تطلب منه ذلك فلن يبخل في مساعدتك، وفي كل الأحوال تكسب سمعة حسنة بصحبته، وفي مقابل ذلك نرى الصورة الثانية قاتمة ومظلمة مليئة بالدخان والرائحة الكريهة حتى لتكاد تختنق عند استنشاقها، وهذا هو حال الجليس السيئ؛ إما يوقعك في مصيبة تقضي عليك، وإما تتعلم منه أبشع الصفات، وإما تكسب بصحبته سمعة سيئة لا تستطيع دفعها عن نفسك.

لذا فلزاما على الإنسان أن يحسن اختيار صديقه وجليسه، لتحصل منفعته به واجتناب رفقاء وجلساء السُّوء، حتى لا تقع الأذيَّة بهم، وهنا نرى أن "النَّهي عن مجالسة من يتأذى بمجالسته، كالمغتاب والخائض في الباطل، والندب إلى من ينال بمجالسته الخير من ذكر الله وتعلم العلم وأفعال البر كلها"[2].

من فوائد هذا الخطاب التربوي:

. تقريب المعنى إلى ذهن المتلقي بتشبيه الجليس الصالح بحامل المسك، والجليس الطالح بنافخ الكير.

. مدح مصاحبة الأخيار والترغيب فيها، وذم مصاحبة الأشرار والترهيب منها.

. الوعظ والتأثير في القلوب بضرب هذا المثل.

. توجيه الذهن لإدراك أوجه الشبه بين الجليسين.

---

[1] . انظر: القرطبي،الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص 26.

[2] . بدر الدين العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، ج11، ص 314.

. إظهار نموذج القدوة الحسنة للاقتداء بها، والقدوة السيئة للابتعاد عنها وتجنبها.

ونتعلَّم أن حسن تربية النبي . صلى الله عليه وسلم . لصحابته كان بضرب الأمثال، فبها تتضح المعاني، فتتمكن من النفس فضل تمكن، كما أنها من الأساليب التربوية الناجعة، حيث استخدمها كأدوات توضيحية لتبليغ خطابه التربوي، فكانت قوية ومؤثرة في المتلقين.

وعلى إثره يمكن توظيف ضرب المثل في كل مراحل التعليم، فرأينا كيف استخدم الرسول . صلى الله عليه وسلم . جميع الوسائل المتوفرة في زمانه لتعليم الناس حيث استغلها بإتقان في توصيل المعلومة، وتوضيحها بأسلوب سهل ومشوّق، فحرِيّ بنا ونحن في زمن التكنولوجيا المتطورة، أن نوظف هذه الوسائل من أجل النهوض بالمدرسة، ونجعلها في خدمة العلم من أجل تحقيق أهداف سامية، وفي مقدمتها التلميذ الذي هو دعامة العملية التربوية.

2 . التبليغ غير اللفظي

يعدُّ التبليغ غير اللفظي من أقدم ما تعامل به الناس، فلا يمكن غضُّ الطرف عنه فإن كفَّ الإنسان عن الكلام، لا يستطيع أن يكفَّ عن الحركة، وعن التعبير بوسائل مختلفة، كما نجده يفسر ويعزز التبليغ اللفظي.

وقد أُطلق على التبليغ غير اللفظي عدة تسميات، منها: "الاتصال غير اللفظي والاتصال الجسدي، واللغة الجسدية، والكلام الجسدي، والحركة الجسمية، والسلوك

الحركي، وعلم السلوك الحركي، والعلامات الحركية، والتعبير بالوجه، والبانتومايم* أو التمثيل بالإشارات، واللغة الصامتة، ونحوها"[1].

ويتم التبليغ غير اللفظي من خلال إرسال واستقبال رسائل دون كلمات بين الأشخاص، ويشمل تعبيرات الوجه، وطريقة النظر، واللمس وحركات الجسد واستعمال الرموز، والإيماءات، وترى (سوزان دفيس)، "أن التصرفات غير الإرادية غالبا غير لفظية، أي عن طريق الإيماءات، أو الإيحاءات، أو الرموز، وهي ذات تأثير أقوى بخمس مرات من ذلك التأثير التي تتركه الكلمات"[2].

كما تتميز الرسائل غير اللفظية بصدقها؛ لأنها غير مقصودة، ولا يمكن التحكم فيها.

وقد اتجهت بعض العلوم المعاصرة، كاللسانيات والسيمياء، إلى دراسة وتحليل طرائق التواصل اللفظية وغير اللفظية، وتصدَّرت العلامة غير اللسانية اهتمام بعض السيميائيين، مثل (بول غرايس)، و(جون أوستين)، ووضعوا لها ثلاثة أطر: الدال والمدلول، والقصد، وبينوا أن لها هدفا تسعى إلى تحقيقه، ناهيك عن فضاء التواصل والاتصال. "ولا تختص هذه الوظيفة بالرسالة اللسانية، وإنما توجد أيضاً في البنيات السيميائية التي تشكلها الحقول غير اللسانية، غير أن هذا التواصل مشروط بالقصدية وإرادة المرسل التأثير في الغير، إذ لا يمكن للعلامة أن تكون أداة التواصلية القصدية ما لم تشترط القصدية التواصلية الواعية"[3].

ولكل مبلِّغ أسلوبه، ووسائله، لذلك من الطبيعي أن ينجذب المتعلِّم إلى أحد المربين دون غيرهم، وسبب ذلك لما يملكه من آليات تجعله الأنموذج في الاقتداء؛ من طلاقة

---

* . هي كلمة يونانية مشتقة من كلمتين: (Panto) وتعني: كل شيء، و(Mimeomai) وتعني: أقلد، ومجموع الكلمتين انبثق مصطلح "البانتوميم"، أو فن التمثيل الإيمائي، يعتمد على السخرية والهجاء، واستخدام الأقنعة، (انظر: محمد سعيد الجوخدار، البانتومايم أو فن التمثيل الإيمائي، عن مجلةالحياة المسرحية،الموقع الالكتروني: http://www.sabahalanbari.com/panto-essays/alpantomime.htm 2014/12/11 ، الساعة: 14.20)

[1] . محمد العبد، العبارة والإشارة، دراسة في نظرية الاتصال، مكتبة الآداب، القاهرة،ط2، 2007م، ص 100.

[2] . سوزان دفيس دليمز، أسرار لغة الجسد، تعريب مركز دافينشي للترجمة، إبداع للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2007م، ص13.

[3] . عبد الله إبراهيم، وآخرون، معرفة الآخر، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 1996م، ص 8.

الوجه، والكلمة الطيبة، والتواضع، ومطابقة العمل للقول، وحسن الملاطفة، والتركيز على الوسائل غير اللسانية، كحركات الجسد المختلفة، وأساليب الإيضاح، كما جاء في الأثر: "كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم"[1].

أهمية التبليغ غير اللفظي

تكمن أهمية التبليغ غير اللفظي في قدرته على التعبير عما تكنّه النفس؛ فينقل المشاعر والأحاسيس اللحظية، والتأثر بها، كما تكون وسيلة لتوضيح أو تأكيد الرسالة اللفظية، والتعبيرات غير اللفظية أكثر ثباتا بالذاكرة، وهو تبليغ يتسم بالرحابة والتنوع وغني بالرموز والدلالات، فعندما نسمع عبارات: امتقع وجهه، أو تجهمت ملامحه أو جحظت عيناه، أو ابتسم ابتسامة صفراء، أو تألق محياه، أو هز كتفيه، أو أدار ظهره، أو أومأ إليه، فكل هذا تبليغ غير لفظي غني بدلالات وإيحاءات.

أقسامه:

يمكن أن نلخص أصناف التبليغ غير اللفظي في ثلاثة أقسام:

. التبليغ الإشاري ←——— يتمثل في حركات الجسم، وهي بدلا عن التبليغ اللفظي.

. التبليغ الفعلي ←——— استخدام حركات معينة للتعبير عن أفعال، كالنقر على الطاولة طلبا للانتباه (كما يفعل القاضي أثناء المحاكمة).

. التبليغ بالأشياء ←——— استخدام أشياء مادية لأنها تحمل دلالات مقصودة، والهدف منها تبليغ رسالة إلى المتلقين، نحو تنكيس الأعلام، للدلالة على الحداد لوفاة حاكم، أو مسؤول في الدولة.

أما مظاهر التبليغ غير اللفظي يكون في التبليغ الساكن، والتبليغ الحركي، يتمثل الساكن في وضعية الجسم، والوقفة والملابس، والمسافة، وغيرها، ويتمثل الحركي في تعبيرات الوجه، والإيماءات باليد، وطريقة النظر، وغيرها.

ويمكن أن نوظف التبليغ غير اللفظي في مدارسنا مع المتعلمين أُسوة بما جاء في الخطاب النبوي، وقد أثبتت التجارب فعاليته، ونتائجه الباهرة، ولنا أمثلة توضيحية فيما يأتي:

---

[1] . محمد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي، منشورات الفجر، بيروت، لبنان، ط1، 2007م، ج2، باب الورع، ص51.

التبليغ غير اللفظي في الخطاب التربوي النبوي

يمثل التبليغ غير اللفظي في الخطاب النبوي الشريف جزءا هاما في نشر رسالة الإسلام، كما أن ثراءه وتنوعه يحفزنا على البحث فيه لسبر دُرره الكامنة، وقد نقل إلينا التاريخ الإسلامي أن الصحابة . رضوان الله عليهم . كانوا بارعين في فكِّ رموز الرسالة غير اللفظية، وذلك من خلال أفعال الرسول . صلى الله عليه وسلم . وإيماءاته، وهذا ما درج عليه علماء الحديث، حيث عرَّفوا السنة النبوية: أنها أقوال وأفعال وأحوال النبي، عليه السلام.

أساليب التبليغ غير اللفظي

انتهج الرسول . صلى الله عليه وسلم . أساليب شتَّى لتربية وإصلاح الناس فوظف القصة، وضرب المثل، وسلك الموعظة الحسنة، وجمع بين الترغيب والترهيب، فاستخدم أرقى الوسائل التربوية، وكل ذلك بالكلمة الطيبة، واللمسة الحانية كما كان . عليه وسلم . يكثر من استخدام التبليغ غير اللفظي، وذلك لعلمه بأهميته وقدرته على توصيل ما يريد إلى أصحابه ومجتمعه، فأقبلوا ينهلون من نبعه الصافي دون أن يضع حجابا بينه وبينهم، فخالطهم في جميع الأحوال، فصارت أقواله وأفعاله محل عنايتهم، "ولم يتوقف على الملفوظ والمكتوب كما هو شائع بل تخطاه إلى تقنيات لغوية أخرى، لقد لجأ إلى الإشارة غير الشفوية في أثناء خطابه وإبلاغه أحكام الشريعة"[1].

ويمكن حصر أساليب التبليغ غير اللفظي في:

أولا . حركات الجسد:

والمتأمل لخطاب النبي . صلى الله عليه وسلم . يجده في أغلب الأحيان مدعَّما بإشارات جسدية مختلفة، وفي أحاديثه "حركات جسدية مُلمِحة حينا، ومُصرحة حينا آخر بدلالات، بل قد تقوم تلكم الحركات والإيماءات مقام كلمة، أو كلمات، أو جمل وقد تكون من الروافد المعزِّزة للمعنى المتجلي في هيئة كلام منطوق"[2]، وتصدر عن صاحبها بتلقائية وعفوية، ربما لا يلقي لها بالا ولكن من يراها يستطيع تأويل معناها وغالبا ما تعبِّر عن

[1] . محمد كشاش، اللغة والحواس، رؤية في التواصل والتعبير بالعلامات غير اللسانية، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2001م، ص17.

[2] . مهدي أسعد عرار، البيان بلا لسان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2007م، ص 201.

أشياء كامنة يخفيها الشخص، وبحركات جسده يرسل رسالة إلى المتلقي فيفهمها، ومن تلك الحركات والهيئات سنركز على أهم شيء بارز في الإنسان؛ وهو الوجه.

أ . ملامح الوجه

فكانت لتعبيرات وجه النبي . صلى الله عليه وسلم . وحركات جسده أكبر الأثر في تربية أصحابه وتعليمهم، كما كانت مدعمة ومساعدة في بيان ما يقوله، وقد كانوا يفهمون مراده.

كما يعدُّ الوجه الوسيلة الأولى للتعبير عن مكنونات النفس، فتنقل المعاني من المرسل إلى المتلقي، فيحدث التواصل والتبليغ من خلاله؛ كالفرح والغضب، والحزن والعبوس، وغير ذلك، ويُروى في ذلك عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال: "ما أسرَّ أحدٌ سريرة إلا أظهرها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه"[1]، فالوجه إذاً يُعبِّر كاللسان، وتُعدُّ طلاقة الوجه المصاحبة للكلام لوناً من ألوان التحبُّب إلى الناس، ووسيلةً مؤثِّرةً من وسائل التقرّب إلى الآخرين ومداراتهم حتى قيل: "إن البحث عن المعنى في هذا العالم يبدأ وينتهي عند التعبير الوجهي"[2].

والناظر في هديه . صلى الله عليه وسلم . يرى أنه كان شديد الحرص على الصورة الوضَّاءة للوجه الإنساني، ومما ذكر في هذا الشأن:

. عن أبي ذر الغفاري . رضي الله عنه، قال: قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم .: "لا تَحْقِرَنَّ مِنَ المعروف شيئاً ولو أنْ تَلْقَى أخاك بوجْهٍ طَلِق"[3].

"وعن جرير قال: مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلاَ رَآنِي إِلاَّ تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي..."[4]، وقد انتبه الجاحظ إلى أهمية ذلك، "لأن العرب تجعل الحديث والبسط، والتأنيس، والتلقي بالبشر من حقوق القِرى، ومن تمام الإكرام"[5].

---

[1] . ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1990م، ج4، ص181

[2] . حسن حماد، بحثا عن المعنى والسعادة واليوتوبيا، مكتبة دار الكلمة،القاهرة، مصر، ط1، 2007م، ص 140.

[3] . الإمام مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب رقم 43، حديث رقم 2626، ج4، ص2026.

[4] . البخاري، كتاب الأدب، باب: التبسم والضحك، رقم:5739، ج5، ص2260.

[5] . انظر: الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط7، 1998م ، ج1، ص 10.

فالتبليغ غير اللفظي في هذا الخطاب التربوي يدعو إلى الابتسامة في وجه الآخر فهي علامة من علامات الإيمان، كذلك لها دور تربوي فعَّال؛ تؤدي إلى النجاح وكسب ثقة الآخرين، بل هي طريقة لعلاج الاكتئاب، مثل ما بيَّنه علماء النفس في العصر الحديث، فالابتسامة تريح الإنسان، وتجعله أكثر استقرارا، ويتضح التبليغ النبوي في هذا الجانب: أنها وسيلة حية تؤدي إلى هداية الكثيرين؛ فعندما تبتسم وأنت تنظر في وجه أخيك، فيه قمة التأثير، إنه أسلوب نبوي كريم للتعبير عما يكنُّه الإنسان من محبة واحترام تجاه أخيه الإنسان.

ولاستشراف دلالات التبليغ غير اللفظي عن طريق ملامح الوجه، نجد الوجه المستنير الفرح:

قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهْوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: "أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ". قَالَ: قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: "لاَ، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ". وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ...[1]

لقد فهم كعب الرسالة من ملامح وجه الرسول . صلى الله وسلم . عندما رأى البِشْر يعلو وجه المبلّغ، وعليه يمكن القول:

استنارة وجه المبلغ ⟵ تبليغ غير لفظي ⟸ حقق الغاية، حيث فهم المتلقي دلالة ملامح السرور على وجه المبلغ.

وهناك التبسُّم المنطوي عن الغضب، مثل ما ذكر كعب بن مالك أيضا عندما تأخر عن غزوة تبوك، قال: "فَجِئْتُهُ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ: "تَعَالَ". فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ..."[2].

يبين التبليغ التربوي في هذا الخطاب تبسم المبلغ الممزوج بالغضب، ففيه دلالة تنبيه لكعب بن مالك عن خطأ تخلّفه عن الجهاد، ومن جهة أخرى إقرار بصدقه، وقبول عذره

[1] . البخاري، كتاب المغازي، بَابُ: حَدِيثُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، رقم: 4156 ، ج4، ص 1607.

[2] . البخاري، كتاب المغازي، باب: حديث كعب بن مالك، رقم: 4156 ،ج4، ص 1605.

على مضض، فالتبليغ غير اللفظي فيه تربية وتوجيه، "وأن التبسم قد يكون عن غضب كما يكون عن تعجب ولا يختص بالسرور"[1].

وهنا ندرك الأهمية البالغة للوجه في التبليغ، كونه يشمل على مجموعة من الحواس ويعد أهم قنوات التعبير لدى الإنسان، وحريّ بالمبلغ أينما كان أن يوظف هذه الخاصية في مواقف التربية والتعليم لفائدتها.

وغالبا ما تكون المشاعر الإنسانية مقروءة على صفحة الوجه، وقد لاحظنا ذلك من خلال الخطاب قبل السابق، كيف كان لتعبير وجه المبلغ، وطلاقة أساريره وسيلة مؤثرة لتوصيل الرسالة إلى المتلقي.

وقد يكون النقيض، أي الوجه العابس، أو المتجهّم يحمل رسالة فيها إنكار أو كراهة لأمر ما، ومن أمثلة هذا الوجه الغاضب ما جاء في حديث القسمة:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَسَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسْمًا، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ، فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَغَضِبَ، حَتَّى رَأَيْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ وَقَالَ: "يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى، لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ"[2].

نلاحظ كيف قرأ الصحابي هيئة الغضب على وجهه . صلى الله عليه وسلم . فهي صورة من صور التبليغ غير اللفظي، وقد تعلَّم الصحابة هذه الدلالات التي تبين عن القصد، وبذلك كانت هذه التعبيرات مصدر تشريع اتبعه الناس، وتواصلوا معه إلى أن بلغنا اليوم، وربما غفلنا عنه خاصة في معاملاتنا.

ومن فوائد هذا الخطاب التربوي:

. إدراك دلالة الغضب، وأنها أبلغ من القول، ولها غرض تربوي.

. تعد ملامح وجه المبلِّغ مصدرا من مصادر التشريع.

. تربية المتلقين على كظم الغيظ، وعدم الانفعال إذا تلقوا ما يزعجهم.

. الاعتبار بمن سبقهم من الصالحين، مثل ما فعل الرسول . صلى الله عليه وسلم . عندما تذكر مدى صبر سيدنا موسى . عليه السلام . على أذى قومه.

. تحقق التبليغ غير اللفظي، حيث أفاد المتلقين بما ينفعهم.

---

[1] . ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، بشرح صحيح البخاري، ج8، ص 124.

[2] . البخاري، كتاب الدعوات، بَابُ: قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ)، رقم:5977، ج5، ص 2333.

تحمل ملامح الوجه أصدق تبليغ، وقد رأينا علامات الغضب على وجه الرسول . صلى الله عليه وسلم . فيتمعَّر وجهه، ويحمر خاصة إذا انتهكت محارم الله وحقوق الناس.

فالانبساط والانشراح والتبسم هي الأصل، فهي مفاتيح للأبواب المغلقة تشعر أصحابها بالراحة والاطمئنان، لذلك أمر الرسول . صلى الله عليه وسلم . بالحرص عليها، أما الغضب والتجهم والعبوس فهو استثناء، ولا يكون إلا في أوقات محددة قصد تبليغ رسالة ما للمتلقي، فهذه وسيلة تربوية أعطت ثمارها، فلا بدَّ من الالتزام بها مع المتعلِّمين في مدارسنا، لأنَّها وسيلة تنبض بطاقة خلاَّقة، إذا دأب عليها المربِّي توقد جذوة النفوس الخامدة.

ب . هيئة الرأس

لحركة الرأس دلالات مختلفة، وقد يقوم مقام التبليغ اللفظي، "وفي (علم الحركات) تقدّم أن للرأس هيئات مختلفة، كالمرفوع، والخفيض، والمائل، ولكل هيئة دلالات مخصوصة، وقد كان للرأس حضور في الحديث النبوي الشريف، وفضل ظاهر في التواصل والإبانة"[1]، ومما ورد في هذا الشأن: الرأس الراكع والساجد:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ: أَنَّ عَامِرَ بْنَ رَبِيعَةَ أَخْبَرَهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهْوَ عَلَى الرَّاحِلَةِ يُسَبِّحُ، يُومِئُ بِرَأْسِهِ قِبَلَ أَيِّ وَجْهٍ تَوَجَّهَ*، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ ذَلِكَ فِي الصَّلاَةِ الْمَكْتُوبَةِ[2].

يومئ ⟵ يشير بحركة رأسه إلى الركوع والسجود، وهو يصلي النافلة ويجعل إشارة سجوده أخفض، من غير أن يضع جبهته على ظهر الراحلة.

من خلال إشارة الرأس يبلغنا المخاطب كيفية الركوع والسجود إذا كان المسافر راكبا ولا يكون ذلك إلا في صلاة التطوع.

توضِّح هيئة الرأس التبليغ غير اللفظي للقيام ببعض العبادات، وجرَّاء ذلك تعلم الصحابة من الرسول . صلى الله عليه وسلم . هذه الكيفية حتى لا يفوتهم الأجر وهم في سفر، على ظهور المركبات بشتى أنواعها، كما اهتدوا لمعناها، وكيفية أدائها.

---

[1] . مهدي أسعد عرار، البيان بلا لسان، ص211.

* . قبل أي وجه توجه: مقابل أية جهة، المكتوبة: المفروضة، البخاري، ص 371.

[2] . البخاري، كتاب تقصير الصلاة، باب: ينزل للمكتوبة، رقم: 1046، ج1، ص 371.

فتعد حركة الرأس وسيلة من وسائل التبليغ غير اللفظي، حيث تنقل معان مختلفة؛ كالرفض والقبول، والذل والاستنكار، والاستهجان، وقد يتداخل التبليغ اللفظي والتبليغ غير اللفظي في توصيل المعنى، مثل ما نراه في الخطاب الآتي:

عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْقِتَالُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَإِنَّ أَحَدَنَا يُقَاتِلُ غَضَبًا، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً. فَرَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ، قَالَ: وَمَا رَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ قَائِمًا، فَقَالَ: "مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ"[1].

فرفع الرأس دلالة الاستجابة لما جاء في سؤال الرجل، ولتعزيز هذه الإشارة أعقبها بخطاب لفظي:

. التبليغ غير اللفظي ⟵ رفع الرأس.

. التبليغ اللفظي ⟵ قوله: "مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ".

فعلى المربّي أن يتوسل بكل أساليب التوضيح، ليبلغ الرسالة، وتصل واضحة إلى المتلقي فيستوعبها، ويتبع هديها، كذلك يجب عليه أن يعطي اهتمامه لاستفسارات السائلين مهما كانت، لتعليمهم وتربيتهم.

فكانت الإبانة برفع الرأس كافية لفهم المقصود، وأن ما جاء في سؤال الرجل أجيب عنه من قبل الرسول . صلى الله عليه وسلم . وقرب له المفهوم فكان واضحا.

"وقد ظهر ذلك جليا في خطبة الرسول . صلى الله عليه وسلم . البليغة المستوعبة في حجة الوداع، فقد اشتملت على أحوال، وتعاليم، ووصايا،...وقد التفت الراوي إلى حركة رأس الرسول التفاتة معجبة لما لها من دلالة مقامية وإيحاء..."[2]

قال: "فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا". فَأَعَادَهَا مِرَارًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: "اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ"[3].

---

[1] . البخاري، كتاب العلم، بَابُ: مَنْ سَأَلَ، وَهُوَ قَائِمٌ، عَالِمًا جَالِسًا، رقم: 123، ج1، ص 58.

[2] . مهدي أسعد عرار، البيان بلا لسان، ص ص214، 215.

[3] . البخاري، كتاب الحج، باب: الخطبة أيم منى، رقم: 1652، ج2، ص 619.

فرفع الرأس فيه توجه إلى الله . عز وجل . لدعائه بأن يتقبل منه الأعمال التي بلغها إلى أمته.

ويتضح التبليغ غير اللفظي في هذا الخطاب في رفع الرأس إلى الأعلى، ودلالته:

. إكمال المهمة المكلف بها.

. التوجه إلى الله قبل كل شيء، فله الأمر من قبل ومن بعد.

. تربية الناس على التوكل على الله، فهو المعين في إتمام الأعمال مهما كانت شاقة.

. حثّ المتلقين على الإلحاح في طلب القبول من الله تعالى.

فلهيئة الرأس دلالات عديدة يبينها السياق، كما يقوم الرأس مقام الكلام في وضعيات مختلفة، وفي صحيح البخاري بعض الأحاديث دلَّت على هذا التبليغ غير اللفظي، فإذا أخذنا بدلالتها استبان لنا طريق الهدى، لتوجيه الآخرين لتربيتهم وتعليمهم.

ويمكن الاستفادة من هذه الهيئة لتوجيه إشارة لمتعلّم ما، قصد تنبيهه لمتابعة الدرس أو المشاركة في الإجابة عن أسئلة مطروحة.

ج . العين ودلالتها

تعد العين من أبرز أعضاء جسم الإنسان إعطاءً لرسائل غير لفظية، حيث يفهم من لغة العين عدة رسائل تنم عن حال صاحبها، و"العين للمبصر أساس الاتصال الصامت فهي التي تنقل لك كل التعبيرات الصامتة التي تصدر عن الآخرين، وبالإضافة لذلك فإنها يمكن أن تكون هي وسيلة تعبير غير لفظي تنقل للمتلقين ما يعتلج في نفسك من خوف، أو حب، أو حياء، أو فرح، أو سرور، أو خيانة"[1].

وللعين دور مهم في التَّعبير، لذلك يجب على المعلم أن يركِّز نظره على جميع الطلبة، ويراقب حركاتهم وسكناتهم حتى يعتقد كل واحد منهم أنه المعني بالكلام، فلا يغفل عن أحد، وبهذا الاهتمام البصري يجذب انتباههم للاستماع والإنصات، ويستطيع تلقينهم ما يريد بكل أريحيَّة واطمئنان، ومن دلالات العين في الخطاب التربوي نجد:

[1] . انظر: نضال أبو عياش، الاتصال الإنساني من النظري إلى التطبيق، كلية فلسطين التقنية، العروب، الخليل، ط1، 2005م، ص 123.

. العين الدالة على الإيمان والخشوع

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ"[1].

فالعين . في هذا الحديث . الدالة على الخشوع والإيمان بالله تعالى، هي عين باكية شوقا إلى الله وخوفا منه، ونرى العين المبصرة تنبض بإحساس فيَّاض، فاضت دمعا، معبّرا عن المبالغة في إظهار صورة الخشوع، وقوة الإيمان.

فالرسالة غير اللفظية المتضمّنة في هذا الخطاب التربوي هي أن يبكي الإنسان وحده، دليل على صدق إيمانه، وامتثاله الطاعة، واجتنابه المعصية، وفيه تبليغ معبّر عن صفاء النفس، وتخلية تعقبها تحلية، تيسّر للمربي الطريق لإيصال الرسالة.

. العين الدالة على الفرح

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لأُبَيٍّ بْنِ كَعْبٍ: "إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُقْرِئَكَ الْقُرْآنَ". قَالَ آللَّهُ سَمَّانِي لَكَ؟ قَالَ: "نَعَمْ". قَالَ: وَقَدْ ذُكِرْتُ عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: "نَعَمْ". فَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ[2].

يدل البكاء في هذا الحديث على الفرح والسرور، كما يدل على الخوف من التقصير "قال: أو سماني؟ أي هل نص عليَّ باسمي؟ أو قال: اقرأ على واحد من أصحابك فاخترتني أنت؟ فلما قال له: "نعم" بكى إما فرحا وسرورا بذلك، وإما خشوعا وخوفا من التقصير في شكر تلك النعمة"[3].

فبكاء العين فيه تبليغ غير لفظي ينمُّ عن مشاعر القلب حين يغمره الرضا بما أنعم عليه الله . عز وجل . من نعم، وفيه توجيه للمتلقين لقراءة القرآن وتدبر آياته، وقد "خص

---

[1] . البخاري، كتاب الزكاة، بَابُ: الصَّدَقَةِ بِالْيَمِينِ، رقم: 1357، ج2، ص 517. (خالي القلب: لا يفكر في شيء غير الله).

[2] . البخاري، كتاب التفسير، باب: تفسير سورة: (لَمْ يَكُنْ)، رقم: 4677، ج4، ص 1897.

[3] . ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، بشرح صحيح البخاري، ج8، ص 509.

هذه السورة بالذكر لما اشتملت عليه من التوحيد والرسالة والإخلاص والصحف والكتب المنزلة على الأنبياء، وذكر الصلاة والزكاة والمعاد وبيان أهل الجنَّة والنار مع وجازتها"[1].

فدلالة العين على الفرح فيه بشرى للمتلقي المداوم على مدارسة القرآن سواء بالقراءة، أو التعلم، أو العمل بما فيه، لينال الدرجات الرفيعة.

. العين المعجبة

ينظر الإنسان إلى شيء ما، وربما يطيل النظر انبهارا بما رأى، أو تعجبا من موقف ما، وهل سيكون هذا النظر مرغوبا؟ أم ينطوي على دلالة يرفضها ديننا الحنيف وينهى الشارع على الإتيان بمثلها، ونقف على هذه الدلالة:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ الْفَضْلُ رَدِيفَ* رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ، فَجَعَلَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَجَعَلَ

النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْرِفُ وَجْهَ الْفَضْلِ إِلَى الشِّقِّ الآخَرِ...[2]

دلت هذه العين عن الإعجاب، وهي من النظر المنهي عنه، "ذلك أن تلكم النظرات والترامق كانا مما ينتسب إلى باب القول على خائنة الأعين المنهي عن إتيانها"[3].

فللعين جاذبية قوية، لذلك هي أول ما يفتن الإنسان خاصة إذا أطال النظر، وهذا ما جعل النبي . صلى الله عليه وسلم . يعدل وجه الفضل . رضي الله عنه . لما رآه قد أطال النظر لتلك المرأة، كي يغض طرْفه، وفي هذا التبليغ غير اللفظي تنبيه من المبلغ أن لا يطلق الناظر عينيه إلى ما حرم الله . عز وجل . حفظا للطرفين من الوقوع في المعاصي.

فللعين الدالة على الإعجاب حدود لا بدَّ من مراعاتها؛ قد تحمل رسائل مهلكة وشرا مستطيرا يمكن تجنبه بغضِّ البصر، كما أمر الله تعالى في هذا الشأن:

---

[1] . المصدر نفسه، ص 509.

* . رديف: راكبا وراءه، خثعم: اسم قبيلة من اليمن، الشق: الجانب، صحيح البخاري، ص 551.

[2] . البخاري، كتاب الحج، باب: وُجُوبِ الْحَجِّ وَفَضْلِهِ، رقم: 1442، ج2، ص 551.

[3] . مهدي أسعد عرار، البيان بلا لسان، ص 217.

﴿قُل لِّلْمُومِنِينَ يَغُضُّواْ مِنَ اَبْصٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[1].

وعلى المسلم الحذر من الوقوع في المعصية جراء النظر المسموم.

وهنا أدركنا أن تكون العين مصدرا رئيسا للمعلومات، فمن خلال إيماءاتها وحركاتها نستطيع التعرف على الكثير من المعاني والدلالات.

د . اليد ودلالتها

إن لحركة اليد أو اليدين أثرا في التبليغ غير اللفظي، فيمكنها أن تحمل رسائل إلى المتلقي وتجسد المعنى وتوضحه، و"كثيرا ما تستعمل اليد في إشارة التعيين؛ تعيين الجهة، أو المكان، أو الشيء، أو الكمية، أو الزمان، واللافت للنظر من وجهة سلوكية أن الطفل الصغير يشير إلى الأشياء قبل التكلم، فتكون إشارته المتخلقة عن يده أو يديه وجها من وجوه التواصل غير اللفظي، ونائبا أمينا يقوم مقام النطق الذي لمَّا يكتمل عنده"[2]، ومن أشكال دلالة اليد في صحيح البخاري:

. اليد المشيرة

وقد تقوم الإشارة باليد مقام الكلمات، ونجد ذلك في الحديث الآتي:

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الإِيمَانُ هَا هُنَا". وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْيَمَنِ...[3].

فدلت الإشارة على جهة معينة، "أي إلى جهة اليمن، وهذا يدل على أنه أراد أهل البلد لا من ينسب إلى اليمن ولو كان من غير أهلها"[4]. وفي معنى آخر: "قوله: "الإيمان يمان"، أن مبدأ الإيمان من مكة لأن مكة من تهامة، وتهامة من اليمن، وقيل: المراد مكة والمدينة، لأن الكلام صدر وهو . صلى الله عليه وسلم . بتبوك، فتكون المدينة حينئذ بالنسبة إلى المحل الذي هو فيه يمانية"[5].

---

[1] . سورة النور، الآية 30.

[2] . مهدي أسعد عرار، البيان بلا لسان، ص 221.

[3] . البخاري، كتاب المغازي، بَابُ: قُدُومُ الأَشْعَرِيِّينَ وَأَهْلِ الْيَمَنِ، رقم: 4126، ج4، ص 1594.

[4] . ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، بشرح صحيح البخاري، ج8، ص 99.

[5] . المرجع نفسه، ص 99.

فكان التبليغ غير اللفظي في هذا الخطاب الإشارة باليد إلى جهة اليمن لما يتصف به أهلها من رقة القلب وصفاء الروح.

وقد تشير اليد إلى ما يتعلق بالعبادة، وذلك تنبيها للمتلقي أهمية الموضوع، وذلك في قوله:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ، عَلَى الْجَبْهَةِ . وَأَشَارَ بِيَدِهِ عَلَى أَنْفِهِ . وَالْيَدَيْنِ، وَالرُّكْبَتَيْنِ وَأَطْرَافِ الْقَدَمَيْنِ، وَلاَ نَكْفِتَ الثِّيَابَ وَالشَّعَرَ"[1].

وأشار بيده إلى أنفه ⟵ أي مشيرا إلى أن الأنف والجبهة كالعضو الواحد.

فدلالة الإشارة باليد تبليغ غير لفظي يعلِّم المتلقي الأعضاء السبعة التي يجب السجود عليها، وخصَّ بالإشارة إلى الأنف ليبين أنه تابع للجبهة أثناء السجود.

كما ذكَّر المصلين بالحفاظ على الخشوع أثناء الصلاة، وذلك بالابتعاد عن كل ما يشغلهم أثناء صلاتهم، كجمع الثوب عند السجود، وإصلاح الشعر، لأن في هذا تشتيتا للذهن، وعندئذ ينقص الأجر.

. اليد الدالة على القلة

تستعمل اليد لتدلَّ على الكمية كثيرة كانت أو قليلة، مثل ما جاء في هذا الحديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فِي الْجُمُعَةِ سَاعَةٌ، لاَ يُوَافِقُهَا مُسْلِمٌ وَهْوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ خَيْرًا إِلاَّ أَعْطَاهُ". وَقَالَ بِيَدِهِ، قُلْنَا: يُقَلِّلُهَا، يُزَهِّدُهَا[2].

فالإشارة باليد تبليغ غير لفظي، تدل على قيمة هذه الساعة في يوم الجمعة، وفيه حضّ على التماسها لما فيها من خير كثير، "وقوله "لا يوافقها" أي يصادفها"،[3] وفي تحديد وقتها قال ابن حجر: "وهما حديثان أحدهما أنها من جلوس الخطيب على المنبر إلى انصرافه من الصلاة، والثاني أنها من بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس"[4].

---

[1] -البخاري، كتاب صفة الصلاة، بَابُ: السُّجُودِ عَلَى الأَنْفِ، رقم: 779، ج1، ص 280.

[2] . البخاري، كتاب الدعوات، بَابُ: الدُّعَاءِ فِي السَّاعَةِ الَّتِي فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، رقم: 6037، ج5، ص 2350.

[3] . ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، بشرح صحيح البخاري، ج2، ص 416.

[4] . المصدر نفسه، ص 416.

كما ذكر معنى (وقال بيده)، وهو "وضع أنملته على بطن الوسطى أو الخنصر قلنا يزهدها،...وكأنه فسَّر الإشارة بذلك، وأنها ساعة لطيفة تنتقل ما بين وسط النهار إلى قرب آخره، وبهذا يحصل الجمع بينه وبين قوله "يزهدها" أي يقللها"[1].

وإشارة إلى وضعها على الخنصر فيه تنبيه خفي أن الساعة المقصودة قد تكون في آخر النهار، مادام الخنصر آخر أصابع اليد.

لهذا دلَّت الإشارة على القلة، وفيها حثّ المتلقين على اغتنام ساعة الجمعة لنيل أجرها العظيم.

وربَّما يستفيد المعلم بمثل هذه الإشارة، لينقل إلى طلبته ما يفيدهم بإشارة دالة على القلة، تحفيزا لهم على التنافس، والتباري في ميدان العلم والمعرفة.

. اليد الدالة على المعنى

قد يلجأ المبلغ إلى استعمال يده لتوضيح معنى قد استشكل فهمه، فيعمد إلى اليد "لرسم مراده مساوقا بين الدلالتين الصامتة والصائتة، ليكون صنيعه ذاك شرحا وتجلية وتفسيرا لمراده"[2]، ومما ورد في هذا الباب:

عَنْ سَالِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يُقْبَضُ الْعِلْمُ وَيَظْهَرُ الْجَهْلُ وَالْفِتَنُ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ". قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْهَرْجُ؟ فَقَالَ: هَكَذَا بِيَدِهِ فَحَرَّفَهَا، كَأَنَّهُ يُرِيدُ الْقَتْلَ[3].

وظف المبلِّغ اليد في توضيح المعنى للسائل، عندما سأله: ما الهرج؟ أشار له بيده يشرح له المقصود، ولم يتلفظ به، فكانت الإشارة أبلغ من شرح مدلولها لفظيا، فمهما نمَّق الكلام، وزخرفه لا يحقق مدلول الإشارة، فأثرها في النفس أرسخ، فهي معبرة عن كل

[1] . المصدر نفسه، ص 416.

[2] . مهدي أسعد عرار، البيان بلا لسان، ص 228.

[3] . البخاري، كتاب العلم، بَابُ: مَنْ أَجَابَ الْفُتْيَا بِإِشَارَةِ الْيَدِ وَالرَّأْسِ، رقم: 84، ج1، ص 44.

كلام، وبمشاهدة الأبصار لها، يُستبعد نسيانها، أو الغفلة عنها،مهما تباينت المواقف لذلك تضمَّن هذا التبليغ غير اللفظي فظاعة ما سيلحق الناس إذا ابتعدوا عن شرع الله فحثَّهم على الاعتصام به، وتجنّب قواصم الفتن.

ومن أسبابها كما جاء في هذا الخطاب:

. قبض العلم، ورفع الجهل.

. ضعف تدين الناس، وسوء أخلاقهم.

. عدم تحكيم شريعة الله.

. كثرة الظلم من الراعي والرعية.

. وجود دعاة الفتنة.

. ترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

وعلى هذا فدلالة حركة اليد متنوعة في صحيح البخاري، ورأينا كيف كان لها دور هامّ، وإيجابي في تبليغ اللغة الصامتة للمتلقين، كما أسهمت في توصيل المعنى وتوضيحه.

هـ . الأصابع ودلالتها

تعدُّ حركات الأصابع وسيلة مساعدة على توضيح المعنى المراد، وما هي إلا فرع لليد، وتؤول مثل هذه الحركات إلى تبسيط المعنى المراد تبليغه للمتعلِّم، فتثير انتباهه وترسخ المعلومة في ذهنه، ونجد هذا الأسلوب واضحا في الخطاب النبوي الشريف:

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ :سَمِعْتُ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا". وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى[1].

فاستخدام الإشارات الحسيَّة ليدلّ على المفهوم المجرد بشيء ملموس، وهي وسيلة تبليغية غير لفظية، "فالإشارات هي المكون الرئيس الثاني بعد اللغة المنطوقة، وهي التي

[1] . البخاري، كتاب الأدب، باب: فضل من يعول يتيما، رقم: 5659، ج5، ص 2237.

تجسد اللغة فتأتي الإشارات بصيغ تعبيرات حركية لأعضاء الجسم المختلفة كون الحواس هي الوسائل والقنوات الوحيدة التي يمرُّ عبرها الإدراك الإنساني عموما"[1]

وفي إشارة إلى السبَّابة والوسطى في الحديث الشريف لدلالة على تبليغ المعنى المراد وإيصاله إلى المتلقي تدعيما للملفوظ قبله: "أنا وكافل اليتيم في الجنة..."، فلابد من الانتباه إلى هذه الحركات، لما لها من دور كبير في عملية التبليغ، فهي بمثابة رسائل ذات دلالات معينة، وعبرها يتلقى المخاطَب التوجيهات التربوية المقصودة فكفالة اليتيم من أعظم أبواب الخير، لذلك دعا النبي . عليه السلام . إلى الاهتمام بهذا الجانب، وجعل فيه من الثواب ما يتنافس لأجله المتنافسون.

قال ابن بطال : "حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به، ليكون رفيق النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك. ثم قال الحافظ ابن حجر : وفيه إشارة إلى أن بين درجة النبي صلى الله عليه وسلم وكافل اليتيم قدر تفاوت ما بين السبابة والوسطى!"[2]

فهذه دعوة إلى التكفل باليتامى فهي من أعظم القربات التي حثت عليها الشريعة الإسلامية، ناهيك عن مرافقة النبي . صلى الله عليه وسلم . في الجنة.

هذه أيقونة كفالة اليتيم لإصبعي السبابة والوسطى[3]

[1] . إبراهيم محمد شريف، أساليب الاتصال غير اللفظي، (في السنة النبوية المطهرة)، مجلة تفكر، عن معهد إسلام المعرفة (إمام)، السودان، مجلد 8، العدد1، 2007م، ص 90.

[2] . ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج9، ص 217.

[3] . الموقع الالكتروني: وسيط الخير، فضل كفالة اليتيم.http:// www.wasitalkhir.org يوم الثلاثاء 25/ 03/2014م، الساعة 15:19.

وفي صورة أخرى من صور التبليغ غير اللفظي، نراه يتجلى في أجمل صوره؛ عندما قام عليه السلام بالتشبيك بين أصابعه ليدل على قوَّة العلاقة التي تربط بين المؤمن وأخيه:

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا". وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ"[1]، استخدم الرسول . صلى الله عليه وسلم . التشبيك بين أصابعه الشريفة للكناية عن القوة والتماسك حينا وللتداخل بين شيئين حينا آخر، وللاختلاط والاختلاف حينا ثالثا"[2]، ولاشك أن استخدام هذه الوسيلة التبليغية (التشبيك بين الأصابع)، تجعل المتلقي يدرك أكثر المقصود التربوي الذي ترمي إليه هذه الإشارة، وتتضح الصورة أكثر من ذكر اللفظ مجردا.

ولعل هذا التبليغ غير اللفظي يدوم أطول، لأن المتلقي ينفعل مع الشيء المحسوس ويتجاوب معه، ليتعلم وينقل الخبرات لمن بعده.

فعلامة التشابك بين الأصابع تدل على التماسك والترابط، والقوة والقرب والالتصاق والتلاحم، وكل هذا صورة للمؤمنين ليكونوا كالبنيان في قوتهم وصلابتهم فيتعاونون ويتآزرون، ويتعاطفون ويتراحمون، من أجل إعمار الأرض بالخير.

وهذه أيقونة التشابك بين الأصابع[3]

فالصورة حسية تراها العين وتدركها.

والإشارة بالإصْبَع لها أيضا دلالة مكانية:

---

[1] . البخاري، كتاب المظالم، باب: نصر المظلوم، رقم: 2314، ج2، ص 863 .

[2] . محمد شريف، أساليب الاتصال غير اللفظي، ص 92.

[3] . الموقع الالكتروني: ساعة علم. http:// www.science_hour.com
يوم الخميس 26/6/ 2014م، الساعة 14:55.

قال: "إِذَا رَأَيْتُمُ اللَّيْلَ أَقْبَلَ مِنْ هَاهُنَا، فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ". وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ قِبَلَ الْمَشْرِقِ[1].

كان التواصل بين المبلغ والمتلقي بواسطة الإشارة غير اللفظية، حيث استعمل الإصبع وسيلة توضيحية لتعيين مكان إقبال الليل، ليتأكد الصائمون من غروب الشمس وحلول موعد الإفطار.

"إذا أقبل الليل من ها هنا" أي من جهة المشرق،...والمراد به وجود الظلمة حسا"[2].

وعليه فكل من رأى هذه الإشارة الحسية، أن يقدم على الإفطار، لأن النهار قد أدبر والليل أقبل، وهذه إشارة للصائم أن ينجز عبادة الإفطار.

فكان التواصل غير اللفظي بالإصبع، ومنه قد بلغ الرسول . صلى الله عليه وسلم . رسالة الصوم، ومتى ينهي الصائم صومه.

و . دلالة المشي

لقد أدرجت دلالات خاصة بأعضاء الجسد، تقوم مقام التبليغ اللفظي، نجد أيضا دلالة المشي تنم عن شخصية صاحبها، وحالته، ومما بلغنا عن طريقها:

أ . الحزم والجِدُّ

عَنْ عُقْبَةَ قَالَ: صَلَّيْتُ وَرَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ الْعَصْرَ، فَسَلَّمَ ثُمَّ قَامَ مُسْرِعًا، فَتَخَطَّى* رِقَابَ النَّاسِ، إِلَى بَعْضِ حُجَرِ نِسَائِهِ، فَفَزِعَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَتِهِ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ، فَرَأَى أَنَّهُمْ عَجِبُوا مِنْ سُرْعَتِهِ، فَقَالَ: "ذَكَرْتُ شَيْئًا مِنْ تِبْرٍ عِنْدَنَا، فَكَرِهْتُ أَنْ يَحْبِسَنِي، فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ"[3].

دل هذا الخطاب على أن حركة إسراع النبي . صلى الله عليه وسلم . أعطت تبليغا غير لفظي للمتلقين، وذلك لوجود أمر هام كان مثار تعجبهم، ففهم المبلغ ذلك من هيئتهم، فأجابهم بما كان لديه، "وفيه إباحة التخطي رقاب الناس من أجل الضرورة التي لا غنى

---

[1] . البخاري، كتاب الصوم، بَابُ: يُفْطِرُ بِمَا تَيَسَّرَ عَلَيْهِ بِالْمَاءِ وَغَيْرِهِ، رقم: 1855،ج2، ص 691.

[2] . ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، بشرح صحيح البخاري، ج4، ص 196.

* . تخطى: تجاوز، تبر: ذهب، يحبسني: يشغلني التفكير فيه عن التوجه والإقبال على الله تعالى،البخاري، ص 291.

[3] . البخاري، كتاب صفة الصلاة، بَابُ: مَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ، فَذَكَرَ حَاجَةً فَتَخَطَّاهُمْ، رقم: 813، ج1، ص 291.

للناس عنها،...وفيه السرعة للحاجة المهمة، وفيه أن التفكر في الصلاة في أمر لا يتعلق بها لا يفسدها ولا ينقص من كمالها"[1].

فهذه صورة ناطقة معبّرة تربي الناس على الإسراع في إعطاء الآخرين حقوقهم وعدم التماطل حتى لا تضيع مصالحهم، وفيه حث على التخلص مما يشغلهم أثناء إقبالهم على خالقهم، فعبرت هيئة المشي على الحزم والجد كما ورد في الخطاب، فكان المبلِّغ مدركا لما يفعل حرصا منه على تلقين هذا التصرف للناس الذين صلّوا وراءه فهو نعم القائد والإمام.

كما أن الإسراع في المشي يحمل عدة دلالات تختلف بحسب الموقف الاتصالي الذي يكون فيه الشخص، فقد يكون لطلب حاجة، أو نصرة شخص، أو قيام بأمر مستعجل أو أداء عبادة من العبادات، إلا أن بعضها يتطلب الهدوء والتريث، مثل ما نراه في العنصر الموالي:

. السكينة والأناة

عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ فَلاَ تَأْتُوهَا تَسْعَوْنَ، وَأْتُوهَا تَمْشُونَ، عَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا"[2].

حث هذا الخطاب على الإقبال على الصلاة بتأني وتريث، ونهى عن الركض والهرولة، ولو كان القصد الحرص على إدراك الصلاة، ودلالة ذلك التأدب بآداب
الصلاة، وهو الخشوع وسكون الأعضاء، لأن الإسراع يفقد هذا كله، وعليه أن يصلي ما أدرك، ويقضي ما سبق، ولا كراهة في فوت الصلاة، "وقد أجمع العلماء على استحباب المشي بالسكينة إلى الصلاة، وترك الإسراع والهرولة في المشي؛ ولما في ذلك من كثرة الخطا إلى المساجد"[3].

---

[1] . بدر الدين العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، ج6، ص 204.

[2] . البخاري، كتاب الجمعة، بَابُ: الْمَشْيِ إِلَى الْجُمُعَةِ، رقم: 866، ج1، ص 308.

[3] . ابن رجب الحنبلي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد بن شعبان بن عبد المقصود، وآخرون، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، السعودية، ط1، 1996م، ج 5، ص 392.

وقد نرى ما ينتاب المسرع من ضيق، "فإن المسرع إذا أقيمت الصلاة يصل إليها وقد ضاق به النفس فيقرأ بغير ترتيل، ويقف في الصلاة مضطربا من غير تمام الخشوع، بخلاف من جاء قبل ذلك فإن الصلاة قد لا تقام حتى يستريح"[1].

لذلك حرص المبلغ أن يعلِّم الناس هيئة المشي إلى الصلاة، ومنها يتعلَّم المتلقي أيًّا كان، أنَّ عبادة الصلاة أساسها الخشوع والطمأنينة، وليس الهرولة، والسعي المخلّ بهدوء المصلِّي، فالحركة الجسدية لها دور أساس في عمل الإنسان.

وعلى المربِّين في جميع مراحل التعليم استثمار هذا التبليغ غير اللفظي، وجعله وسيلة تربوية، مساعدة على توصيل المعلومة من جهة، ومن جهة أخرى فيه تنويع لأساليب الدرس، لإبعاد الملل والرتابة أثناء العملية التعليمية.

ثانيا . رسوم هندسية وخطوط توضيحية

. التعبير رالرسم

من وسائط تبليغ الرسالة التعليمية الرسومات الهندسية والخطوط التوضيحية، فالرسم "أسلوب تعليمي يجلو الأمر ويوضحه أتمَّ توضيح، وإنه لمستوى رفيع في التوجيه والإبلاغ أن يكون الرسم أداة في قوم أميين"[2]، ويعبر عن سرعة تبليغ المعنى إلى المتلقي فيرقى المستوى الجمالي الذي يتفوق على كل ملفوظ.

استخدم الرسول . صلى الله عليه وسلم . الرسوم التوضيحية كوسيلة تبليغية، فكان له فضل السبق في توظيفها لما لها من الإثارة والمتعة، والتشويق والإدراك التام للفكرة وحفظها وترسيخها في العقول، "ومن ذلك رسم المعنى المراد على الأرض، وفي ذلك إبانة غير لفظية ظاهر أمرها"[3]، ومما ذكر:

[1] . موسى شاهين لاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2002م، ج3، ص 293.

[2] . محمد الصباغ، التصوير الفني في الحديث النبوي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988م، ص 525.

[3] . مهدي أسعد عرار، البيان بلا لسان، ص 246.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الْوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطُطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسَطِ، وَقَالَ: "هَذَا الإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ . أَوْ: قَدْ أَحَاطَ بِهِ . وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الْخُطُطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا"[1].

لاشك أن الرسم يجلو المعنى المقصود ويوضحه ليصل إلى مستوى رفيع في التوجيه والتبليغ،

وكان المخطط على الشكل الآتي[2]:

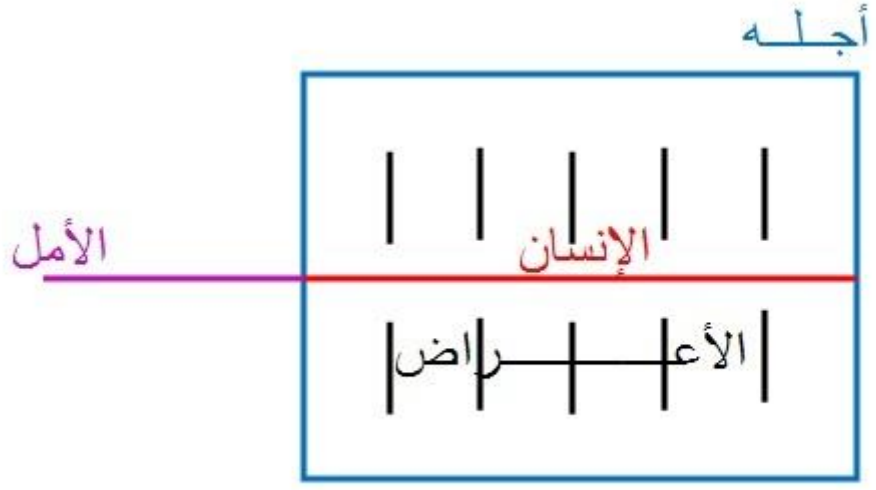

فالرسم أعلاه يبين لنا الإنسان وأجله وأمله والأعراض التي تقابله؛ فلإنسان نواة هذا المخطط، ماذا بعد:

. أجله ← لا يمكن الفرار منه.

. مدة أجله ومدة عمره ← محيطة به.

. خارج المربع ← أمله الذي ظن أنه سيدركه قبل حلول أجله.

. خط طويل ← أمله لا يفرغ منه، وأجله أقرب إليه.

---

[1] . البخاري، كتاب الرقاق، باب: في الأمل وطوله، رقم: 6054، ج5، ص 2359.

[2] . الموقع الالكتروني: البوابة الدينية،محمد راتب النابلسي، حكمة نبينا. http://www.islam.ahram.org.eg يوم الأربعاء 2014/2/5م، الساعة 19:32.

. الخطوط الصغار ←——— الأعراض المتربصة به (مرض، وفقر، وجوع ومصائب، وهموم، وغيرها فيما يعرض للإنسان.

. يظل الإنسان يعيش آمالا وهمية تقعده عن العمل وتضره ولا تنفعه.

. الموت محيط بالإنسان من كل جانب كما وضحه في الرسم السابق.

. النهش مبالغة في الإصابة والإهلاك.

فإن أخطأ هذا . أي أحد الأعراض . نهشه (أي أصابه) هذا . أي عرَض آخر . وهكذا يظل الإنسان يصارع أهوال الدنيا حتى يلقى أجله.

والقاعدة التبليغية المستقاة من هذا الخطاب: لا تبالغ في الأماني الزائفة، وتنسى حقيقة وجودك.

يبرز هذا الرسم التوضيحي نموذجا عمليا، يجمع بين النظرية والتطبيق، وهو منهج تعليمي يمكن توظيفه في المدارس مع المتعلمين لربط الفكر بالعمل، ومنه يتحول القول إلى عمل، وعليه فالتعبير بالرسم شكل من أشكال التبليغ التربوي، ومستوى رفيع في التوجيه والإبلاغ، حيث يساعد على فهم المحتوى، ويجعله أكثر اكتمالا بالنسبة للتبليغ اللفظي، كما يعد وسيلة بصرية تساعد على التفكير وإنتاج المعرفة.

والرسم على الأرض أو التراب من الوسائل التوضيحية، التي طبقها الرسول . صلى الله عليه وسلم . مع صحابته الكرام لتبليغهم الأحكام، وتعليمهم دينهم، فكان لها الأثر الطيب في نفوسهم، فالأجدر بنا في زمننا هذا أن نسلك في تعليمنا مثل هذه الطرائق حيث أصبحت ثقافة الصورة طاغية في مختلف الوسائل التكنولجية.

ويتضح مما تقدم أن التبليغ غير اللفظي "الذي يتم عن طريق الرسم يؤدي قوة إيصال الرسالة بشكل سريع، كما يعمل على جذب المتلقي ويقرب الصور المعنوية إلى صورة حسية بارزة، وينمِّي الناحية الجمالية في نفسيَّة المستقبل"[1].

فاستعمال الصور والرسوم المرئية يدعم عملية التبليغ، فيستطيع تجسيد المفاهيم والمقاصد التربوية بطريقة بصرية.

[1] . محمد شريف، أساليب الاتصال غير اللفظي ، ص 100.

والتبليغ غير اللفظي "لغة غير لفظية تشمل: الحركات، والإشارات، والإيماءات والتعابير الصادرة عن أجزاء من جسم الإنسان، في مواقف مختلفة، وهذه اللغة تحمل دلالات ومعاني رمزية، وتساعد على التواصل مع الآخرين، والتأثير فيهم بطريقة إيجابية أو سلبية"[1].

وقد وردت الكثير من الخطابات التربوية تضاهي ما تقدم من تبليغ غير لفظي، إلا أننا لم نستطع حصر كل الأساليب الدالة على هذا النوع من التبليغ التي انتهجها الرسول الكريم . عليه الصلاة والسلام . في تبليغ أصحابه رسالة الإسلام.

ونستفيد من التبليغ غير اللفظي في ترسيخ معنى الحديث النبوي في أذهان التلاميذ إذا دعمناه بأشكال توضيحية، فمثلا في حديث: فضل ذكر الله . عز وجل . نريهم هذه الشكل المشوِّق:

[1] . عبد الكريم السالم، أهمية لغة الجسم في الاتصال مع الآخرين، مجلة الإدارة، المجلد 33، العددان (3،4)، القاهرة، 2001م، ص 321.

[1]

ندعمه بألوان مشرقة؛ أخضر، وأزرق، وبنفسجي، وبخطوط جميلة، تجذب الانتباه فتكون أعلق بالأذهان.

وعلى المبلغ أن يختار وسائله التربوية الهادفة، لتوصيل الرسالة إلى المتلقين، فتكون واضحة وجلية، وبها تتحقق الغاية.

[1] . الموقع الالكتروني: http://www.islam.ahram.org.eg

نصل في ختام هذا الفصل إلى ذكر بعض النتائج المتوصل إليها:

. التبليغ غير اللفظي مكمل ومؤكد للتبليغ اللساني.

. العلامة غير اللفظية مناط بحث ودراسة علم السيميولوجيا.

. الاستفادة من العلامة غير اللسانية لبناء شخصية الفرد.

. الرسائل غير اللفظية أكثر ثباتا في الذاكرة.

. أساليب النبي . صلى الله عليه وسلم . قد تتداخل وتتكامل مع بعضها بعض لإنتاج مربّ ناجح.

. الهدف من التبليغ غير اللفظي: إثراء معلومات المتلقي، أو إضافة معلومات جديدة أو تصحيح مفاهيم خاطئة، أو تعديل سلوكيات عالقة.

. ذكر الأبعاد التربوية للخطاب النبوي من خلال التبليغ غير اللفظي.

. الوقوف على كيفية استخدام النبي . صلى الله عليه وسلم . للتبليغ غير اللفظي مع صحابته، وبيان بعض تجلياته التربوية.

. التبليغ غير اللفظي من الوسائل التي تساعد على تأكيد الخبرة التربوية مدة أطول فلا ينفكُّ المعلم بأية حال عن استخدام الإيماءات أثناء ممارسته للتعليم، فهي ملازمة له في قاعة الدرس، وندرك أن التلميذ ينفعل لكل حركة يقوم بها معلمه، لذلك يجب استثمار هذه الوسائل لدعم الدروس المقدمة لإيضاح المعنى وتقريب المفهوم وتحفيز المتعلم على الإقبال دون إدبار.

وعليه نقترح ما يلي:

. أن يقتدي المربّون بالنبي . صلى الله عليه وسلم . في تربيته لأصحابه، ويتعمقوا أكثر في سنته وسيرته لتحديد واستنباط أساليب تربوية جديدة تتماشى والحضارة العصرية.

. أن السنة النبوية غنية بالوسائل والأساليب التي تحقق التربية الفعالة، فهو يخاطب العقول والقلوب وفق ما يقتضيه الحال، ووفق طبيعة الموقف وظروفه ووضع المتلقي وقدرته.

. حاجة الأمة في هذا الزمان، لإبراز الوسائل التربوية التي ربى عليها الرسول . صلى الله عليه وسلم . الجيل الأول الذي قاد العالم، وتطبيقها في حياتنا لاسترجاع أخلاقنا التي طوتها مناهج غربية أثبتت فشلها الذريع.

كذلك في الجانب الإيماني لا بد من إصلاح النظام التعليمي، والاهتمام بالتربية الروحية المتدرجة، مراعاة لقدرات المتلقين العقلية والنفسية، وهذا تطبيقا لما ورد في الخطاب النبوي الموجه إلى معاذ بن جبل، متضمنا منهجا تربويا في أسس الإيمان، لو سرنا على نهجه لحققنا نتائج رائعة:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: "إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْكُمْ صَدَقَةً، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ، فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ"[1].

أول ما يُقتدى به في هذا الخطاب هو حسن اختيار المعلم، فهذا شرط ضروري لكل عملية تربوية، فعندما اختار الرسول . صلى الله عليه وسلم . معاذ بن جبل لتبليغ رسالة الإسلام إلى أهل اليمن، كان ذلك لفقهه، وعلمه بمسائل الحلال والحرام، فالمسألة متعلقة بالفقه والعلم.

في لغة الحديث تضمين دال على المزج بين اللين والشدة؛ "إنك ستأتي قوما"، و"فإذا جئتهم"، فالإتيان يتضمن اللين، أما المجيء فيتضمن القوة.

لذلك يجب أن يتسلح المربي بهاتين الخاصيتين، وتوظيفهما في الوقت المناسب، لأن قابلية المتلقي للعلم تتطلب اللين أحيانا، والشدة أحيانا أخرى.

والمربي الناجح يعرف متى يكون لينا، ومتى يكون شديدا.

لا بد من معرفة أحوال المبلَّغين قبل التبليغ، "إنك ستأتي قوما من أهل الكتاب"، فيه افتراض مسبق ـــــــفأهل الكتاب لديهم علم ودراسة، لكنهم تركوا الحق استكبارا وعنادا.

[1] . البخاري، كتاب المغازي، بَابُ: بَعْثُ أَبِي مُوسَى وَمُعَاذٍ إِلَى الْيَمَنِ قَبْلَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ، رقم: 4090، ج4، ص 1580.

إعطاء المعلومة حسب خلفيتهم المعرفية، فالتربية عملية بنائية.

أن يبدأ المبلغ بالأهم فالأهم، وهذا منهج متبع في التربية، ففي الحديث بدأ بتلقينهم كلمة التوحيد، فهي المفتاح لما سيأتي بعدها.

كذلك في التعلم لا بد من إعطاء المعلومة الهامة أولا، ليكون الأساس متينا، وتأتي بعد ذلك متممات البناء.

فإذا تأملنا الأولويَّات في مناهجنا نجدها مفقودة، ونرى كيف تضمن هذا الحديث عمدة الأولويات والمهمات، ثم تتفاوت الأعمال في مراتبها ودرجاتها.

ثم التدرج في التبليغ، وهذا أمر مطلوب، وهو سنة الله في خلقه، فلا ينجز عمل متقن مرة واحدة، لا بد من مراحل متوالية ليبلغ البيان تمامه.

على المعلم أن يتدرج في إعطاء المعلومة للمتعلمين، ولا ينتقل إلى مرحلة موالية إلا بعد فهم الأولى، ففي هذا ترسيخ الفهم في أذهانهم، وتنمية قدراتهم، وتحفيزهم على طلب المزيد.

ضرورة تعليمهم كيف يفكرون، ويخططون، ويدرسون الأعمال قبل تنفيذها.

غرض المبلغ نفْع المتلقين وإفادتهم، والابتعاد عن الشهرة، والسمعة، فهو يدعو إلى الله لا إلى نفسه، فيه تنبيه إلى الإخلاص في العمل.

التربية والتعليم أمانة ثقيلة، وشاقة، ولكن نتاجها مثمر، إذا اقترنت بإخلاص النية فعلى من تحمل هذه الأمانة أن يسعى لخدمتها بعيدا عن أي اعتبارات شخصية.

تحذير المبلغ من الطمع، وأخذ ما ليس من حقه، وتذكيره بأن دعوة المظلوم مستجابة ليحترز من الوقوع في ما حرم الله.

أن يربأ المعلم بنفسه عن الأطماع التي تفقده كرامته، ومكانته، وهيبته في مجتمعه وعندها، يخون الأمانة، وتضيع الرسالة، وينحرف جيل كان يرى في المعلم القدوة الحسنة.

لقد استنتجنا من حديث واحد بعض الاقتراحات، ومن هذا ندرك أن الخطاب التربوي النبوي منهج متكامل، له مقاصده وأساليبه، وتطبيقاته، فعلى التربويين الاهتمام بهذا الجانب المهم، وتوضيح دوره الوظيفي في تنشئة إنسان متشبع بكل مقومات الحياة.

ضرورة العناية بلغة المتعلم، فهي حاملة أفكاره، وتعزيز ذلك بلغة الخطاب النبوي فيها قوة الشكل، وشرف المضمون.

لا يقف دور المعلم عند توصيل المعلومات إلى المتعلم، وضبط النظام داخل الصف بل يتعداه إلى الإسهام في إحداث التغيير الشامل في شخصياتهم، وتنمية الحس التربوي في نفوسهم، فهو مربي والتربية مقتضاها تغيير مرغوب في سلوك من نربيهم.

تشجيع المتعلم وحثه على مواصلة العلم، ومواكبة مستجدات العصر.

الخطاب التربوي مشروع حضاري، وليس مقتصرا على إقامة الشعائر الدينية فحسب.

إعادة الثقة إلى النفوس بأن الخطاب التربوي النبوي منهج يحمل كل الحلول لمشكلاتنا الحالية على وجه الكمال، ويجب ألا نشك في ذلك.

لو أُحسنت قراءته فهمًا، وفعلا، وتحليلا، لأجابت عن أسئلتنا الملحة تجاه قضايا الأخلاق، وقضايا التنمية في كل المجالات ماضيا وحاضرا ومستقبلا.

ونذكر أهم اقتراح أراه جامعا لما سبق، هو:

وجوب استثمار الخطاب التربوي النبوي في العمل، علينا أن نجد طريقة تحوِّل ما جاء من مبادئ وإرشادات، إلى عمل وحركة، وإنجاز وتغيير، أما إذا عكفنا في حديثنا على ذكر عظمة التربية النبوية، مع إهمال التطبيق فهذا أشبه بما تساءل عنه أبو حامد الغزالي: "هل يحصل البرء بمجرد معرفة اسم العلاج، أم لا بد من استعماله".

وإذا لم نعمل اليوم فسنقول غدا: ﴿**فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا**﴾ السجدة 12

الفصل الثالث

الأثر التداولي في لغة الخطاب التربوي

الأثر التداولي في لغة الخطاب التربوي

1 . المعينات

2 . متضمنات القول

3 . الاستلزام الحواري

4 . الحجاج

5 . الأفعال الكلامية

الأثر التداولي في لغة الخطاب التربوي

تعدُّ لغة الخطاب بصفة عامة الأساس الواقعي والبارز في كل وضعية تبليغية، كما أنها الوسيلة الأسمى والأكثر تأثيرا، فحينما نحدد لمن سنبلِّغ، وما هو مستوى حديثنا وما نوعية المعلومات التي نريد تبليغها، نكون حينها قد حقَّقنا شوطا كبيرا من النجاح ولا يتأتَّى ذلك إلا بتضافر عناصر كثيرة تتعلق بلغة الخطاب، الذي يتَّسم بحمولة لغوية تعبِّر عن مقاصد المتكلم تجاه المتلقي، وكون الخطاب لا يتحقق إلا في سياق تخاطبي وبلغة واحدة، فهو يقوم على عدة أسس تضبط العملية التخاطبية، حيث انبرت اللسانيات التداولية لدراسة علاقات البنية اللغوية بالمتكلم والمخاطَب، أي المعاني الدائرة ضمن عمليتي الحوار والتخاطب.

وبما أن التداوليات لسانيات هدفها عملي، تهتم باللغة أثناء الاستعمال، فوظيفتها إذن منصبَّة على وصف أفعال الخطاب وتفسيرها؛ مرتكزة في ذلك على مجموعة من القواعد أو الآليات، تتمثل في:

المعينات، ومتضمَّنات القول، والأفعال الكلامية، والحجاج، وغيرها، وعليه نسعى في هذا الفصل للإفادة من هذه الخصائص، في استجلاء الأثر التداولي في تربويات صحيح البخاري، فكيف للتحليل التداولي أن يكشف لنا عمق المعنى في ضوء علاقته بموقف الكلام؟ والموقف الكلامي .كما أشرنا . يشمل جوانب عديدة منها:

1 . المعينات: Déictiques

وتعرف أيضا بالإشاريات، أو المؤشرات، أو المفردات الإشارية، كما أطلق عليها اسم "المبهمات"، وهي ألفاظ تحمل معنى الإشارة دون أن تدل على معين.

"وهي ظواهر لغوية ترتبط مباشرة بالعملية التبليغية في الخطاب، وتتجلى خصوصيتها التبليغية في الاختلاف في إدراك مرجعياتها في الخطاب، فالمبهمات تتمثل في ضمائر المتكلم والمخاطب وفي ظروف الزمان والمكان، وهي لا تشير إلى شيء ثابت في العالم

ولا إلى أوضاع موضوعية في المكان والزمان، إنها تحيل دائما إلى حالة الخطاب الذي ترد فيه"[1].

وتعد المعينات من أهم العناصر اللغوية التي يتحدَّد معناها في إطار المقام، وتتفرع إلى أربعة أنواع:

1 . 1 . الضمائر: دالة على الشخص، ولا تخلو من إبهام وغموض، فلا بدَّ من شيء يفسرها ويزيل إبهامها، "والغرض من استعمالها هو الاختصار والإيجاز، لأننا نستغني بها عن تكرار اسم أو جملة"[2].

والضمائر موجودة في كل وضعية تواصلية، ودلالتها غير محددة، ولا يخلو نص منها وحضورها في الخطاب النبوي له دلالات تربوية، مثل قوله: "لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"[3].

فالمعينات في هذا الخطاب:

. ضمائر الغائب ـــــهو (مستتر)، والهاء في(أخيه ونفسه)، واستعمال هذا الضمير لدلالة الغائب المعلوم، فالخطاب موجه لكل شخص اتصف بالإيمان؛ قد يكون أحد الصحابة، أو أي أحد من عامَّة المسلمين، وقد يكون لكافة متلقي الخطاب من المسلمين، لذلك "فضمير الغائب المعلوم كبقية الضمائر، لا بدَّ من مرجع لفظي أو معنوي، وإذا كان المرجع معنويا أي مفهوما من المناسبة، أو السياق في غير ألفاظ سمي (القرينة المعنوية) أو (الغائب المعلوم)."[4]

لذلك فدلالة الضمائر تحيل إلى معلوم وقد يدرك المتلقي تماما من المقصود بالخطاب، كما يدرك مضمون الخطاب التربوي فهو موجه للحاضر (أحدكم) ثم يعدّل عنه للغائب (هو)، وهذا أوكد في تبليغ النصائح والإرشادات، أن تخاطب معلوما ثم تكلفه

---

[1] . عمر بلخير، دراسة بعض المفاهيم الإجرائية للتحليل التداولي للخطاب، (مدونة على الشبكة العنكبوتية) hptt://www.omarbelkheir.com 2014/04/12م، الساعة: 16.56.

[2] . هادي نهر، النحو التطبيقي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2008م، ج1، ص 40.

[3] . البخاري، كتاب الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم: 13، ج1، ص 14.

[4] . انظر: عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف بمصر، ط3، 1966م، ص 231 .

بمضمون الخطاب، فالحال دالة على الإنجاز في المستقبل، ومحفزة على الالتزام بتحقيق النتائج، ونوضحه في الشكل الآتي:

لا يؤمن أحدكم	حتى يحب	لأخيه	ما يحب لنفسه
↓	↓	↓	↓
ضمير معلوم	ضمير غائب	ضمير غائب	ضمير غائب

نفي الإيمان عنه ⟸ يدفعه إلى إنجاز ما طلب منه

وهنا يتحقق الغرض التداولي من الضمائر الواردة في هذا الحديث، وفي كل وضعية تخاطبية تأخذ الضمائر دلالات جديدة.

وفي سياق آخر، يقول . صلى الله عليه وسلم . : "اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ"[1].

نجد ضمير المخاطبين "اتقوا" ⟵ أنتم.

ثم ينتقل إلى ضمير المخاطب " تجد" ⟵ أنت.

فما يشار إليه في العالم الخارجي هو جماعة المسلمين، أي معرفة المتلقين الذين يقصدهم المبلِّغ، فضمائر المخاطب يفسِّرها وجود المبلَّغين وقت الكلام، فهي لم تعد مبهمة، وخالية من أي غموض، ولكن المعنى التداولي الذي نبحث عنه؛ لماذا انتقل المخاطب من توجيه كلامه من جماعة (أنتم) إلى مفرد (أنت)؟

ما نجده في هذا الخطاب الانتقال من الجمع إلى المفرد دليلا على الاهتمام، ويرجِّح أن الإفراد للتخصيص، والجمع للعموم، لكن الإفراد يعطي خصوصية؛ فوضع الواحد موضوع الجماعة اتساع في اللغة، لذلك إذا حلَّلنا ما سبق تداوليا نلحظ ما يلي:

. خطاب الجماعة (اتقوا) ⟵ التماس كل أنواع الخير لتجنب النار.

. فضمير المخاطبين (أنتم) ⟵ مطالبين بتقديم أقل شيء (شق تمرة).

. خطاب المفرد (فإن لم تجد) ⟵ القلة منهم لا يملكون شيئا ماديا.

. فضمير المفرد (أنت) ⟵ لا يستثنى عن الجمع، فيقدم كلمة طيبة.

وهذا تحقيق للفعل التربوي، يشمل كل الأفراد، وتكون خطاطة الخطاب كالآتي:

[1] . البخاري، كتاب الأدب، باب: طيب الكلام، رقم: 5677، ج5، ص 2241.

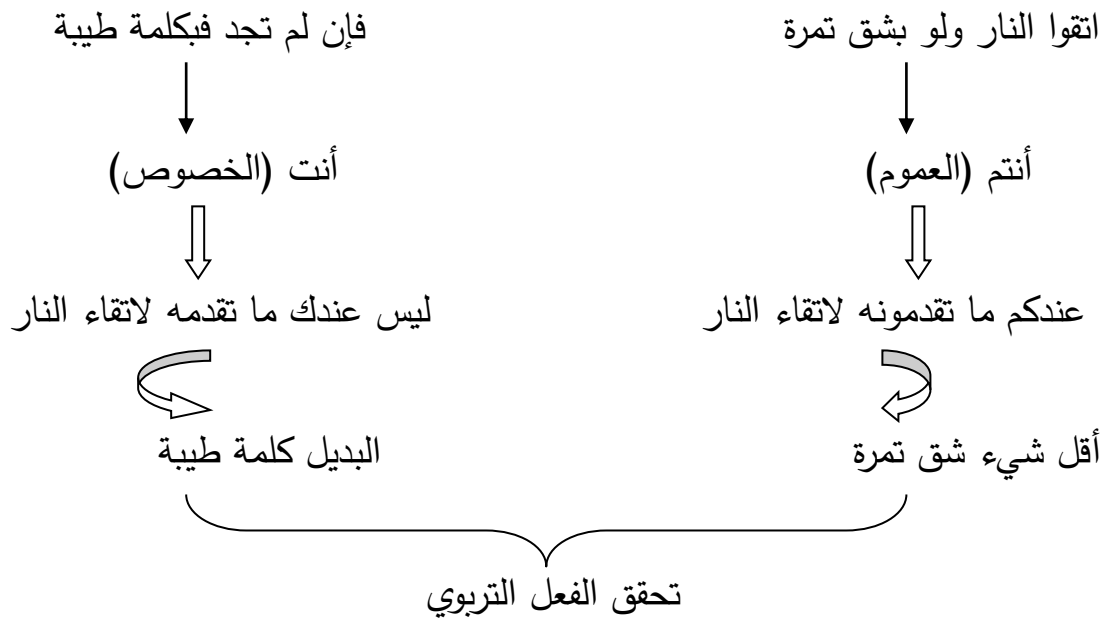

وفي هذا المقام أسهمت وظيفة الضمائر في تعيين وتوجيه الانتباه إلى موضوعها الخارجي الذي تشير إليه، ويفسر ضمير المتكلم والمخاطب وجود صاحبهما وقت الكلام ولا تتحدد وظيفتهما إلا في سياق الكلام، ومعرفة وضعية الخطاب.

وفي قوله . صلى الله عليه وسلم . : "أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ. أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ: كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ"[1].

فالضمائر الحاضرة في هذا الحديث هي: "أنا" و"أنتم"، "ألا أخبركم"، وقد فسَّرها البعض أنها ضمائر ذاتية، "خاصة منها ضمائر الشخص، حيث تظهر الذاتية فيها عند نطق المتكلم بـ "أنا" إذ يكون قد وضع مباشرة أمامه " كائنا" آخر وهو "أنت" ويشكل هذا الإطار الخارجي المقابل بالإطار الداخلي، الممثل في ذات المتكلم"[2].

لكن ما نلاحظه في الخطاب التربوي الصادر عن رسول الله _ صلى الله عليه وسلم_ لا يشعرنا بتفرد الذاتية، أو الخطاب المتعالي، وإنما فيه تلطف خاصة بحضور القرائن الدالة على ذلك، مثل حرف التحضيض (ألا) الذي يحمل معنى التقرب إلى المتلقي ليقبل على الاستماع، كذلك تقديم عبارة (أهل الجنة) على عبارة (أهل النار) لترغيب المخاطَب

[1] . البخاري، كتاب التفسير، باب: "عتل بعد ذلك زنيم"، رقم:4634، ج4، ص 1870.

[2] . عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2003، ص 67.

على تقبل الفعل التربوي وتنفيذه بسرعة دون تردد، كذلك تفسر هذه الضمائر العلاقة التي تربط المعلِّم بالمتعلم، من خلال حمولة اللفظ لمعنى التوجيه والنصح، حتى وإن خاطبهم بقوة، أو زجرهم فمن خلال ضمير المتكلم نلمس تقرب المربِّي الحاني على أمته، فحينما يقول:

"أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ." ثَلاَثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ .وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ . "أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ". قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَت[1].

فالضمير (أنا) في (أنبِّئكم) يدلُّ على أن صاحبه يحمل أمرا ذا شأن للمتلقين؛ ربما تحذيرا أو تهديدا أو وعيدا، وقد فسَّره الكلام الوارد بعده (أكبر الكبائر)، وحضور ضمير (الأنا) في الخطاب يحدد وظيفة المبلغ، "فذاته المتلفظة تتغير بتغير السياق الذي تلفظ فيه، وهذه الذات على محور التلفظ في الخطاب تداوليا؛ لأن (الأنا) قد تحيل على المتلفظ الإنسان، أو المعلم، أو الأب، وهكذا"[2].

وهنا نرى حضور ضمير(الأنا) بقوة، وذلك لاهتمام المبلغ وتركيزه على التعبير عن الذات المتكلمة، ونستبعد لهجة التفرد، لأنه في موقف تحذير من أمور خطيرة تفسد حياة المتلقين سواء مع خالقهم أم مع غيرهم، كما نذهب إلى أن ضمير المتكلم (أنا) من المعينات التي تخوِّل السامع معرفة مخاطبه، حيث يكون حاضرا وقت التبليغ، ومن هنا تتحقق الغاية من الخطاب التبليغي، وهو التأثير في المتلقين لإنجاز العمل الذي فيه خيرهم، وقد رأينا ذلك عندما كرَّر الرسول . عليه الصلاة والسلام . عبارة (أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ)، كيف تأثر السامعون لها، وقالوا: (لَيْتَهُ سَكَت).

لذلك لا بدَّ من حضور هذا الضمير لدلالته التداولية، "فأما ضمير المتكلم والمخاطب فيفسرهما وجود صاحبهما وقت الكلام؛ فهو حاضر يتكلم بنفسه، أو حاضر يكلِّمه غيره مباشرة"[3].

---

[1] . البخاري، كتاب الشهادات، باب: ما قيل في شهادة الزور، رقم: 2511، ج 2، ص 939.

[2] . عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 82.

[3] . عباس حسن، النحو الوافي، ج1، ص 231.

وقد عرفنا أهمية الضمائر في الخطاب التربوي بصفة خاصة، وأدركنا أن كل تلفظ إلا وتضمن مبلغا ومتلقيا، ينوي الأول التأثير في الثاني بطريقة ما، تحددها متواليات العملية التخاطبية.

ولا نبرح ضمير المتكلم دون الإشارة إلى عامل هام يعضده في التبليغ التربوي وفي الأثر التداولي، ويعد من الإشارات الشخصية، ألا وهو النداء، وهو إشارة من متكلم إلى مخاطَب ينبهه، أو يوجهه، أو يستدعيه، ولا يتضح مدلوله إلا إذا اتضح المرجع الذي يشير إليه، ففي خطاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لمعاذ بن جبل:

حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُعَاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ قَالَ :"يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ". قَالَ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: "يَا مُعَاذُ".قَالَ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. ثَلاَث"[1].

ففي ندائه:(يا معاذ)، وظف أداة النداء (يا)، وهي أداة لنداء البعيد والقريب، وبما أن معاذا كان رديفه فهي للقريب، ودلالة النداء في هذا الخطاب التنبيه لما سيقوله المبلغ من كلام ذي أهمية، ومما لا شك فيه أن تكرار النداء يفصح عن تداوليته اللسانية ويزيد المتلقي شوقا لمعرفة ما سيقوله المخاطب، "والنداء في ذلك يجذب السامع أو القارئ ويثير انتباهه، ويشركه في الموضوع، ويوقظ شعوره، ويلفت ذهنه ويحرك عوامل الشوق في نفسه، ويدفعه في ذلك إلى التفكير فيما يسمع أو يقرأ، فيقبل ما يقال له ويتلقاه برضى بعد الاستجابة له"[2].

وقد عرفنا دلالة هذا المعين الإشاري في استدعاء المخاطَب لتزويده بعلم ينفعه بقوله: " مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلاَّ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ"[3].

ومن أثره التداولي تحفيزه عمليا على تنفيذ الطلب، والدليل على ذلك، ردة فعل معاذ عندما قال: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلاَ أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا ؟"[4]، وهنا نقف عند أهمية النداء

---

[1] . البخاري، كتاب العلم، باب: من خص بالعلم قوما دون قوم، كراهية أن لا يفهموا، رقم: 127، ج1، ص 59.

[2] . أحمد محمد فارس، النداء في اللغة والقرآن، دار الفكر اللبناني، ط1، 1989م، ص 170.

[3] . البخاري، كتاب العلم، ص 59.

[4] . المرجع نفسه، ص 59.

في الخطاب التربوي لتحفيزهم على التمسك بمكارم الأخلاق، وشحذ عزيمتهم للقيام بواجباتهم كاملة غير منقوصة، لأن النداء "يبعث في الإنسان طاقة عجيبة من التأثير يهز المشاعر هزا شديدا ولكن في وعي يوقظ العقل، ويشد انتباهه إلى جانب الشعور والوجدان"[1].

وفي صورة أخرى للنداء حيث يكون له الأثر العملي في نفوس المتلقين؛ نسوق رواية أبي ذر الغفاري عندما عيَّر بلال الحبشي بأمِّه، فعاتبه الرسول . صلى الله عليه وسلم . على هذا الفعل المشين: " يَا أَبَا ذَرٍّ، أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ "[2].

فالغرض التربوي من النداء بيان عظم المعصية التي وقع فيها المخاطَب، وتنبيهه لعواقبها السلبية، وهل سيتأثر بما ألقي إليه أم سيغضُّ الطرف عن ذلك؟

لقد تحقَّق أثره التداولي في عمل المتلقي، عندما يذكر لنا راوي الحديث؛ "قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ*، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلاَمِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلاً، فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ**، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ)[3].

ويشير هذا العمل التطبيقي إلى آثار استمرار الترابط على أساس القيم العليا التي تقرُّها الرسالة المحمدية.

وقد ورد النداء في صحيح البخاري كثيرا وتنوعت أساليبه التربوية، وتكمن أهميته في الدور الذي يؤديه في الحياة البشرية، والمعاني التي يخدمها النداء سواء في المعاملات أو في العبادات.

ومن المعينات نجد أيضا:

---

[1] . أحمد محمد فارس، النداء في اللغة والقرآن، ص 168.

[2] . البخاري، كتاب الإيمان، باب: المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك، رقم: 30، ج1، ص 20.

* . الربذة: موضع قريب من المدينة. . حلة: ثوبان؛ إزار ورداء.(البخاري، ص 20).

** . إخوانكم خولكم: الذين يتخوَّلون أموركم . أي يصلحونها . من العبيد والخدم، هم إخوانكم في الدين أو الآدمية، . تحت أيديكم: في رعايتكم، . يغلبهم: يعجزون القيام به. (البخاري، ص 20).

[3] . البخاري، كتاب الإيمان ، ص 20.

1 . 2 . أسماء الإشارة: وهو ما وضع لمشار إليه، وعرفه ابن الناظم: "اسم الإشارة ما دلَّ على حاضر، أو منزل منزلة الحاضر، وليس متكلما، ولا مخاطبا"[1].

ويدلُّنا هذا التعريف أن أسماء الإشارة من المعينات التي تصنف ضمن ضمائر الحضور، لأنها تحيل على حاضر في وقت الكلام، كما تدلُّ على استحضار الذوات أثناء الخطاب، ويرى هادي نهر "أن الغرض الحقيقي من استعمال ألفاظ الإشارة إنما هو للاستعاضة بها عن تكرار الأسماء الظاهرة أو الجمل، فهي كالضمائر من سمات التعبير الموجز"[2].

فعندما يقول الرسول . صلى الله عليه وسلم . :

"تَجِدُ مِنْ شَرِّ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ ذَا الْوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ"[3].

فاسم الإشارة (هؤلاء) دال على الجمع، يحمل معنى الضمير، وجاء عوضا عن لفظ (الناس)، وذلك تجنبا لتكرارها في الخطاب، كما أضفى على الجملة نوعا من التقسيم (هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه)، كذلك تمثل هذه المعينات درجة من درجات التحليل التداولي، حيث تظهر مدى حضور المبلِّغ في الخطاب عندما يوضح للمتلقين صفة ذي الوجهين، وعمله يندرج ضمن عمل المنافقين، الذين لا قرار لهم، ولا يؤتمن جانبهم، قال القرطبي: "إنما كان ذو الوجهين شرّ الناس لأن حاله حال المنافق، إذ هو متملِّق بالباطل وبالكذب، مدخل الفساد بين الناس، وقال النووي: هو الذي يأتي كل طائفة ما يرضيها فيظهر لها أنه منها ومخالف لضدها، وصنيعه نفاق ومحض كذب وخداع وتحيل على الاطلاع على أسرار الطائفتين، وهي مداهنة محرمة"[4].

---

[1] . ابن الناظم، شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ص 51.

[2] . هادي نهر، النحو التطبيقي، ص 68.

[3] . البخاري، كتاب الأدب، باب: بَابُ مَا قِيلَ فِي ذِي الْوَجْهَيْنِ، رقم: 5711، ج5، ص 2251.

[4] . ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج10، ص 475.

ولا تقلّ أهمية الإشارة عن أهمية الضمائر، يقول محمد خطابي: " المبدأ العام الثاوي خلف الإشارة وهو جعل الخطاب متماسكا من خلال استحضار عنصر متقدم أو خطاب بأكمله"[1].

ويرد اسم الإشارة اختزالا للكلام واقتصادا للجهد، واجتنابا للتكرار، خاصة إذا كان النص السابق عناصر إشارية معجمية، أو تمثل مجموعة من المتواليات مثل قول الرسول . صلى الله عليه وسلم . :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَدَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ السَّلاَمَ فَقَالَ: "ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ" فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: "ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ". ثَلاَثًا، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، فَمَا أُحْسِنُ غَيْرَهُ فَعَلِّمْنِي، قَالَ: "إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلاَةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلاَتِكَ كُلِّهَا"[2].

نلاحظ كثافة العناصر الإشارية المعجمية في هذا الخطاب؛ من قوله:

" إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلاَةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا" ← إحالة داخلية قبلية.

أما العنصر الإشاري البعدي ← ذلك (ثم افعل ذلك).

فاسم الإشارة (ذلك) اختصر كل الكلام السابق، وجنب تكراره، لذلك فالعنصر الإشاري النصي "يتميز عن الأول في طبيعة تكوينه والهدف منه؛ أي أن العناصر الإشارية النصية هي مقاطع من الملفوظ قد تطول وقد تقصر، وقد تمثل جزءا من مقاطع تجري الإحالة

[1] . ابن الناظم، شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، ص 175.

[2] . البخاري، كتاب صفة الصلاة، باب: حد إتمام الركوع والاعتدال فيه والاطمئنان، رقم: 760، ج1، ص 763.

عليها للاختصار واجتناب التكرار، وتتميز هذه العناصر الإشارية النصية عن العناصر الإشارية المعجمية بكونها أقل انتشارا"[1].

والأثر التداولي لاسم الإشارة (ذلك) مرتبط بكل ما سبق ذكره من أسماء وأفعال وجمل ودلالات، فالرسول . صلى الله عليه وسلم . علَّم الرجل كيف يصلي صلاة صحيحة، وكيف يتقن أعمالها؛ قياما وركوعا واطمئنانا وسجودا، ثم طلب منه أن يطبق كل ذلك في كل صلواته، "والملاحظ أن أدوات الإشارة (ذلك، هناك، هذا) تستدعي دائما مقاصد المتكلم لتحقيق مضمونها الإحالي"[2].

وهنا يحقق العنصر الإشاري الغاية المنشودة في تبليغ الرسالة التربوية دون تكرار مملّ، أو اختصار مخلّ، ويمكننا توضيح ذلك في المخطط الآتي:

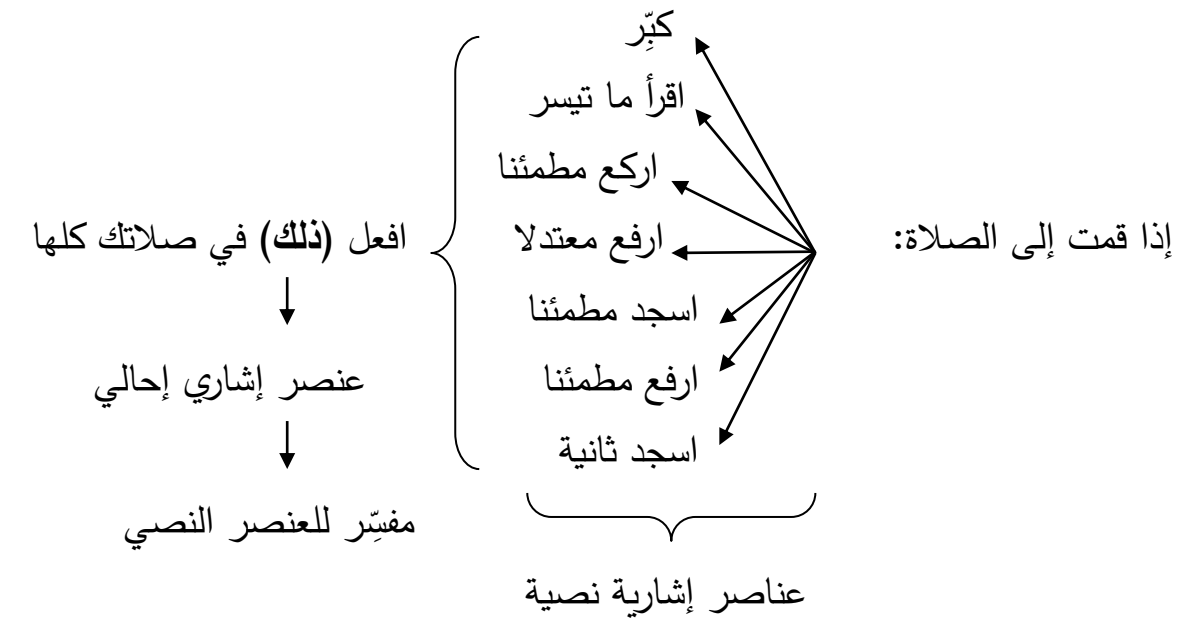

ونرى أن العنصر الإشاري (ذلك) جمع كل العناصر النصية الواردة قبله، فشكَّل وحدة متماسكة دلاليا وتداوليا.

[1] . سعيد بحيري، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2005م، ص 102.

[2] . يوسف السيساوي، الإشاريات: مقاربة تداولية، كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة، حافظ اساعيل علوي، عالم الكتب الحديث،اربد، الأردن، ط1، 2011م، ص 444.

1 . 3 . اسم الموصول: اسم الموصول يربط السابق باللاحق ويحيل إليه، ويعوضه ويختزله، ويمكننا ملاحظة هذا من خلال الحديث الشريف الآتي:

قال الرسول . صلى الله عليه وسلم . : "الَّذِي تَفُوتُهُ صَلاَةُ الْعَصْرِ كَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ"[1].

فدلالة اسم الموصول: (الذي) لا تتمُّ إلا بوجود صلة الموصول: (تفوته)، فتصبح الجملة معلومة لدى المتلقي، والموصول "من الأدوات التي تشدّ من أزر الكلام النحوي بين ما تقدم ذكره، والعلم به، وما يراه من المتكلم أن يعلم به، أو يضمه إلى ما سبق من العلم به"[2].

فيشير الموصول في الخطاب السابق إلى ما هو معلوم، ويقصد منها (المصلي المتهاون في صلاته)، فهذه الإشارة مرتكزة على سياق تداولي، يحمل معنى التحذير من تأخير صلاة العصر لما لها من خصوصية لدى المؤمن، فدلالة المشار إليه حاضرة في ذهن المتلقي، ويعلم العواقب المترتبة عن ذلك، فالمطلوب بعد ذلك:

الاستجابة وهي ⟵ صلاة العصر في وقتها.

وهذه الأسماء تأخذ دائما دلالة جديدة في كل وضعية تواصلية جديدة لأنها غير محددة الدلالة أصلا، ولا يخلو نص منها، فمثلا في قوله:

"...وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ هَؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ"...، "فَقَالَ: (هُمُ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ*، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ**، وَلاَ يَكْتَوُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)[3].

نجد الموصول في هذا الخطاب (الذين) عنصرا إشاريا دالا على معلوم قبله والقصد منه في هذا الحديث التربوي هو تعريف المتلقي بالصلة (يسترقون)، وقد ذكرنا سابقا أن الموصول لا يتم معناه إلا بوجود صلة ، ومن شروط صلة الموصول أن تكون معلومة للمخاطب، ونرى كيف أحال العنصر الإشاري إلى جملة سابقة، وهذا اختصارا وتجنبا

---

[1] . البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب: إثم من فاتته العصر، رقم: 527. ج1، ص 203.

[2] . إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2007م، ص 230.

* . لا يسترقون: لا يفعلون الرقية، اعتمادا كليا على الله عز وجل.(البخاري، ص 2158).

** . لا يتطيَّرون: لا يتشاءمون بالطيور. (البخاري، ص 2158).

[3] . البخاري، كتاب، الطب، باب: من اكتوى أو كوى غيره، وفضل من لم يكتو، رقم: 5378، ج5، ص 2158.

للتكرار، والغرض من الموصول هنا تربوي، حيث يبيّن للناس السلوكات السيئة لتجنها، والأخلاق الفاضلة للاتصاف بها، وهذا يؤول إلى الجنة بغير حساب.

وهكذا يشكِّل الموصول مع صلته مكونا واحدا، وهذا دليل على التلاحم.

1 . 4 . اسما الزمان والمكان: وهما من المعينات التي لا يتضح معناها إلا من خلال السياق الذي وردت فيه، وتنقسم إلى إشارة زمانية، وإشارة مكانية؛

1 . 4 . 1 . الإشارة الزمانية: وهي معينات لغوية تدلُّ على زمن معيّن يشير إليه السياق بالنسبة إلى زمن حدوث التكلم، ويشكل بؤرة الإشارة الزمنية في الخطاب ومعرفة لحظة التكلم يجنِّب المتلقي الالتباس والغموض، وتساعده على فهم الخطاب فهما صحيحا، فهي المرجع الذي يحال عليه، فألفاظ الزمان: اليوم، وغدا، وأمس، وبعد حين، لا يستطيع السامع ضبطها زمنيا، إلا بمعرفة لحظة التلفظ قياسا بزمن التبليغ وهو "الزمن الذي يتحدد فيه الحدث الذي هو إنتاج الملفوظ، ويمكن الإشارة إليه داخل الملفوظ نفسه، ومن بين الكلمات التي تؤدي هذه الوظيفة نذكر..الآن، واليوم..."[1]

وعلى المتلقي معرفة زمن التلفظ ليتخذها مرجعا يحيل إليه، ونجدها في الخطاب النبوي: " لاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ "[2].

فعبارة (ثلاث ليال) إشارة زمنية، تدل على زمن النهي وعدده، وقد حدّدها بهذا الزمن ليدرك المتلقي أن الهجر لا يجب أن يتجاوز هذا المقدار من الزمن، "قال النووي: قال العلماء تحرم الهجرة بين المسلمين أكثر من ثلاث ليال بالنص وتباح بالمفهوم، وإنما عفي عنه في ذلك لأن الآدمي مجبول على الغضب، فسومح بذلك القدر ليرجع ويزول ذلك العارض..."[3]

فالإشارة الزمنية حددت للمتلقي مقدار الهجرة، ووضعت ذلك في إطار زمني معين ولولا ذلك لوجد المبلَّغ مشقة في تحمل ثورته النفسية، وأصبح من الصعوبة الاستجابة لرسالة المبلِّغ لو توقف عند جملة: 'لا يحل لرجل أن يهجر أخاه)، وبتحديد المرجع الزمني استطاع المتلقي أن يؤول الخطاب تأويلا صحيحا لخدمة الغرض التربوي فالمساحة

---

[1] . جان سيرفوني، الملفوظية، ترجمة: قاسم مقداد، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، ط1، 1998م، ص38.

[2] . البخاري، كتاب الأدب، باب: الهجرة، رقم: 5725، ج5، ص2256.

[3] . ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج10، ص 492.

الزمنية كذلك تبين للمتلقين حدود عباداتهم، يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " كُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يُؤَذِّنَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَإِنَّهُ لاَ يُؤَذِّنُ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ "[1].

لقد أحال العنصر الزمني في هذا الخطاب إلى ما يعضده في الحمولة الدلالية، حيث قرن أذان ابن أمِّ مكتوم بطلوع الفجر، وهذا توضيحا للمتلقين لبداية عبادتهم (الصوم) "ومن أجل تحديد مرجع الأدوات الإشارية الزمانية، وتأويل الخطاب تأويلا صحيحا يلزم المرسل إليه أن يدرك لحظة التلفظ، فيتخذها مرجعا يحيل عليه، ويؤول مكونات التلفظ اللغوية بناء على معرفتها"[2]. وهذا ما لاحظناه في الخطاب السابق، حيث تحددت مرجعية الزمن عند تلفظ المبلغ باسم المؤذن.

فالمعينات الزمنية تقوم "بتحديد المراد بالألفاظ الدالة على الأزمنة مثل غدا والأسبوع القادم، والشهر المقبل، وأمس، والسنة الماضية، وحينئذ، والآن، وقبل ذلك وبعدئذ الخ..."[3] فسياقها الزمني يدل عليها.

ففي الخطاب الآتي:

"مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه"[4].

نلاحظ العناصر الإشارية الزمنية دالة على الزمن الكوني فرمضان المقصود هو (شهر رمضان)، وليلة القدر المقصودة هي (إحدى ليالي رمضان المفضلة)، فزمن الخطاب زمن لغوي، ولحظة تبليغه هي المرجع، ولكن محتوى الخطاب يقع في زمن كوني معين خاص بعبادة الصوم، لذلك "فلحظة التلفظ هي المرجع، ولهذا يجب أن نربط الزمن بالفعل ربطا قويا في مرحلة أولى، ونربط كذلك بين الزمن والفاعل لأهميته الكبرى في مرحلة ثانية"[5]. فالفعل التبليغي يتطلب حدوثه في زمن عام ثم ينتقل إلى زمن خاص، لبلوغ الغاية التربوية وهي المغفرة، ونوضِّحه في الشكل الآتي:

---

[1] . البخاري، كتاب الصوم، باب: لاَ يَمْنَعَنَّكُمْ مِنْ سَحُورِكُمْ أَذَانُ بِلاَلٍ ، رقم: 1819، ج2، ص 678.

[2] . عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 83.

[3] . محمد محمد يونس علي، علم الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004م، ص 21.

[4] . البخاري، كتاب صلاة التراويح، باب: فضل ليلة القدر، رقم: 1910، ج2، ص 709.

[5] . عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي، ص 85.

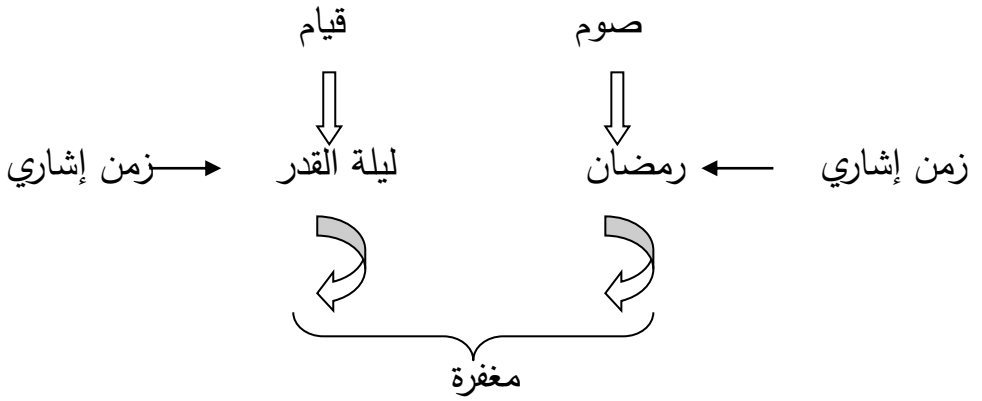

حدوث التلفظ في حيز الزمن حقَّق الأثر التداولي للخطاب التربوي.

1 . 4 . 2 . الإشارة المكانية: وهي معينات لغوية تدل على مكان يحددها السياق لمعرفة مكان المبلغ وقت التبليغ، وتكون معلومة لدى المتلقي، كما تعتمد على السياق المادي المباشر الذي قيلت فيه. ولتحديد المكان أثره في اختيار العناصر اللغوية التي تشير إليه قربا أو بعدا أو جهة، "كما أن تحديد المرجع المكاني مرتكز على تداولية الخطاب، وهو ما يؤكد أهمية استعماله لمعرفة مواقع الأشياء"[1].

ومن الألفاظ المكانية التي ترد في الخطاب: هنا، وهناك، وفوق، وتحت، وأمام، وذلك المكان، وهذا الأمر، ونحو ذلك، نجدها في الخطاب التربوي الآتي:

(إِذَا رَأَيْتُمُ اللَّيْلَ أَقْبَلَ مِنْ هَاهُنَا*، فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ). وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ قِبَلَ الْمَشْرِقِ.[2].

نلاحظ اعناصر الإشارة الدَّالة على المكان "ها هنا" فهي تشير إلى مكان إقبال الليل ومكان إدبار النهار، ولربط الفعل بالمكان يتضح مقصود المبلغ من الخطاب؛ وهو حلول وقت إفطار الصائم، ولكي نحدد ما يتحدث عنه المبلغ يجب علينا ألا نتوقف عند حدود ما تقدمه لنا الجملة فحسب بل لا بد من الاهتمام بسياق التلفظ أو المقام، وهذا ما عرفناه من خلال الخطاب السابق، فالمقام هو شهر عبادة، ومعرفة المتلقين وقت الإفطار، وقد

[1] . المرجع نفسه، ص 84.

* . ها هنا: جهة الشرق.(البخاري، ص 691).

[2] . البخاري، كتاب الصوم، باب: يفطر بما تيسر عليه، بالماء وغيره، رقم: 1855، ج2، ص 691.

تحدد ذلك بمعرفة المعينات المكانية التي أشار إليها المبلغ، ولهذه المعينات دور أساس في تحقيق الأثر التداولي للخطاب.

وقد نجد ألفاظا دالة على المكان يحددها الإطار التبليغي للخطاب مثل قول الرسول . صلى الله عليه وسلم . : (لاَ يُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ، ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ)[1].

فلفظة (مجلس) لها دلالة إشارية مكانية، فأراد المبلغ أن يوجه المتلقي إلى ترك فعل فيه اعتداء على الآخر، "وهو خبر معناه النهي، وقيل: إنه للتحريم، وقيل: للتنزيه، وهو من باب الآداب ومحاسن الأخلاق"[2]. فوظيفة المكان حددها المقام التلفظي الذي يؤول إلى معرفة مقاصد المبلغ، وهو نهي المخاطَب عن تصرف غير محبذ عند الناس؛ وهو أن تأخذ مكانا للجلوس هو لغيرك ابتداء، وهذا يؤذي صاحبه لأنك انتزعت حقا من حقوقه، وآثرت نفسك بشيء ليس لك، فإذا أدرك المتلقي كنه الرسالة والتزم نتأكد من نجاح الفعل التبليغي، ومنه يتحقق الأثر التداولي.

وقد يجمع خطابا واحدا مجموعة من المعينات الدالة على المكان والزمان، وعلى الموصول والإشارة، كما ورد في الحديث الآتي:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "تَجِدُ مِنْ شَرِّ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ ذَا الْوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ، وَهَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ"[3].

فتضمن:

. المعينات الزمانية ←يوم القيامة ←في زمنه يقع الفعل.

. المعينات المكانية ←عند الله ←في حضرته تعالى يتحقق الفعل.

. اسم الموصول ←الذي (يأتي) ←يعين صاحب الفعل.

. اسم الإشارة ←هؤلاء ←يشير إلى هدف الفعل.

وتمثل هذه المعينات الإشارية درجة من درجات التحليل التداولي، حيث تظهر مدى حضور المبلغ والسياق الزماني والمكاني، أما بقية المعينات في الخطاب، فقد يُطلق عليها اسم(مبهمات) أو (متحولات)، وهي "العلامات اللغوية التي لا يتحدَّد مرجعها إلا

---

[1] . البخاري، كتاب الاستئذان، باب: لا يقيم الرجلُ الرجلَ من مجلسه، رقم: 5914، ص 2313.

[2] . بدر الدين أبو أحمد العيني، عمدة القارئ، ج22، ص 298.

[3] . البخاري، كتاب الأدب، باب: بَابُ مَا قِيلَ فِي ذِي الْوَجْهَيْنِ، رقم: 5711، ج5، ص 2251.

في سياق الخطاب التداولي؛ لأنها خالية من أي معنى في ذاتها"[1]. لذلك سميت مبهمات أو تحولات، ورغم أن الكلمات في اللغة تحيل على مدلول معين، إلا أن المعينات توجد في المعجم الذهني للمتكلمين باللغة دون ارتباطها بمدلول معين.

وخلاصة ما سبق أن المعينات هي إشارات مبهمة، ولا يتحقق مدلولها التداولي إلا في سياق الخطاب، وقد مثلنا لذلك ببعض العيّنات من الخطاب التربوي مستقاة من صحيح البخاري، وعرفنا أنها مجموعة من العناصر اللسانية، تحدد الظروف الخاصة للخطاب وتحيل إلى أطراف التواصل من مبلغ ومتلق، وتتضمن كل الضمائر وأسماء الإشارة وأسماء الموصول، وظروف الزمان والمكان، وقد تشتمل المعينات على عناصر أخرى لم ندرجها في هذا المقام، مثل صيغ الأفعال، وأفعل التعجب، وصيغ الأمر والاستفهام، كذلك المعينات الخطابية كقولنا: دون ذلك، وفي منظوري، وحسب رأيي، وهكذا...

وعرفنا الغاية التربوية التي حققتها هذه المعينات.

2 . متضمنات القول: Les implicites

يشكل التضمن عنصرا من عناصر الجملة، ولكنه غير ظاهر على مستوى السطح وإنما يبقى غائبا عن الملفوظ، ولا يُتوصل إلى معرفة مداه إلا بالتحليل المنطقي الذي ينقل المخاطب من المعنى الصريح إلى المعنى الضمني، و"الوصول إلى طبيعة متضمنات القول لن يتم دون معرفة قوانين الخطاب، بمعنى آخر أن نفهم الجانب الضمني والخفي من الكلام يستلزم منا أن نكون على معرفة ضمنية بالقواعد التي من شأنها أن ينتظم بها الكلام"[2]. فنجد المخاطب في بعض الأحيان لا يريد أن يصرح بمعنى الملفوظ لأسباب عديدة، "قد يكون مصدرها المجتمع بما يحويه من أخلاق وعادات ودين، أو سياسة...وقد يتجلى ذلك في وجود بعض الألفاظ المحاطة "بقانون الصمت" يمتنع المتكلمون عن التصريح بها"[3].

ويندرج ضمن هذا العنصر نمطان من متضمنات القول: الافتراض المسبق والقول المضمر.

---

[1] . عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 80.

[2] . عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي، ص 111.

[3] . المرجع السابق، ص 112.

2 . 1 . الافتراض المسبق: Présuppose ويسمّيه (طه عبد الرحمن)الإضمارات التداولية، "وهو ذو طبيعة لسانية، بمعنى أنه يتم إدراكه عن طريق العلامات اللغوية التي يتضمنها القول"[1]، ويشكل خلفية ضرورية لنجاح العملية التبليغية، وهو متضمن في القول؛ سواء تلفظ به إثباتا أم نفيا، ويرى التداوليون أن الافتراض المسبق ذو أهمية قصوى في عملية التبليغ، وله دور أساس في تقديم معلومات جديدة للمتعلِّم، فلا بد أن تكون له خلفية ننطلق منها، في حين يؤدي افتقاره إلى فشل عملية التبليغ، ونقف على بعض الأحاديث النبوية تحمل أبعادا تلميحية حيث تظهر في شكل افتراضات مسبقة يقول الرسول . صلى الله عليه وسلم . : "لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"[2].

إذا تتبعنا الأثر التداولي للفعل التبليغي في هذا الخطاب التربوي فإننا نقف في البدء عند الافتراض المسبق للفعل (لا يؤمن أحدكم)، فماذا يفترض فهمه من هذا القول؟

فعبارة(لا يؤمن أحدكم) مؤداها أن المتلقي يدرك كنه الإيمان، ويعرف أهميته في حياته الدينية، كما يعلم أن نفيه عنه فيه ضياع وخسران.

ومن جهة أخرى فالمبلِّغ أيضا يدرك كنه الإيمان، و يعلم ما تعنيه هذه اللفظة بالنسبة للمتلقي، لذلك حرص على الابتداء بها تنبيها لأهمية الفعل التربوي، وهنا نقف على أهمية هذا الجانب من الافتراضات المسبقة، فهي ذات أهمية قصوى في عملية التواصل والتبليغ، فلا يمكن إعطاء معلومة للمتلقي إلا بافتراض وجود أساس سابق يتم الانطلاق منه والبناء عليه، وهنا لا يلزم المبلغ أن يظهر للمتلقي بأنه مؤمن، كما لا يتوجب على المتلقي أن يظهر للمبلغ أنه مؤمن، لأن صيغة (لا يؤمن أحدكم) تفترض أن يكون كل من المتكلم والسامع على علم بكنه الصيغة الخطابية، لذلك فالافتراض المسبق هو ما يقتضيه اللفظ ويفترضه.

ونوضح ذلك في الشكل الآتي:

الافتراض المسبق لعبارة (لا يؤمن أحدكم)

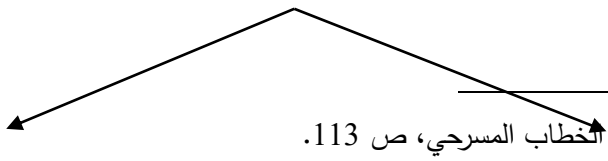

[1] . عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي، ص 113.

[2] . البخاري، كتاب الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم: 13، ج1، ص 14.

المبلغ يخاطب مؤمنا المتلقي متيقِّن أنه مؤمن

⇓

تحقق الفعل التبليغي لأنه انطلق من افتراضات متفق عليها.

والفعل التبليغي الذي هو محور العملية التربوية نجده متضمّنا في صيغة:

(لا يؤمن أحدكم)، فظاهر القول ⟵ نفي الإيمان عن صاحبه.

لكن في دلالته التداولية (فلا يؤمن) ⟵ لا يتم إيمان أحدكم.

فالنفي لعدم بلوغ الكمال، والوصول إلى تحقيق التمام، وليس نفيا لأصل الإيمان؛ فالأثرة وحب النفس تنقص الإيمان، لذلك فالفعل المتضمن في القول هو النصيحة التي تستلزم محبة المرء لأخيه ما يحب لنفسه، "وقال بعض الناس: المراد بهذا الحديث كفّ الأذى والمكروه عن الناس، وشبه معناه قول الأحنف بن قيس قال: كنت إذا كرهت شيئا من غيري لم أفعل بأحد مثله"[1].

كما يتطلب هذا الفعل التحذير من الحسد، فالحاسد لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه، "والمحبة هاهنا هي مجرد تمني الخير لأخيه المسلم، فلا يعسر ذلك إلا على القلب السقيم غير المستقيم".[2]

كذلك التحذير من الأفعال الذميمة، والحثِّ على الأخلاق الكريمة، "قال الكَرْمَاني: ومن الإيمان أيضا أن يبغض لأخيه ما يبغض لنفسه من الشر، ولم يذكره لأن حبَّ الشيء مستلزم لبغض نقيضه، فترك التنصيص عليه اكتفاء"[3].

ويتأسس الأثر التداولي للفعل التبليغي في هذا الخطاب التربوي على:

. التحذير والترهيب من الأخلاق الذميمة لأنها تنقص الإيمان وتضعفه.

. التعبير بالأخوة لإثارة كوامن الشفقة والمحبة.

. الحثُّ على التواضع، والسعي وراء أسباب المحبة بين الناس.

---

[1] . ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج1، ص65.

[2] . بدر الدين بن أحمد العيني، عمدة القارئ، ج1، ص 231.

[3] . ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج1، ص 58.

. الدعوة إلى صفاء القلوب، والابتعاد عن الأثرة والأنانية.

ونتوصل إلى النتائج التي لم يصرح بها المبلغ ولكن دلت عليها الافتراضات المسبقة بعد فهمنا لدلالة الخطاب نفيا وإثباتا(لا يؤمن . يؤمن).

وفي مقام آخر يشكل الافتراض المسبق تلك المعلومات المدرجة في الخطاب وتفترض حقوقا وواجبات، يدركها المتلقي إثر كل عملية تبليغية.

ولتفعيل الروح الإيجابية لدى المتلقي لابد من تحفيزه دائما على عمل الخير، وهذا من التعزيز المعنوي لتحسين وتحويل سلوكاته، وتكوين فرد يتميز بقوة إيجابية، وفاعلة ومؤثرة، يحث على الأمور السوية، ونبذ السلبية والابتعاد عن كل المثبطات، لقوله . صلى الله عليه وسلم . : "لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ"[1].

من المفترض أن هذا الخطاب موجه إلى متلق مسلم يؤمن بالجنة والنار، وهذا ما نستشفه في قوله . عليه السلام . (لا يدخل الجنة قتات)، والقتات هو النمام، "وقد فرق أهل اللغة بين النمَّام والقتَّات، فذكر الخطابي أن النمام الذي يكون مع القوم يتحدثون فينم حديثهم، والقتات، الذي يتسمَّع على القوم وهم لا يعلمون ثم ينم حديثهم"[2].

فكل من المبلّغ والمتلقي يدركان لفظ (الجنَّة)، فوجود الجنة حقيقة؛ في عالم البرزخ عالم لا نراه، ولكن نؤمن به، لذلك يصبح الافتراض المسبق شرطا تداوليا لتنفيذ الأحداث الكلامية، ومن وظائف الافتراض المسبق "أنه يمثل شكلا من أشكال القاعدة التي تسند إليها الأقوال المقرة، فهي تضمن لهذه الأخيرة تماسكها، لأن الافتراض المسبق هو الذي يجعل الخطاب يسير بطريقة متسلسلة غير متقطعة"[3].

وبتحقق هذا الجانب في الفعل التربوي حيث جاء تقديم المفعول به (الجنة) على الفاعل (قتات)، يقول الجرجاني متحدثا عن فائدة التقديم والتأخير: "هذا باب كثير الفوائد جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعه، ويفضي بك لطيفه، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف

---

[1] . البخاري، كتاب الأدب، باب: ما يكره من النميمة، رقم:5709، ج5، ص 2251.

[2] . ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج9 ، ص 250.

[3] . عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي، ص، ص 114،115.

عندك، أن قدم فيه شيء وحول اللفظ من مكان إلى مكان"[1]. ولذلك نجد الغاية من تقديم المفعول به تنبيه السامع لفظاعة الفعل، وأن الحرمان من دخول الجنة فيه عقاب شديد، وزجر ووعيد، ليرتدع الفاعل عن فعلته، فالنميمة سبب لإفساد المجتمعات وخراب البيوت، وقطع لأواصر المحبة بين الناس، وهي من كبائر الذنوب.

أما الغرض التداولي من هذا التقديم؛ هو التأثير في المخاطب ليغير موقفه، ويبتعد عن هذا الفعل المشين.

ومن خلال هذا الخطاب التربوي ندرك أن النميمة من الطاقات السلبية التي تهدم الفاعلية الأخلاقية للمتلقي، وكل هذه المعلومات متضمنة في الخطاب، وقد مكننا الافتراض المسبق من استجلائها، وحرصا على ما ينفع المتلقي يسعى المبلغ إلى الانطلاق من معلومات مسبقة لتأسيس ما هو مفيد وضروري للصالح العام، يقول الرسول . صلى الله عليه وسلم . :

"إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ، وَمَنْعَ وَهَاتِ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ"[2].

فالمعطيات الأساسية للافتراض المسبق نوجزها فيما يلي:

. عقوق الأمهات ⟵ يفترض مسبقا أن للمخاطَبين أمهات.

. منع وهات ⟵ " " أن هناك حقوقا وواجبات قصرُّوا فيها.

. وأد البنات ⟵ " " أنهم أنجبوا بنات.

. قيل وقال ⟵ " " وجود الغيبة والنميمة.

. كثرة السؤال ⟵ " " وجود أسئلة لا تنفع.

. إضاعة المال ⟵ " " وجود مال يُبذر.

فالخطاب في هذا الحديث يتضمن الافتراض المسبق لكل المتلفظات الموجهة للمتلقي ومنها يستطيع المبلغ تأدية رسالته التربوية لتقويم سلوك المبلَّغين، وقد عرفنا أن الافتراض المسبق يضم معلومات مستمدّة من المعرفة العامة، فكل من المبلغ والمتلقي يشتركان في

---

[1] . عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: أبو محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1989م، ص 106.

[2] . البخاري، كتاب الأدب، باب: عقوق الوالدين من الكبائر، رقم:5631، ج5، ص 2229.

العلم بما سبق، ويأتي دور المبلغ لينطلق من هذه البنى التركيبية ليؤسس القواعد الأخلاقية التي يتطلبها المقام(وهنا مقام تربوي)، حيث يصرِّح بلفظ: حرَّم، فيدلُّ التحريم على أن هذه الأمور الثلاثة من الكبائر وهي:

. عقوق الأمهات، هذا أول المحرمات، وقدمه لأهميته وكثرة وقوعه، وإنما اقتصر على الأمهات . مع تحريم عقوق الآباء أيضا . لضعفهن وعجزهن خلاف الآباء، "وقد تقدم في الاستقراض الإشارة إلى حكمة اختصاص الأم بالذكر، وهو من تخصيص الشيء بالذكر إظهارا لعظم موقعه"[1].

. منع وهات، حرم عليكم منع ما عندكم: فلا تتصدقون، وحرم عليكم طلب ما ليس لكم حق أخذه.

. وأد البنات، ما كانت تفعله العرب في الجاهلية، وما في ذلك من قسوة.

ثم تأتي المكروهات الثلاثة وهي:

. كره لكم: قيل وقال، وفيه نهي عن الغيبة والنميمة.

. كثرة السؤال، الابتعاد عن السؤال لغير ضرورة.

. إضاعة المال، تبذيره وإنفاقه في أمور غير مشروعة.

وجملة ما نتوصل إليه من مفهومنا للافتراض المسبق؛ أنه يدعم العملية التبليغية فلو انعدم هذا العنصر لما استطاع المبلِّغ أن يوجه خطابه للمستمع، ولما تمكَّن من التأثير فيه، و"نخلص إلى نتيجة مفادها أن الفعل الكلامي الافتراضي يلعب دورا في تحديد العلاقات بين المتخاطبين، فهو الذي يتحكم في الفعل التأثيري للمستمعين"[2]. ولذلك فالافتراض المسبق آلية تداولية ضرورية لنجاح الخطاب التربوي مثل ما رأينا في الأحاديث السابقة.

2 . 2 . القول المضمر: (sous – entendu) بعد تناولنا للافتراض المسبق الذي تبين لنا أنه وليد السياق الكلامي، نأتي إلى النمط الثاني من متضمنات القول؛ وهو القول المضمر، الذي تحدده ملابسات الخطاب، "تقول (كيربرات أوركيونيOrecchioni Kerbrat): "هو كل المعلومات التي يمكن للكلام أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات

[1] . ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج10، ص 406.

[2] . عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي، ص 118.

سياق الحديث"[1]، ويلجأ المبلغ إليه لأسباب كثيرة؛ تتعلق باللياقة أو لمعالجة بعض الأخطاء وقع فيها الناس، فيفضل التلميح دون التصريح، "أضف إلى ذلك أنه في مقامات عديدة يضطر إلى استعمال متضمنات القول خشية، من خرق بعض العادات الكلامية الاجتماعية، إذ يلجأ إلى استعمال الحيلة ليضمن عدم جرح مشاعر المستمع"[2]. ومثل ذلك نجد الرسول . صلى الله عليه وسلم . يقول:

"مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلاَتِهِمْ". فَاشْتَدَّ قَوْلُهُ فِي ذَلِكَ حَتَّى قَالَ : "لَيَنْتَهُنَّ عَنْ ذَلِكَ أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ".[3] لقد استعمل النبي . عليه السلام . عبارة (ما بال أقوام) في خطابه لجماعة المسلمين، فلم يوجه كلامه للمخطئين مباشرة إنماأضمر كلامه، ولم يشهّر بهم، تجنبا للإحراج، وهذا أسلوب تربوي يساعد على حفظ السرية للمتلقين، وهدف تقويم سلوك الناس ومحاسبة النفس بأن يراجع المعني حساباته بينه وبين نفسه من غير انزعاج.

وهذا مناط التداولية في متضمنات القول، فالخطاب التربوي يحمل كلاما عاما، لم يخص به فئة دون الأخرى، ولكن عندما نهاهم المبلغ من قبل عن هذا السلوك لأنه ينافي الخشوع والخضوع المطلوب في الصلاة، لم ينتهوا، ربما لتعوّدهم على فعله من جهة ومن جهة أخرى لم يحرصوا على الالتزام به وكأنه أمر هيّن، فأعاد خطابه بشكل مضمر ليردعهم، وقد خيرهم بين الانتهاء من رفع الأبصار إلى السماء في الدعاء في الصلاة وبين العمى وخطف الأبصار، فكان هذا التهديد الفظيع كاف للانتهاء وتنفيذ أوامر المبلغ، فالإضمار منهج تعليم سلكه الرسول . صلى الله عليه وسلم . لتوجيه الناس إلى تصحيح أخطائهم دون تجريح لمشاعرهم، فعندما يخاطبهم بهذا الأسلوب يراعي بالدرجة الأولى البعد النفسي للمخطئ، وفي الحديث الآتي:

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ أَكَادُ أُدْرِكُ الصَّلاَةَ مِمَّا يُطَوِّلُ بِنَا فُلاَنٌ، فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْ يَوْمِئِذٍ فَقَالَ: أَيُّهَا

[1] . عن المرجع نفسه، ص 118.

[2] . المرجع نفسه، ص 112.

[3] . البخاري، كتاب صفة الصلاة، باب: رفع البصر إلى السماء في الصلاة، رقم: 717، ج1، ص 261.

النَّاسُ، إِنَّكُمْ مُنَفِّرُونَ، فَمَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ"[1].

استعمل عليه الصلاة والسلام الإضمار عند مخاطبة ذلك الرجل الذي يطيل الصلاة بالناس، فخاطبه بأسلوب (أيها الناس) وهذا دأبه أنه يعمِّم ولا يوبِّخ ولا يواجه أحدا بعينه مع أن الذي قام بهذا العمل شخص واحد، ومع هذا قال: "إنكم منفرون"، ولو ذكره بالاسم لا شك أن فيه تقبيحا وتوبيخا وفضحا له، والمقصد هو العلاج والإصلاح.

وكما رأينا أن الإضمار أبلغ من التصريح والعدول إليه أفيد، فيكون في النفس أوقع وأحلى، فيتحقق الغرض التداولي من الإضمار في هذا الخطاب التربوي، لأنه يركز على البعد العملي للمعنى أثناء الخطاب.

ونرى صورة أخرى للقول المضمر في رواية جابر . رضي الله عنه . يقول: "أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دَيْنٍ كَانَ عَلَى أَبِي، فَدَقَقْتُ الْبَابَ، فَقَالَ: (مَنْ ذَا). فَقُلْتُ: أَنَا، فَقَالَ: (أَنَا أَنَا). كَأَنَّهُ كَرِهَهَا[2]. فنلاحظ أن قول جابر (أنا) لا يتضمن الجواب المنتظر، "وكان حق الجواب أن يقول: (أنا جابر) ليقع تعريف الاسم الذي وقعت المسألة عنه"[3]، وقد بقي الإبهام في القول (أنا) أي لم تحصل أية فائدة، لذلك انتقده النبي على ذلك "قال الداودي إنما كره ذلك لأنه أجابه بغير ما سأله عنه"[4]، وقد أدرك جابر ما وقع فيه حين رد عليه النبي مكررا قوله: (أنا أنا)، وهذا تعريض وإضمار، والتعريض خلاف التصريح من القول، إذ إن تتابع التوجيه بطريقة مباشرة وصريحة تجعل المتلقي يشعر بالملل في كثير من الأحيان، وينفر من تلقي العلم أو التوجيهات التربوية، فإذا ما قدم من خلال قول مضمر كان أنفع وأكثر تأثيرا في المتلقين، والانتقال من أسلوب إلى آخر ينشط ذهن المتلقي ويحفزه على تلقي الرسالة التربوية، لذلك فهِم جابر الرسالة من هذا الإضمار والقرينة قوله: (كأنه كرهها)، ومن هنا تحققت الغاية التداولية، وتعلم المتلقي آداب الاستئذان.

---

[1] . البخاري، كتاب العلم، باب: الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره، رقم:90، ج1، ص 46.

[2] . البخاري، كتاب الاستئذان، باب: إذا قال: من ذا؟ فقال: أنا، رقم: 5896، ج5، ص 2306.

[3] . ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج11، ص 37.

[4] . المصدر نفسه، ص 37.

أما الفوائد التربوية للإضمار هي:

. يحفظ درجة شخصية المتلقي وسط جماعته، فلا يقلَّ شأنه ومرتبته بينهم.

. يؤدي إلى زيادة روابط الثقة والمحبة بين المعلم والمتعلم.

. يصحح أخطاء تربوية موجودة عند متعلمين آخرين واقعين في الخطإ نفسه.

. يقضي على سلوك غير مرغوب فيه.

. الإحساس بالطمأنينة والارتياح، والإقبال على تصحيح خطئه.

يرتبط الإضمار بوضعية الخطاب ومقامه، واتضح ذلك في النصوص السابقة.

3 . **الاستلزام الحواري:** (Implication conversationnelle)، ويعد من أهم جوانب الدرس التداولي، وترجع موضوعاته إلى محاضرات (بول غرايس)، والمراد به إبراز ما يقال وما يقصد قوله، فما يقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بحمولتها اللفظية، وما يقصد هو ما يريد المبلغ أن يبلغه للمتلقي على نحو غير مباشر، اعتمادا على أن السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال، كما أن عملية التبليغ تتم في ضوء (التعاون)، ويرى غرايس أن كل حوار يقوم على هذا المبدأ حيث تتفرع عنه أربع قواعد: (قاعدة الكم وقاعدة الكيف وقاعدة العلاقة وقاعدة الصيغة) تضبط التخاطب في المقامات العادية، "فبين أن هذا المبدأ يوجب أن يتعاون المتكلم والمخاطب على تحقيق الهدف المرسوم من الحديث الذي دخلا فيه، وقد يكون هذا الهدف محددا قبل دخولهما في الكلام أو يحصل تحديده أثناء الكلام"[1].

ومنه يفترض من المتلقي أن يظهر تعاونا ما لا يتَّصل بمقول قول المبلغ، بل بما يقصده، ونلاحظ ذلك في النص الآتي:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟". قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ، فَقَالَ: "إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ، قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ"[2].

---

[1] . طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 238.

[2] . مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، رقم: 2581، ص 1199.

فعندما سأل المبلغ عن المفلس كان ينتظر إجابة أخرى هو يقصدها، وليست الإجابة الحقيقية عن معنى كلمة (المفلس)، وإذا استندنا إلى إجابة المتلقين، نقول بأنها خرقت مبدأ التعاون في فرع العلاقة، أي علاقة الخبر بمقتضى الحال، وهي: ليكن إسهامك واردا في الحديث، فالسؤال عن المفلس في الحديث لا يتوقع منه المعنى المعروف والمتعارف عليه، وإلا أدَّى بنا ذلك إلى خرق قاعدة أخرى من قواعد مبدأ التعاون وهي: قاعدة الصيغة، التي تتعلق بشكل القول لتحري الوضوح، ومن مقتضياتها: تجنب الغموض والالتباس، ولْيَكن كلامك بيّنا ومعلوما لدى المتلقي، لذلك وضَّح المبلغ المقصود للمتلقين حقيقة المفلس الذي يَعنيه، متجاوزا المعنى المعجمي للفظ، والهدف التربوي من ذلك هو بيان: مَن المفلس الحقيقي في نظر الإسلام، وكان للاستلزام الحواري دور بارز في إظهار مقصد المبلغ، وتوضيح المعنى المطلوب، فعندما أراد المبلغ أن يسأل عن معنى المفلس فهو يقصد دلالة أخرى غير الدلالة اللسانية المتعارف عليها.

ومن مقتضيات الاستلزام الحواري أن يكون الخطاب واضحا لا لبس فيه، ويتضح ذلك في الحديث الآتي:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ، يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ: ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ". قَالُوا: لاَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا، قَالَ: "فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهَا الْخَطَايَا"[1].

في هذا المقام يوضح الرسول . صلى الله عليه وسلم . للصحابة فضل الصلاة لكن يستلزم هذا التعليم توضيحا ملموسا ليقرب المعنى إلى ذهن المتلقين، ويكون له الأثر في النفوس، فاستخدم المثل وقدم صورة المشبه به على المشبه، وفي ذلك تشويق وإثارة لمعرفة ما يترتب عليه المثل، وركز خطابه على الحوار مستندا على الاستفهام (أرأيتم؟) "وهو استفهام تقرير متعلق بالاستخبار، أي أخبروني"[2] ليطيل الشوق ويزيد الانتباه، ثم لا يلبث أن يتبعه بتوكيد "ما تقول ذلك يبقي من درنه؟" فأراد النبي أن يدخل على نفوس المؤمنين مدخلا يؤنسها، وجاءت الهمزة لتقرير المعنى وتوكيده، ثم جملة المشبه (فذلك) تأتي جوابا لجملة مقدرة سبقتها، واسم الإشارة كما ذكرنا في المعينات له دلالة الاختصار،

[1] . البخاري، كتاب: مواقيت الصلاة، باب: الصلوات الخمس كفارة، رقم: 505، ج1، ص 197.

[2] . ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج2، ص 11.

ويغنينا عن التكرار، ووجه التمثيل "أن المرء كما يتدنّس بالأقذار المحسوسة في بدنه وثيابه ويطهره الماء الكثير فكذلك الصلوات تطهر العبد من أقذار الذنوب حتى لا تبقي له ذنبا إلا أسقطته"[1].

وهنا تظهر الآلية التداولية للاستلزام الحواري في قاعدة الصيغة(Modalité) التي تتعلق بشكل القول لتحري الوضوح، ومن تفريعاتها: تجنب الغموض والالتباس وتحرى الإيجاز، ورتب كلامك، ولكي يفهم المتلقي فائدة الصلوات الخمس وكيف تطهر المسلم من الذنوب قربها في صورة محسوسة لتدركها العقول، وتقبل على تطبيقها وهنا يتحقق الفعل التربوي وهو غاية الأثر التداولي في الاستلزام الحواري، وتمثلت الفائدة في:

. استخدام المعلم سؤال المتعلمين ليستقر الجواب في نفوسهم.

. استعمل التمثيل وتشبيه المعقول بالمحسوس.

. فضيلة المحافظة على الصلوات الخمس.

ونقف عند قاعدة أخرى من قواعد مبدأ التعاون في قول الرسول . صلى الله عليه وسلم . :

"انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا". قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ قَالَ: "تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ، فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ"[2].

فالمبلِّغ يحث على نصرة الأخ سواء أكان ظالما أم مظلوما، فالغموض يكتنف لفظ (انصر) فماذا تعني النصرة، وكيف تكون؟ هل تعني الوقوف مع الحق؟ أم تحمل دلالات أخرى؟ ولعدم وضوح قصد المبلغ، تساءل أحد المتلقين، كيف ننصره ظالما؟ وفي الاستلزام الحواري إخفاء المعنى، ولا بد من تعاون المبلغ والمتلقي لتوضيح القصد:

السؤال ⟵ كيف ننصره ظالما؟

التوضيح ⟵ "تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ".

فالعناصر المكونة للتلفظ يمثلها أولا المبلغ، الذي يهدف إلى تبليغ رسالة تربوية إلى المتلقين بصدد تعليمهم معنى النصرة، وهذه قاعدة من قواعد التعاون التي تتمثل في قاعدة

---

[1] . المصدر نفسه، ص 11.

[2] . البخاري، كتاب الإكراه، باب: يَمِينِ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ إِنَّهُ أَخُوهُ، إِذَا خَافَ عَلَيْهِ الْقَتْلَ أَوْ نَحْوَهُ، رقم: 6552، ج6، ص 2550.

الكم: (Quantité)، وتتعلق بقدر المعلومات التي ينبغي سوقها وعرضها للمخاطب، ومن تفريعاتها:

. لتكن إفادتك المخاطب على قدر حاجته.

. لا تجعل إفادتك تتعدى القدر المطلوب[1].

إذن فالنصرة تستلزم الإعانة "وفيه من الفقه أن كل من أعان مؤمنا على عمل برٍّ فللمعين عليه أجر مثل العامل، وإذا كان ذلك بحكم المعونة على أعمال البرّ فمثله المعونة على معاصي الله وما يكرهه الله، للمعين عليها من الوزر والإثم ما لعاملها".[2]

وبوضوح معنى النصرة، تحقّقت القاعدة الحوارية في إفادة المتلقي قصد المبلغ.

ولعلنا نستدل بما يجمع هذه القواعد في حديث نبوي شريف، ونرى في الخطاب الموالي إن تحقق منظور(غرايس) في احترام مبادئ الحوار بين المتخاطبين: عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الإِسْلاَمِ أَفْضَلُ؟ قَالَ :"مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ"[3].

نسعى من خلال هذا الخطاب إلى إيضاح فكرة(غرايس) الخاصة بقواعد الاستلزام الحواري لأنها "تستهدف من وجهة نظره مبتغى واحدا يتمثل في ضبط مسار الحوار حيث يؤكد أن احترام هذه القواعد استنادا إلى المبدأ العام هو السبيل الكفيل الذي يجعلنا نبلغ مقاصدنا حيث يفضي كل خروج عنها . أو عن إحداها . إلى اختلال العملية الحوارية"[4].

ولننظر إلى هذا الحديث وفق قواعد مبدأ التعاون فنجد أن مقام المبلغ أعلى درجة من المتكلم، لذلك فالسؤال الموجه إليه(الرسول) والغرض المطلوب هو: التّعلم (أيُّ الإسلام أفضل؟) والجواب عن السؤال المطروح فيه بيان حقيقة الإسلام، أيْ: "من سلم المسلمون من لسانه ويده".

---

[1] . طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 238.

[2] . بدر الدين العيني، عمدة القارئ، ج12، ص 406.

[3] . البخاري، كتاب الإيمان، باب: أي الإسلام أفضل، رقم: 11، ج1، ص 13.

[4] . انظر: العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011م، ص 100.

وبالنظر إلى قاعدة الكم نجد السؤال محددا وواضحا لا يحمل أي تأويل، لذلك كانت الإجابة عنه تحمل مقدار الفائدة المطلوبة المنتظرة، ولم تتجاوز الحد المطلوب، فطابقت الجملة قاعدة الكم.

أما قاعدة الكيف فقد أنجز المبلغ فعل الطلب وهو السؤال، فطابقت العبارة قاعدة الكيف المرتبطة بمدى فهم المتلقي للمعلومة، عندها أدرك من المسلم الفعلي، أي الذي يسلم الناس من لسانه ويده.

وقاعدة العلاقة هي مراعاة علاقة المقام بالمقال، وتتمثل في مناسبة القول ما هو مطلوب في كل مراتب التلفظ، لذلك نجد العلاقة واضحة في هذا الخطاب بشكل جعل العلاقة بين المبلغ والسائل ترد على أصلها دون أن يحدث أي خرق لها، وهنا تحققت هذه القاعدة، فمقام السؤال واضح؛ أن يسأل مسلم نبيه عن أفضل الإسلام والغرض من ذلك التعلم ليكون في مقام المفضلين، كذلك مقام المبلغ واضح؛ حيث أجاب السائل بما يبين له الغرض من دلالة الإسلام، وكيف تتحقق أفضليته.

والقاعدة الرابعة تتمثل في الصيغة، ومن مقاصدها الوضوح والإيجاز، والابتعاد عن كل ما ينفر السامع ويحسسه بالملل، ليقبل على تلقي المعلومة والاستفادة منها، ونرى أن هذه المخاطبة كانت سليمة وواضحة ومرتبة بشكل جعلها تطابق قاعدة الصيغة حيث ترتبط بالصيغة اللسانية للخطاب. و"الهدف منها تجنب الاضطراب والملل والإيجاز المخل في القول. فهي ترتبط إذن بالقاعدة الأساسية التي تعبر عنها بـ (التزم الوضوح)"[1].

ولاحظنا ذلك في هذا الخطاب، حيث سعى المبلغ أن يوضح للسائل معنى الإسلام ليتخذه منهج حياة، ومنه إلى الناس كافة، فجاءت عباراته وجيزة تحمل دلالات تربوية نافعة، تدعو للعمل بها في كل مجالات الحياة، وجراء ذلك نقول إن الخطاب قد استوفى القواعد المستلزمة حواريا، وهذا مقتضى اللسانيات التداولية.

وقد أثارت قواعد (غرايس) العديد من الانتقادات، فنتج عن ذلك إثراء وتوسع في اللسانيات التداولية، وبرزت إضافات جديدة أسهمت في تطوير الدرس التداولي "ومجمل الانتقادات التي وجهت (لغرايس) لم تأبه بما أشار إليه في عبارته التي جاء فيها: "هناك

[1] . العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص 100.

أنواع شتى لقواعد أخرى جمالية واجتماعية وأخلاقية، من قبيل لتكن مؤدبا، والتي يتبعها عادة المتحاورون في أحاديثهم والتي قد تولد معان غير متعارف عليها"[1].

ومن مستجدات هذا المضمار ما ذهب إلي(طه عبد الرحمن) في تحليله للخطاب من جانب التواصل الإنساني والتعامل الأخلاقي، وأن الغرض من ذلك تحقيق الضوابط التبليغية والتهذيبية التي تخص التخاطب بغية حصول تواصل المتخاطبين[2]، فاستنبط مبدأ تداوليا من التراث الإسلامي وأضافه إلى المبادئ السابقة، "أطلق عليه اسم مبدأ (التصديق واعتبار الصدق والإخلاص)، فيصاغ هذا المبدأ على النحو الآتي: (لا تقل لغيرك قولا لا يصدِّقه فعلك)، وقد اتخذ صورا مختلفة منها (مطابقة القول الفعل) و(تصديق العمل للكلام)[3].

وإذا تأملنا الحديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً، يَرْفَعُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ"[4].

نجد قاعدة مبدأ التصديق بتفريعاتها واضحة في هذا الخطاب، فإذا نظرنا إلى قاعدتها الأولى التي تقول: "ينبغي للكلام أن يكون لداع يدعو إليه، إما في اجتلاب نفع أو دفع ضرر"[5]، لعلنا لا نجد أصدق من هذا الكلام ـ بعد كلام الله ـ يحقق المطلوب؛ نلاحظ كيف يحثّ المبلِّغ المتلقين على حفظ اللسان، فمن أراد أن ينطق عليه أن يتدبَّر ما يقول فإن رأى مصلحة في كلامه تكلم وإلا أمسك لسانه.

حرص المبلغ على تنبيه المخاطَب أن يفكِّر في كل كلمة ينطق بها، وهذا من دواعي قاعدة التصديق، أما ما ينفع المتلقين؛ هو ما تجلبه الكلمة الطيبة من خير، فترفع صاحبها درجات، أما الكلمة التي تضر قائلها؛ هي ما تضمنَّت الشر، ولم يهتم بها

---

[1] . المرجع نفسه، ص 118.

[2] . انظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص 237.

[3] . المرجع السابق، ص 249.

[4] . البخاري، كتاب الرقاق، باب: حفظ اللسان، رقم: 6113، ج5، ص 2377.

[5] . طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص 249.

صاحبها ولم يفكِّر في عواقبها فيهوي بها في دركات النار، فتضمن الخطاب فوائد تربوية كثيرة إذا عمل بها تحقق الشرط التداولي، منها:

. كل إنسان محاسب على أقواله.

. الحرص على رضوان الله تعالى، والحذر من سخطه.

. قد يرتقى المرء درجات الجنة، وقد يهوي إلى دركات النار، جراء كلام ينطقه.

. العاقل من يتوقى عثرات لسانه، فهي أشدّ من عثرات قدمه.

وبإدراج هذا العنصر من عناصر قاعدة التصديق نجدها تتداخل وقواعد مبدأ التعاون عند(بول غرايس)، "فالقاعدة الأولى تقوم مقام مبدأ التعاون، إذ إنها تشترط تحديد هدف معين للمخاطبة كما يشترطه هذا المبدأ"[1]، وكذلك الأمر بالنسبة لبقية القواعد، فنجدها تروم أساسيات الدرس التداولي ومقتضاه أن يقترن القول بالعمل "وتكمن أهمية هذا المبدأ في كونه يقوم على عنصرين يكمل أحدهما الآخر، أما الأول فهو(نقل القول) المتصل بالجانب التبليغي في الخطاب، وأما الثاني فهو (العمل بالقول) المرتبط بالجانب التهذيبي فيه."[2]، ويعدُّ هذا أيضا من مطالب الخطاب التربوي في صحيح البخاري، ويتطلَّب على المربين أن يستأنسوا بمثل هذه القواعد الخطابية في تكييف منهجية تقديم المعلومات لطلبتهم.

ومما لا شك فيه أنَّ الاستلزام الحواري المتضمن لمبدأ التعاون بقواعده الأربعة له أثره التداولي في الخطاب التربوي في صحيح البخاري، فهو ملازم له في كل المواضيع، لأن القصد الأساس هو توجيه الناس وتعليمهم وتربيتهم، لذلك يجب أن يكون المعنى واضحا وضوح الغاية المنشودة.

4 ـ الحجاج: Argumentation

يمثلُّ الحجاج جانبا من الجوانب الأساسية في الدَّرس التداولي، حيث يرتكز التحليل في التداوليات على اللغة بصفتها نتاج بشري، ولكي نتوصل إلى نتيجة إيجابية لهذا التحليل علينا أن نأخذ بكل الأسباب والظروف المصاحبة للقول في بعده الاستعمالي سواء تعلق الظرف بالجانب اللغوي أم النفسي أم الاجتماعي أم الثقافي.

---

[1] . المرجع السابق، ص 250.

[2] . العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري، ص 123.

والحجاج هو تقديم البراهين المقنعة التي تؤول إلى نتيجة معينة، أو تحقيق متواليات من الأقوال بعضها حجج، وبعضها الآخر نتائج، "وانبثقت نظرية الحجاج في اللغة من داخل نظرية الأفعال اللغوية التي وضع أسسها (أوستين وسيرل)، وقد قام (أوزفالد ديكرو Oswald Ducrot) بتطوير أفكار وآراء (أوستين) بالخصوص، واقترح في هذا الإطار، إضافة فعلين لغويين هما فعل الاقتضاء، وفعل الحجاج."[1]، وتنطلق نظرية (ديكرو) اللسانية من ثلاثة مبادئ أساسية هي:

. المبدأ الأول: أن الوظيفة الأساسية للغة هي الحجاج.

. المبدأ الثاني: أن المكون الحجاجي في المعنى أساسي، والمكون الإخباري ثانوي.

. المبدأ الثالث: عدم الفصل بين الدلالات والتداوليات[2].

فالحجاج آلية من آليات الخطاب، والخطاب مجال من مجالات التداولية التي تساعد على الفهم الدقيق لمقصدية التواصل، "فإن الإطار التداولي لعملية الحجاج تكمن في أنها تتدخل في آراء وسلوكات المتكلم أو المستمعين عن طريق التأثير فيهم"[3].

وإذا عرضنا هذه التقنية على الخطاب التربوي ألفيناه يسعى إلى إبانة مقصدية الخطاب للتأثير في المتلقين مستعينا بالوسائل العقلية والعلمية، بما له من بلاغة الإقناع والتداولية أقدر على تحقيق ذلك، إذ إن وضعيات التلفظ في العملية الخطابية تساعد على فهم الملفوظ الحجاجي، وعندئذ نطلق عليه الخطاب الإقناعي، وذلك في متواليات جمله، حيث يشير (فيليب بروتون Philippe Breton) أنه "نشاط إنساني، يتخذ أوضاعاً تواصليةً متعددةً ووسائل متنوعة، ويهدف إلى إقناع شخص، أو مستمع، أو جمهور ما بتبنّي موقفا ما، أو مشاركة في رأي. وببساطة تامة نقول إن الحجاج هو خصومة فكرية عقلية تقوم على أساس المقارعة بالحجة"[4].

---

[1] . أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، مطبعة الأحمدية، الدار البيضاء، ط1، 2006م، ص 15.

[2] . مليكة غبار، أحمد مزيل وآخرون، الحجاج في درس الفلسفة، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2006م، ص 53.

[3] . عمر بلخير، تحليل الخطب المسرحي، ص 123.

4 - Voir : Philippe Breton : L'argumentation dans la communication, Edition du CASBAH, Alger, Janvier 1998, p :3.

ومن آليات الحجاج الإقناع بوسائله اللغوية والمنطقية، حرصنا أن نتخير بعض الخطابات التربوية في صحيح البخاري، التي تمثل البعد التداولي للحجاج، ويكون متمثلا في شقي الإقناع اللغوي والمنطقي:

الإقناع: من خلاله يمكننا أن نتستخدم الوسائل المختلفة للوصول إلى تحقيق الغاية وإثبات صحة الموقف المراد تبليغه للمتلقي، استنادا إلى أدلة ملموسة قوامها الوسائل اللغوية، والوسائل المنطقية.

أ . الوسائل اللغوية: لا شك أن من أهم الوسائل اللغوية الواردة في الخطاب التربوي في صحيح البخاري: التأكيد، والشرط، والنفي، والتكرار، وضرب المثل، والقسم والحوار، وغير ذلك، وسنتخير بعضا منها:

. أ . أ . التأكيد: وينقسم إلى تأكيد لفظي وتأكيد معنوي، والتأكيد اللفظي أظهر أنواع التأكيد، ويكون بأداة أو إعادة الجملة أو شيء منها، والإعادة والتكرار سنة بيانية من سنن العرب، قال السيوطي: "من سنن العرب التكرير والإعادة إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر."[1]، ومن أمثلة التأكيد اللفظي بالأداة قول الرسول . صلى الله عليه وسلم .: "إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ"[2].

إذا تأملنا بنية الحديث من منظور حجاجي نرى البناء العام المتمثل في قوله:

(إن الدين يسر) ⟵ فطرحت القضية أمام المتلقين.

يؤكد المبلغ أن الدين يسر، أي دين الإسلام، فهو دين ميسر ومسهل في عقائده وأخلاقه وأعماله وفي أفعاله.

ثم طرح القضية الثانية التي تناقض الأولى:

(ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه) ⟵ أي لا يتوغَّل أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيُغلب.

ثم تأتي القضية الثالثة التي تدعم الأولى وتنفي الثانية:

"فسددوا، وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة":

---

[1] . جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، دار إحياء الكتب العربية، ج1، ص 332.

[2] . البخاري، كتاب الإيمان، باب: الدين يسر، رقم: 39، ج1، ص 23.

فسددوا ←ألزموا السداد وهو الصواب من غير إفراط ولا تفريط.

قاربوا ← إن لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل فاعملوا بما يقرب منه.

وأبشروا ←بالثواب على العمل الدائم وإن قل.

واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة ←"سير أول النهار . الأوقات المنشطة . والروحة بعد الزوال، والدلجة سير آخر الليل، وقيل الليل كله، ولهذا عبر فيه بالتبعيض، لأن عمل الليل أشق من عمل النهار"[1].

فإذا أعدنا صياغة القضية الحجاجية ← متى يكون دين الله يسرا؟

حل القضية ← إذا ابتعدنا عن المغالاة والتشديد.

النتيجة ← ترغيب في التدرج في الأعمال دون إفراط ولا تفريط.

ونبين ما ذكرناه في الشكل الآتي:

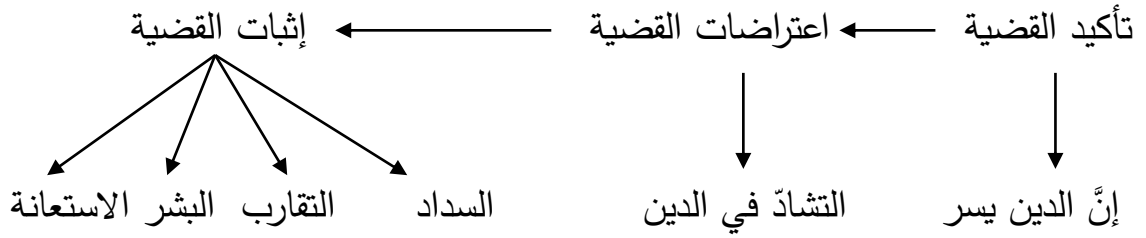

وما يستفاد من هذا الخطاب الحجاجي:

. سهولة أحكام الدين الإسلامي.

. من شدد على نفسه غُلب.

. التنبيه إلى أوقات النشاط.

. التوسط في العمل، وخير الأعمال أدومها وإن قلت.

. منع الإفراط في العمل المؤدي إلى الملل.

ونرى أيضا أن التأكيد بالأداة (إنَّ) داخلة على المسند إليه في مستهل الحديث تحمل معنى الاهتمام لتشويق المتلقين على الإقبال على دينهم الذي هو سهل وميسر في كل مناحيه، ويضمن لهم الفوز في الأولى والآخرة.

[1] . ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج1، ص 95.

ومن جهة أخرى رأينا أن الأثر التداولي الحجاجي لهذا الخطاب يكمن في حمل المبلغ على إقناع المتلقين بالنتائج المتوصل إليها.

ومن أساليب الإقناع المدرجة ضمن التأكيد نجد:

القَسَم: وهو من المؤكِّدات اللفظية القوية، وقد ورد في الخطاب النبوي بألفاظ مختلفة مثل: والله، والذي نفسي بيده، والذي نفس محمد بيده، وايم الله، ورب الكعبة، ولا والذي، ومقلِّب القلوب، والقسم بلفظ الجلالة هو أعلى أنماط القسم، وأجل تراكيبه وأصدق ألفاظه، كما جاء في الحديث الآتي:

قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ :"يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَلَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً"[1].

والقراءة الحجاجية لهذا الخطاب نلاحظ ما يلي:

تصدر القضية تنبيه ⟵ يا أمة محمد، لجلب انتباههم للقضية.

القضية ⟵ والله لو تعلمون ما أعلم.

النتيجة ⟵ لبكيتم كثيرا، ولضحكتم قليلا.

فصيغة القسم لها دلالتها في الحديث النبوي الشريف، وقد استعملها ليؤكِّد للمتلقين أهمية ما يعلمه، وهذه "دلالة على اختصاصه بمعارف بصرية وقلبية...فقد جمع الله له علم اليقين وعين اليقين مع الخشية القلبية واستحضار العظمة الإلهية على وجه لم يجتمع لغيره"[2]. فهو يعلم ما ينتظر ابن آدم يوم الآخرة، وما أعده الله لعباده.

فالملفوظ ذو طبيعة حجاجية، حيث أقسم المبلغ لأمته أنه يعلم ما لا يعلمون، وقد وردت بعض الروابط الحجاجية تقوي دلالة الحجاج، مثل أداة الشرط: (لو) وهي حرف امتناع لامتناع، ثم اللام الرابطة لجواب الشرط (لبكيتم، ولضحكتم)، كذلك المحسِّن البديعي المكوِّن للجواب، وفي ذكر الجواب لأن مهمة الرسول متمثلة في التبليغ، والتعليم، فالمقصد مترتب عليه.

ونوضح المسار الحجاجي لهذا الخطاب في المخطط أدناه:

---

[1] . البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب: بَابُ كَيْفَ كَانَتْ يَمِينُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟، رقم: 6256، ج6، ص 2445.

[2] . ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج11، 536.

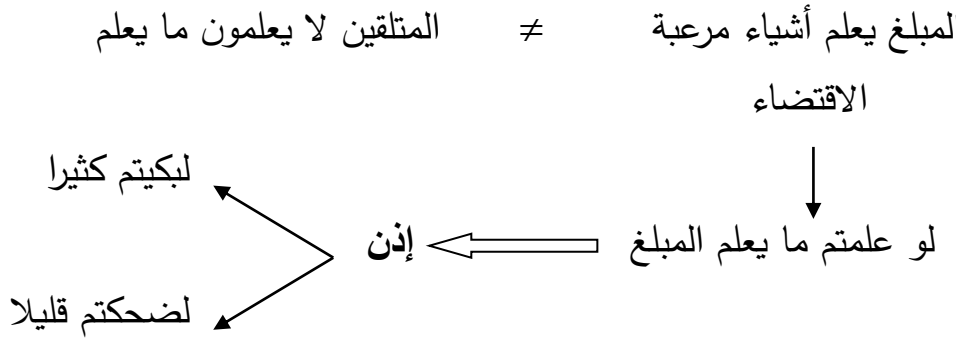

ومؤداه أن الأثر التداولي لهذا الخطاب التربوي قد تحقق في جانبه الإقناعي، فعندما سمع الصحابة هذا الحديث تأثروا كثيرا وأذرفوا الدموع مثل ما جاء في تتمة هذا الخطاب.

ونستنتج أن التأكيد بالقسم له أثره الإقناعي في الخطاب التربوي، كما يكون لبقية المؤكدات؛ كالتأكيد بالنون الثقيلة، والتأكيد بالقصر، وغير ذلك، ونضرب مثالا آخر عن:

التأكيد المعنوي: ومن المؤكدات المعنوية آثرنا أن نركز على بعض الصور البيانية مثل التشبيه، ويأتي التشبيه في سياق بيان الفكرة، وتعد الصورة البيانية من أبرز الحجج التي نجدها في الخطاب التربوي، لإمداده بقوة التأثير والإقناع، ومن صور التشبيه في الحديث النبوي نذكر:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: "كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ"[1].

استهل هذا الخطاب بفعل طلبي "كن" للدلالة على حضور المبلغ والمتلقي، وأن الخطاب مباشر، وقد أكده بصورة بيانية لإقناع المتلقي بمضمون الرسالة: (كأنك) فالصفة التي يجب أن يكون عليها في الدنيا هي الغربة أو السفر؛ (غريب، أو عابر سبيل)، والمعنى الناتج من هذا الخطاب؛ ألاَّ يتخذ المؤمن الدنيا وطنا ومسكنا فيطمئن فيها، ينبغي أن يكون فيها كأنه بعيد عن وطنه الأصلي، أو هو في حالة سفر ويتجهز للرحيل، فنرى كيف استمدت الصورة البيانية طاقتها الإقناعية من خلال ما يربطها بالمقام، فيكون أثرها أوقع على المتلقي، ومنها تدرك الدلالة الحرفية للملفوظ فلا يمكن إنكار النتائج.

[1] . البخاري، كتاب الرقاق، باب: بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ"، رقم: 6053، ج5، ص 2358.

أما التشبيه في قوله: (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) فيه تزهيد المتلقي في الدنيا وأن لا يتخذها دار قرار، وننوه بالرابط (أو) فالظاهر أنه ليس للشك بل للتأخير، أو للإضراب وهو الرقي من درجة إلى درجة، وهذا ما يعرف بالسلم الحجاجي، وهذه النظرية تنطلق من أضعف حجة حتى تصل إلى أقواها، وقد تكون النتيجة ضمنية، وقد تكون صريحة، ونوضحها في هذا الشكل:

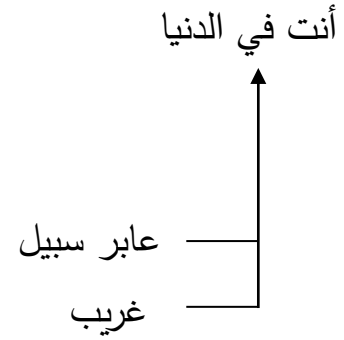

يوضح هذا السلم الحجاجي أن اللفظ الموجود في الطرف الأعلى جمع الألفاظ التي دونه.

فالتشبيه إذن هو: توكيد في الكلام للتأثير في نفوس المتلقين، وبهذا التجسيد للمعاني يحقق الخطاب التربوي نجاعته، بمخاطبة وجدان المتلقي وعقله، بعد ربطه بالواقع الذي استمد منه طاقته الحجاجية.

أ . ب . التكرار: يعد التكرار من الوسائل اللغوية للإقناع، كما أنه عنصر من عناصر الحجاج المهمة، وذلك لتقريب الفكرة إلى ذهن المتلقي من خلال ترديدها وينقسم إلى تكرار ذي فائدة، وتكرار يأتي بغير فائدة، والذي يهمنا هو التكرار الذي يأتي بفائدة؛ لأنه يسهم في تأكيد المعنى الذي يؤول إلى إقناع المتلقي، "واعلم أن المفيد من التكرار يأتي في الكلام تأكيدا له وتشييدا من أمره"[1]، ويأتي التكرار في الجملة لغاية حجاجية فترديد أيّ لفظة تؤدي إلى قبول الفكرة والاقتناع بها، وهو "دلالة اللفظ على المعنى مرددا، كقولك(أسرع، أسرع) فإن المعنى مردد واللفظ واحد"[2]، وقد يؤتى به لغرض

[1] . ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار النهضة للطباعة والنشر، مصر، (د،ط)، (د، ت)، ج3، ص8.

[2] . المصدر نفسه، ج2، ص 345.

تأكيد بعض الصفات أو الأحوال، "وهو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة لتأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل أو الوعيد"[1].

والتكرار ضربان: أحدهما يختص باللفظ والمعنى، والآخر يختص بالمعنى دون اللفظ، ولهما تفريعات كثيرة، وما يهمنا هو التكرار المفيد الذي يرتبط بحاجة المبلغ في إيصال ما يريده من معنى إلى المتلقي.

فبأسلوب التكرار المفيد كان الصحابة يستوعبون الحديث ويحفظونه، وتثبت ألفاظه ومعانيه في العقل، ومما ورد في هذا المجال:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ"[2].

نلاحظ تكرار جملة (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ)

ولا يأتي التكرار إلا لغاية حجاجية، وقد ذكر التكرار في هذا الخطاب أمام ثلاث قضايا أساسية تكون أخلاقيات المجتمع:

. القضية الأولى ←——— الإحسان إلى الجار.

. القضية الثانية ←——— إكرام الضيف.

. القضية الثالثة ←——— الكلام الطيب.

فتكرار الجملة السابقة دلَّت على أهمية تلك القضايا جميعا، وقد استخدمه الرسول . صلى الله عليه وسلم . لأن المقام يتطلب ذلك، ويحتاج إلى توكيدها لدى المتلقين لترسخ في أذهانهم.

والتكرار هنا فيه حثّ على الأعمال، ونرى كيف صُدّر هذا الخطاب بالشرط، ليأتي الجواب بعد ذلك، ويشمل القواعد الأساسية التي يريد أن يحث الناس عليها، فكانت القضية الأولى والثانية متعلقتين بحقوق الناس؛ الجار والضيف، فتحريم أذى الجار سواء بالقول أم بالعمل، كذلك إكرام الضيف والإحسان إليه بكل ما نملك؛ ماديا ومعنويا، ثم

---

[1] . ابن أبي الأصبع المصري، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق: حفني محمد الشريف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية الجمهورية العربية المتحدة ط1، 1963م، ص 375.

[2] . البخاري، كتاب الأدب، باب: إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه، رقم:5785، ج5، ص 2273.

تأتي القضية الثالثة وتتعلق بخلق المسلم، وهو كل ما يتلفظ به حيث يشمل ما ينطق به اللسان، وما يتعدى نفعه إلى الغير ومما يقتصر نفعه على صاحبه.

ونستنتج من ذلك أن نفي الإيمان هنا لا يراد منه النفي الحقيقي، وإنما نفي الاتصاف بالمؤمنين، لأنه خالف الحق.

والتكرار حجة معتمدة للتأكيد، ومن مقاصدها التأثير والإقناع، وهذا ما حققه هذا الخطاب التربوي، فالمبلغ اتخذه وسيلة تربوية لإبلاغ مقاصد مهمة وضرورية في حياة المتلقين، "ولم يكن التكرار في الحديث النبوي ناجما عن فقر لغوي، ولا عن عجز في التعبير، وإنما كان مقصودا متعمدا جاء ليحمل جزءا من المعنى المراد، وكان وسيلة من وسائل الدعوة وطريقة من طرائقها، يستعمله النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا وجد ضرورة لذلك"[1]، وقد لاحظنا أن القضايا السابقة من الأمور الأساسية في حياة الناس، لذلك كرَّرها المبلغ لترسخ في الأذهان.

ب ـ الوسائل المنطقية: وهي تلك البيانات أو الحقائق أو الأسباب التي تستند إليها النتيجة وتفضي إليها، من أهم عناصرها القياس المنطقي، الذي يعد بنية أساسية في الحجاج، ووظيفته الانتقال مما هو مسلم به عند المخاطب(المقدمات) إلى ما هو مشكل (النتيجة)، ولا بد له من مقدمتين: الأولى يجب أن تحوي معنى كليا ثم مقدمة وسطى ثم تأتي النتيجة، وما ثبت للكل فقد ثبت لكل واحد من جزئياته، والقياس المنطقي وليد التفكير الاستنباطي، قائم على نظرية البرهان، تستهدف التوصل لاستنتاج ما أو معرفة جديدة، وينتقل فيه من الكلي إلى الجزئي، وقد نمثل لهذا الجانب ما جاء في الحديث الآتي:

عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْبِتْعِ، فَقَالَ: "كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ فَهُوَ حَرَامٌ"[2].

فإذا عرضنا هذا الخطاب على القياس المنطقي فنحدد فرضياته كالآتي:

المقدمة الأولى ←——— كل شراب مسكر فهو حرام.

---

[1] . أميمة بدر الدين، التكرار في الحديث النبوي الشريف، ص 100.

[2] . البخاري، كتاب الأشربة، باب: بَابُ الْخَمْرُ مِنَ الْعَسَلِ وَهُوَ الْبِتْعُ، رقم: 5263،ج5، ص 2121.

المقدمة الثانية ⟵ البتع* شراب مسكر.

النتيجة ⟵ البتع حرام.

فكانت وظيفة القياس في هذا الخطاب الحجاجي هو الانتقال من المقدمات إلى النتيجة، لأن الناس كانوا يسألون الرسول . صلى الله عليه وسلم . عن أشربة يصنعونها من ثمار مختلفة، فأراد أن يبيّن لهم بالكلمة الجامعة، وهي القضية الكلية والقاعدة العامة في ذلك وهي: (كل شراب مسكر فهو حرام).

ونستنتج من هذه الوسيلة المنطقية الإقناعية، أنه إقناع تداولي يؤول إلى:

. تفعيل قدرة المتلقي على اتخاذ القرارات بصورة أفضل.

. تجعل تفكيره أكثر فاعلية في حل المشكلات التي تواجهه في حياته اليومية.

. تعد مهارة من مهارات التعلم والتعليم.

كذلك نجد أن النتيجة في الوسيلة المنطقية لا تخرج عن حدود المعلومات المعطاة ولكي يتم التوصل إليها لا بدَّ من إمعان النظر.

ونأتي إلى ذكر قاعدة مهمة من قواعد الحجاج أُدرجت ضمن عنوان: (الممارسة الحية)، "لطه عبد الرحمن" يقول:

" لا تقبل القول حتى تظفر بحكمته، فتزداد به عقلا"، ومنه يذكر قاعدة فرعية: الإنهاض إلى العمل، ...فعلى المتلقي " أن لا يقف عند حدود العمل بما أدركه فحسب بل يطلب أن يعمل به على الوجه الأكمل، فتنبعث فيه داعية طلب الاقتداء بمن هو أحكم للعمل منه؛ وإذا كان الأمر كذلك، فلا محالة أنه محصل على أحسن تصحيح لما يعلم وعلى تحصيل لما لم يعلم، وأية زيادة في العقل أعظم من هذه"[1].

وبهذا يكون المبلّغ قد حقق الغاية من توظيفه لهذه الوسيلة الإقناعية، كما يتحقق الهدف الذي سعى من أجله وهو إقناع المتلقي بالقضية.

* - البتع (نبيذ العسل) عسل نبذ فيه ماء أي ألقي، فإذا ترك حتى أصبح مسكرا صار خمرا، عن صحيح البخاري، ج5، ص 2122.

[1] . طه عبد ارحمن، اللسان والميزان، ص 269.

5 . الأفعال الكلامية: Les actes de langage

نشأت نظرية أفعال الكلام في ظل فلسفة اللغة على يد مجموعة من الفلاسفة، هم: (جون أوستين J.L.Austin، وجون سيرل J.R.Searle، وبول غرايس H.P.Grice) ينتمون إلى مدرسة (فلسفة اللغة)، كانوا مهتمين بالطريقة التي تعبر فيها اللغة الإنسانية الطبيعية عن المعاني، كطريقة لفهم طبيعة الفكر والمنطق والتخاطب، وأطلق عليهم (فلاسفة التخاطب).

وتكمن أهمية هذه النظرية في كونها غيرت النظرة التقليدية للكلام، ونظرت إلى اللغة في بعدها الاستعمالي باعتبارها قوة فاعلة في الواقع ومؤثرة فيه، "وأن استعمال اللغة ليس هو إنجاز فعل مخصوص فقط، وإنما هو جزء كامل من التفاعل الاجتماعي"[1].

وتحقق أفعال الكلام أغراضا إنجازية تبليغية من لدن المتكلمين، وغايات تأثيرية تخص ردود أفعال المتلقين، وقد عدَّ الفعل الكلامي الوحدة اللغوية الصغرى للتبليغ وليست العلامة أو الجملة، "ولقد أتاحت تداولية أفعال الكلام لتحليل الخطاب منهجية لسانية جديدة، من حيث إنها نظرت إلى الكلام الأدبي، وغير الأدبي بوصفه فعلا لغويا... يدل عليه قصد المتكلم، ومن حيث إنها برهنت على إدراك المعاني الحقيقية للمنطوقات اللغوية إنما يتحقق في سياقات الاتصال الفعلية"[2].

ولذلك فإن وظيفة اللغة الأساسية ليست تبليغ المعلومات والتعبير عن الأفكار، وإنما تحليل الأقوال الصادرة عن المتكلّمين، وذلك في إطار التفاعل الاجتماعي، "وتقوم هذه النظرية على النظر إلى اللغة على أنها أداء أعمال مختلفة في آن واحد، وما القول إلا واحد منها، فعندما يتحدث المتكلم فإنه في الواقع يخبر عن شيء، أو يصرح تصريحا ما، أو يأمر، أو يلتمس، أو يعد، أو يشكر،..."[3]

والفعل الكلامي أداة إجرائية فعالة، وتتميز عن الأفعال الخبرية:

---

[1] . فان ديك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2000م، ص 227.

[2] . محمد العبد، تعديل القوة الإنجازية، دراسة في التحليل التداولي للخطاب، كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة، حافظ إسماعيل علوي، ص 307.

[3] . محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت،ط1، 2004م، ص 34.

. إنها لا تقيم بمصطلحي الصدق والكذب..

. لا تعزى لنشاط القول، ولكن للفعل (إنها تنجز فعلا).

. إنجاز هذا الفعل هو وظيفة عملية التلفظ

ومما سبق نرى أن هذه النظرية ترتكز على القوة الإنجازية في أداء أفعال الحديث فبمجرَّد التلفظ بالقول ننجز فعلا، وينسحب هذا على كل خطاب، ومما لا شك فيه أن الخطاب التربوي في صحيح البخاري سيمكِّننا من تتبع الأثر التداولي لهذه النظرية وسيكون مجالا خصبا لتطبيق أفعالها وفق القوة الإنجازية، والخطاب النبوي مادة لغوية معتبرة لتطبيق الفعل الكلامي، وعسانا أن نستجلي بعض الأفعال الدالة على قوتها من منظور تداولي، ونسلط الضوء على الجانب العملي الذي يهدف إلى بناء الفرد من خلال كفاءاته المختلفة؛ الأخلاقية، والمهارية، والفكرية، والنفس . الوجدانية والقيادية، والسلوكية، وهكذا...، ولنتأمل هذه الأفعال بدءا بـ:

5 . 1 . الفعل التداولي الأخلاقي: لقد وردت أفعال عديدة في صحيح البخاري تدعو إلى الأخلاق الفاضلة التي تحفز الإنسان على البناء، منه:

"لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهْوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَهْوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ"[1].

فالفعل الإنجازي في هذا الخطاب مرتكز على النفي "لا حسد"، "فالنفي في الحديث نفي انبغاء، وليس نفي وقوع، فهو واقع في عالمنا كثيرا في غير الاثنتين، فالمعنى: لا ينبغي ولا يشرع ولا يحمد الحسد إلا في اثنتين...، والمراد لا غبطة مشروعة إلا في اثنتين"[2].

ونرى قوة الفعل الإنجازي في هذا الخطاب تتحدد في قيمته الأخلاقية، فقوله:

"لا حسد إلا في اثنتين" ⟵ تحددت أولويات التنافس الإيجابي، فالمتلقي له مجالان للتنافس؛ كسب العلم، وكسب المال، فهما قوام الحياة البشرية.

ويتحقق الفعل التداولي الأخلاقي إذا صرفت الأفكار والجهود والطاقات في هذين

---

[1] . البخاري، كتاب التوحيد، باب: بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهْوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَرَجُلٌ يَقُولُ لَوْ أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ هَذَا فَعَلْتُ كَمَا يَفْعَلُ". رقم: 7090، ج6، ص 2737.

[2] . موسى شاهين لاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، دار الشروق، القاهرة، ط1، (دت)، ج3، ص 628.

المجالين المتمثلان في أداء الخيرات والطاعات والأعمال الصالحات؛

"رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهْوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ" ـــــ يتلوه: يعمل به.

فهو منشغل بقراءته، وبحفظه، وبتعليمه.

"وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَهْوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَار" ـــــ يتصدق منه في كل وقت، وينفق ماله في سبيل الخيرات.

فالأعمال التداولية للفعل الإنجازي:

. قراءة القرآن وتدبره.

. العمل به.

. تعلمه وحفظه، وتفسيره وتدريسه.

. إنفاق المال في سبيل الله.

. جواز الغبطة ومشروعيتها في أعمال الخير.

كذلك من الكفاءات الأخلاقية في الفعل التداولي والتي تحفز على البناء وتحقق التوازن في حياة الفرد، قوله . صلى الله عليه وسلم .:

"مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ لاَ أَدَّخِرْهُ عَنْكُمْ، وَإِنَّهُ مَنْ يَسْتَعِفَّ يُعِفُّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَلَنْ تُعْطَوْا عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ"[1].

إذا نظرنا إلى الأفعال الإنجازية الواردة في هذا الخطاب نقف عند قدرتها في الإبلاغ، ويعود ذلك إلى قوتها المتمثلة في حض على القناعة، وحث على الاستعفاف ودعوة إلى التجمل بالصبر، "قال القرطبي: معنى قوله: (من يستعف) أي يمتنع عن السؤال، وقوله: (يعفّه الله) أي أنه يجازيه على استعفافه بصيانة وجهه ودفع فاقته وقوله: (من يستغن) أي بالله عمن سواه، وقوله: يغنه الله" أي فإنه يعطيه ما يستغني به عن السؤال ويخلق في قلبه الغنى عن النفس...، (ومن يتصبر) أي يعالج نفسه على ترك السؤال، ويصبر إلى أن يحصل له الرزق، وقوله: (يصبره الله) أي فإنه يقويه ويمكنه من نفسه حتى تنقاد له، ويذعن لتحمل الشدة، فعند ذلك يكون الله معه فيظفره بمطلوبه"[2].

[1] . البخاري، كتاب الرقاق، باب: الصَّبْرِ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، رقم: 6105،ج5، ص 2375.

[2] . ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج11، ص 311.

ونرى أن الجمل الإنجازية وردت في أسلوب شرط، وهو من الأساليب غير المباشرة التي وظَّفها المبلغ لتوجيه المتلقين، فيرسل خطابه إلى عامة الناس، لم يقصد أحدا معينا، وهذا من خصائص الأسلوب التربوي في صحيح البخاري، فالشرط:

"من يسعف يعفّه الله":

إن طلب الفعل ⟵ العفّة ⟵ النتيجة ⟵ (الفعل) ⟵ يعفه الله.

ونجد أن الفعل التداولي الأخلاقي له حمولات دلالية مطلوبة:

. للخطاب خصلتان متلازمتان؛ الاستعفاف عما في أيدي الناس، والاستغناء بما عند الله.

. فيه دلالة على عظم الصبر، ولها علاقة بما سبق.

. الصبر أعلى المقامات، لأنه جامع لمكارم الصفات.

. "وفي الحديث؛ الحضّ على الاستغناء عن الناس والتعفّف عن سؤالهم بالصبر والتوكّل عل الله، وانتظار ما يرزقه الله، وأن الصبر أفضل ما يُعطاه المرء لكون الجزاء عليه غير مقدر ولا محدود"[1].

. إن فاعلية الإنجاز تحقق الأهداف الأخلاقية المرجوة، وتتحصل على أكبر قدر من النتائج عندما تستقي قوتها من هذا الخطاب التربوي.

5 . 2 . الفعل التداولي العملي: نستشعر من كل خطاب تربوي إرادة المبلغ في بعث روح المسؤولية لدى المرء ليحفزه على اكتساب مهارات فردية تمكنه من بناء ذاته والابتعاد عن الإمعيَّة والاتكاليَّة، ومما يدل على هذا المعنى الحديث الآتي:

"الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، فَالْيَدُ الْعُلْيَا هِيَ الْمُنْفِقَةُ، وَالسُّفْلَى هِيَ السَّائِلَةُ"[2].

يرمي هذا الخطاب إلى الحث على إنجاز الأعمال التي تحقق الاستقلالية، وتحارب التبعية:

اليد العليا ⟵ أن تعمل، وتنجز، وتنفق، وتساعد الآخرين ⟵ مستقل بذاتك.

اليد السفلى ⟵ أن تأخذ، ولا تنجز، وعاجز عن العطاء، ومتواكل ⟵ تابع.

"فَالْيَدُ الْعُلْيَا هِيَ الْمُنْفِقَةُ، وَالسُّفْلَى هِيَ السَّائِلَةُ"، فالعليا ⟵ دلالة على الرفعة.

والسفلى ⟵ دلالة على التبعية، والانكسار.

---

[1] . المصدر نفسه، ص 311.

[2] . البخاري، كتاب الزكاة، باب: لاَ صَدَقَةَ إِلاَّ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، رقم: 1303، ج2، ص 519.

وعليه تتضح صورة الفعل العملي؛ حيث يحض المبلغ المتلقي أن يعمل ليصل إلى الدرجة العليا، ففيها كل خير ينفع الفرد وجماعته، كما يبرز من جهة أخرى فضل العمل باليد والتكسب ليثبت نجاعته، فيقول:

"مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ- عَلَيْهِ السَّلاَمُ- كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ"[1].

فالعمل باليد من درجات التكسب الفعالة، حيث يحس العامل بإيجابية ما يفعله، وقد طبَّق المبلغ هذه التوجيهات القولية بالتوجيه العملي، حيث درب من جاء يسأله على السعي لكسب الرزق بعمله.

ويوصلنا هذا إلى وجوب معرفة مضمون القول عمليا وليس نظريا، فالتوجيه بالعمل أجدى من التوجيه بالقول وحده، وعلى هذا المنوال يربَّى الفرد ليكون عمليا في بناء ذاته، فالحرص على إنجاز الأعمال واكتساب المهارات المختلفة، والحث على إتقان الواجبات، والاستزادة من التعلم، يحقق التوفيق في أداء المسؤولية.

وعليه فإن:

الفعل التداولي ⟵ أن ينجز العمل ⟵ العمل باليد.

النتيجة ⟵ فيه خير كثير، وله الأفضلية ⟵ يحقق توازنه.

تقوية الفعل ⟵ مقارنته بنبي الله داود . عليه السلام . كان يتكسب من عمل يده لما فيها من خير كثير.

ونجد أن الفعل الإنجازي قد تضمن محتوى قضويا، أي قضية عبر عنها ذلك الفعل فكان الخطاب موجها إلى ضمير الغائب (ما أكل أحد طعام قط)، وهذا يفيد العموم فيعطي الفعل قوة إنجازية مما يجعل المتلقين يقبلون على إنجاز العمل، كما يلاحظ ورود الفعل الثاني في صيغة المضارع (أن يأكل من عمل يده)، فدلّ على التجدّد ومواصلة الفعل، حيث يحفز المتلقي على مداومة العمل، وبذل الجهد في تحصيل الرزق الحلال.

ونلاحظ أن الفعل الكلامي هو فعل عملي اجتماعي، لوجود صلة وثيقة بينه وبين المبلغ في إطار الحياة الاجتماعية.

---

[1] . البخاري، كتاب البيوع، باب: كَسْبِ الرَّجُلِ وَعَمَلِهِ بِيَدِهِ، رقم:1966، ج2، ص 730.

5 . 3 . الفعل التداولي النفس . وجداني: يعالج الخطاب التربوي في صحيح البخاري جانبا من حياة الفرد تتعلق بكفاءاته النفسية الوجدانية، وقد أولى المبلغ اهتماما بالغا بهذا الجانب، لما له من دور فعال في بناء شخصية الفرد، وفق معايير ضرورية كفيلة بتحقيق أجود النتائج، مثل الإيجابية، والتفاؤل، وحب الخير، وضبط النفس، كما تجدر الإشارة إلى أن أداء الأعمال والتكاليف الحياتية، تتطلب قوة التحمل وشدة الصبر، ويحثُّ الرسول . صلى الله عليه وسلم . أتباعه على ضبط النفس، والمداومة على الطاعات وعدم الملل لنيل أعظم الأجر، يقول:

"سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْلَمُوا أَنْ لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، وَأَنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ أَدْوَمُهَا إِلَى اللَّهِ، وَإِنْ قَلَّ"[1].

فالفعل الإنجازي ⟵ سددوا وقاربوا ⟵ القصد والتوسط في العمل.

فالقضية الأولى ⟵ التوسط في أداء الأعمال دون إفراط ولا تفريط.

القضية الثانية ⟵ الدوام على العمل القليل أفضل.

النتيجة ⟵ تتحقق المقاصد بالعمل القليل الدائم.

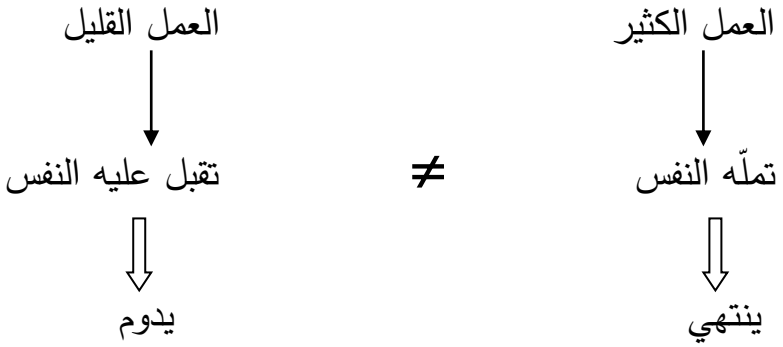

فيؤول هذا إلى أن المتلقي إذا قام بعمل قليل، وداوم عليه يريحه نفسيا، وهنا تتحقق الغاية من الفعل التداولي، أما إذا كلف نفسه بأعمال فوق طاقته النفسية، ثم تخلَّى عنها يصاب بنكسة، واضطراب نفسي يضعفه ويسبب له الانكسار.

[1] . البخاري، كتاب الرقاق، باب: القصد والمداومة على العمل، رقم: 6099، ج5، ص 2373.

فالفعل التداولي النفسي ←—— أن يعمل المتلقي عملا يطيقه فيداوم عليه، فيحصل له الأجر، ويحس براحة نفسية، تدفعه إلى أن يكون فردا فعالا ومنتجا.

فالعمل القليل الدائم مثمر، والعمل الكثير منقطع.

فنرى أن الخطاب التربوي في صحيح البخاري، يحثُّ على إنجاز الأعمال التي تحدث تغييرا إيجابيا في شخصية المتلقي، كما تحث على التفاؤل وتنهى عن التشاؤم والسلبية، يقول . صلى الله عليه وسلم .:

"لاَ طِيَرَةَ، وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ". قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ"[1].

لا طيرة ←—— لا تشاؤم.

قال النووي: "والتطيُّر التشاؤم، وأصله الشيء المكروه من قول أو فعل أو مرئي... فكانت تصدهم في كثير من الأوقات عن مصالحهم، فنفى الشرع ذلك وأبطله ونهى عنه، وأخبر أنه ليس له تأثير بنفع ولا ضر".[2]

إذا نظرنا إلى غرض التطير، نجده مثبِّطا عن العمل، ولا يتحقق الفعل التداولي حيث تتأخر الكثير من الأعمال، وتؤثر على الأفراد والجماعات، وتتعطل المصالح وهذه نظرة سلبية حاربها الرسول . صلى الله عليه وسلم . ودعا إلى إبطالها وتعويضها بالفأل.

الفأل ←—— أن يسمع المتلقي الكلمة الطيبة فتسرُّه، وتحثه على العمل الصالح.

فالفأل مستحبّ لما فيه من البشارة الملائمة للنفس.

والكلمة الطيبة ←—— تفتح القلب، وتكون سببا لخيرات كثيرة.

فالفعل التداولي الإنجازي الذي الوارد في هذا الخطاب التربوي، يتمثل في حثِّ المتلقي على نبذ كل ما يثنيه عن الإيجابية، وأن يكون فاعلا في جماعته، مترفعا عن التطير والتشاؤم، فالفأل حافز للهمم على تحقيق المراد.

فالتشاؤم فيه عجز واندحار، أما التفاؤل فيه أمل وبشارة، وفيه طاقة إيجابية تدفع صاحبها للإقبال على إنجاز الأعمال، ومزاولة الأمور دون تردد، أو استسلام أو تراجع ويحض المبلغ المتلقين على ذكر الأدعية المعينة على ذلك بقوله:

---

[1] . البخاري، كتاب الطب، باب الفأل، رقم:5423، ج5، ص 2171.

[2] . النووي، شرح صحيح مسلم، ج14، ص470.

"اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ"[1].

فالذكر أيضا محفِّز على العمل، ولعلَّ الإنسان الذاكر أكثر اجتهادا، ونشاطا، يحاول أن يدفع عن نفسه كل منغصَّات الحياة، التي تؤثر في النفس، والعقل والقلب والجسد.

فالهمُّ والحزن ⟵ فيهما شدَّة الضرر على البدن، وتشويش على الفكر والعقل وانشغال الفؤاد عن الطاعات والواجبات.

والعجز والكسل ⟵ فهما قرينان، يثبطان المرء عن عمل الخير، فإن كان لعدم قدرته فهو العجز، وإن كان لعدم إرادته فهو الكسل.

والجبن والبخل ⟵ فإن لم يكن نفعا بالبدن فهو جبن، وإن لم يكن بالمال فهو بخل.

وضَلَع الدين ⟵ ثقله وشدته، الذي يميل بصاحبه عن الاستواء.

وغلبة الرجال ⟵ شدة تسلطهم وقهرهم بغير حق[2].

فهذه الأمور كلها تؤدي إلى وهن النفس وضعفها، لذلك أمر المبلغ أن يتعوذ منها وإذا فعل ذلك تيقن أن في نفسه طاقة، هو قادر على استثمارها في الخير ومنه يتحقق الفعل التداولي، حيث يقدم المتلقي على إنجاز أعمال تسهم في بناء شخصيته، وبذلك يكتسب الفعالية التي تساعده على نفع الآخرين، وتدعم نزعة الخير في داخله فيبذل كل ما لديه في سبيل التكافل مع غيره، لقوله . صلى الله عليه وسلم .: "لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"[3].

فالنفي في قوله (لا يؤمن) هو نفي نقص؛ أي لا يكتمل إيمان أحدكم حتى يكون فردا إيجابيا نافعا لغيره، لا أنانيا يحب نفسه ويفضلها على الآخرين.

هنا دعوة للإيجابية ونبذ السلبية، ليتحقق التكامل، ويعم الخير، وتبنى المجتمعات على أساس صلب قوامه هذه الأعمال النافعة المنجزة من قبل أفراد فاعلين.

5 . 4 . الفعل التداولي القيادي: يرمي الفعل التداولي القيادي إلى كسب المتلقي كفاءة قيادة تمكنه من إنجاز أعمال تقود إلى الخير والإحسان، وقد حرص المبلغ على تزكية هذا

---

[1] . البخاري، كتاب الدعوات، بَابُ الِاسْتِعَاذَةِ مِنَ الْجُبْنِ وَالْكَسَلِ، رقم: 6008، ج5، ص 2342.

[2] . انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج11، ص 207.

[3] . البخاري، كتاب الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم: 13، ج1، ص 14.

الجانب وتحفيز المتلقي على التسلح بالفعل القيادي في كل أموره، يقول . عليه الصلاة والسلام .:

"لَغَدْوَةٌ* فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ، خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا"[1].

والمعنى: استغلال معظم الوقت في سبيل الله، لما فيه من ثواب كثير، فيغني صاحبه عن كل مغريات الدنيا ونعيمها.

فيوضح لنا هذا الخطاب التربوي، أن الفعل التداولي القيادي لا يتأتى إلا للمجدّ والحريص على إنجاز الأعمال في كل وقت، مستغلا صحته وقدرته ووقته لفعل الخيرات، لأن ما يكسبه في الدنيا لا يساوي ذرة من نعيم الآخرة، وقد أشار الرسول . صلى الله عليه وسلم . إلى أصحاب الهمم الذين يمتلكون الكفاءات القيادية التي تؤهلهم إلى عمل الخير، والذين يتَّصفون بالإيجابية في كل أفعالهم، حيث ذكر:

"عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْجُمُعَةِ:" وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ". قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَلَمْ يُرَاجِعْهُ حَتَّى سَأَلَ ثَلَاثًا، وَفِينَا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ، وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ، ثُمَّ قَالَ: " لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا، لَنَالَهُ رِجَالٌ، أَوْ رَجُلٌ، مِنْ هَؤُلَاءِ"[2].

إذا تأملنا الفعل التداولي " لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا، لَنَالَهُ رِجَالٌ، أَوْ رَجُلٌ، مِنْ هَؤُلَاءِ" نجد فيه تحفيزا على روح المبادرة لكسب الخبرات والمهارات المؤهلة إلى قيادة تربوية هدفها نشر الخير والفضيلة في المجتمعات، وقد يدرك المتلقي أن هذا الخطاب

موجه إلى كافَّة الناس وإن كان ظاهره موجَّها إلى أحد الصحابة، وهذا ما ترمي إليه أفعال الكلام في اللسانيات التداولية، استنادا إلى الفعل الإنجازي الذي يؤثر في المخاطَب، فينجز العمل المنوط به، والمتمثل في السعي إلى أن يكون فاعلا إيجابيا في جماعته وأمته.

* . الغدوة: زمن ما بين طلوع الشمس إلى الزوال، الروحة: زمن ما بين الزوال إلى الليل،(البخاري، ص1029)

[1] . البخاري، كتاب الجهاد، باب: الغدوة والروحة في سبيل الله، رقم: 2639، ج3، ص 1029.

[2] . البخاري، كتاب التفسير، سورة الجمعة، باب: قوله: "وآخرون منهم لمّا يلحقوا بهم"، رقم: 4615، ج4، ص 1858.

ومن هنا فإن الأغراض الإنجازية مؤشر من مؤشرات القوة في الفعل التداولي القيادي، وتجسد ذلك في ذكره للفظ (الثريا) فهذا مؤشر لتحفيز الهمم إلى العلو، والسعي إلى التطلّع لبلوغ القمم، سواء في الحياة الدنيا أم ما ينتظره في الآخرة، يقول:

"إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّه، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهَا أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ . أُرَاهُ . فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ"[1].

يتجسد الفعل القيادي في بيان درجات العاملين، حيث يبشرهم الرسول . صلى الله عليه وسلم . بدخولهم الجنة حسب أعمالهم، ودلالة الغرض الإنجازي في البشارة وهذا دافع قوي، يجعل المتلقي يحرص على إنجاز الأعمال المكلف بها، وتلزم الكفاءة القيادية صاحبها أن يكسب خبرات نافعة، ليتواصل بها مع الآخر، وهذا ما يربط المسلم بغيره بشكل منهجي، كما يجازى على الجهود المبذولة في هذا الشأن، وقد رأينا كيف انطلق الصحابة في تأسيس دولة حضارية فاعلة، وهي إحدى ثمرات التربية النبوية الصحيحة.

وتجدر الإشارة إلى أن الفعل التداولي القيادي لا يتحقّق، إلا إذا ارتكز على غرض يتَّسم بالقوة، التي تؤول إلى فعل إنجازي، وقد رأينا في الخطابات السابقة أن الفعل الكلامي أداة إجرائية فعالة في تحفيز المتلقي على إنجاز الأفعال المتضمنة الخير والإحسان بالدرجة الأولى، لأن في تحقيقها ينال صاحبها منفعة دائمة.

5 . 5 . الفعل التداولي السلوكي: تعد الكفاءة السلوكية ضرورية لإنجاز الأفعال فالقيم السلوكية تحفظ الهوية الفاعلية للفرد، فهي توفر الجهد وتحفظ الطاقات.

فالسلوك هو المعبِّر عن المرء؛ من قول أو فعل أو شعور، وقد سعى الخطاب التربوي إلى تهذيب هذا الجانب بالشكل الذي يحفظ إنسانية الإنسان ويرفعها إلى أعلى المستويات الممكنة من دون أي خلل في علاقتها بخالقها أو بغيرها من الأفراد.

ومن هنا حرص المبلِّغ على توجيه سلوك المتلقي على امتلاك النفس، كما ورد في الحديث:

[1] . البخاري، كتاب الجهاد، باب: درجات المجاهدين في سبيل الله، رقم: 2637، ج3، ص 1028.

"عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ"[1].

هذا الخطاب فيه دعوة إلى القوَّة الحقيقية للفرد، وهي التحكُّم في النفس، وعدم الغضب، وإذا تجنَّب المتلقي هذا السلوك، استطاع أن ينجز أعماله، ويؤدي واجباته بكل أريحيَّة، ويحفِّز هذا الفعل على القيام بأمور كثيرة منها:

. قهر أعدى الأعداء وهي النفس.

. القوي حقيقة هو الذي يتحكَّم في نفسه.

. الذي ينفِّذ غضبه يندم بعد ذلك.

. كلما كبت ثوران غضبه، نال الثواب والأجر العظيم.

. ينبغي توطين النفس على الصبر والتحمل.

. الغضب مفتاح الشرور، يجمع الشر كله؛ يفقد الإنسان صوابه، ويسلبه عقله، ويدفعه إلى القيام بتصرفات طائشة بعيدة عن الحكمة.

. يولد الحقد في القلوب، وإضمار السوء، فتفسد الحياة وتنهار المجتمعات.

. له تأثيرات سيئة على الجانب الفكري إذ إن الانفعال الشديد يعطل التفكير، ويؤدي إلى فقدان أهم وظائفه وهي الاتزان العقلي.

وحقيق بنا أن نفتخر بالمعلم الأول، والمربي الأعظم للأمة، الذي كان يرشد التاهين في خضم الحياة، ويعيدهم إلى طريق الهداية، الذي فيه الخلاص والنجاة من مغبَّة الضَّلال، وأجمل نصيحة تقدّم لبني البشر، في زمن الضياع: (لاتغضب)...

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْصِنِي قَالَ: "لاَ تَغْضَبْ". فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: "لاَ تَغْضَبْ"[2].

ولو ينجز المتلقي هذا الفعل، يجنب سلوكه مضار كثيرة، لها آثار سلبية على الحياة الفردية، والاجتماعية، والجسدية، والفكرية كما ذكرنا آنفا.

[1] . البخاري، كتاب الأدب، باب: الحذر من الغضب، رقم: 5763، ج5، ص 2267.

[2] . البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، رقم الحديث 5765، ج5، ص 2267.

وقد حرص . عليه السلام . في خطاباته التربوية للمتلقين، على تكوين فرد قادر على الاعتماد على نفسه، وتربيته تربية استقلالية، فهو في عمل دائب لتقديم ما يصلح أمر الناس وأحوالهم.

"وبالرغم من اختلاف العلماء والمربين في تحديد أغرض وأهداف التربية تبعا لاختلاف اهتماماتهم وتخصصهم، فإنه يمكن لنا أن نذكر أن الأغراض الرئيسة التي لم يقع عليها خلاف ثلاثة أغراض: كسب العلم، وترقية الأخلاق، وكسب الرزق"[1].

فحياة الفرد مبنية على هذه الأسس الثلاثة، لذلك سارعت الخطابات التربوية لوضع قواعد راسخة وفق المسارات الصحيحة لها، وحددت قوانين تضبط نجاحها وترقيتها، وإن كان الخلق القويم هو دعامة حياة الأفراد، ومن دونه لا يستقيم شيء لقوله . صلى الله عليه وسلم .: "إِنَّ مِنْ أَخْيَرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ خُلُقًا".[2]

ولتقييم سلوك المتلقي لا بدَّ من توجيهه إلى التربية المثلى التي دعا إليها الرسول . صلى الله عليه وسلم . في خطاباته الكثيرة، وقد دلت أفعال المنجزين لها على إيجابيتها، وأثبتت التجارب قيمها الثابتة، فهي أخلاق متكاملة، تجمع كل الفضائل والأعمال الجادة لصالح الفرد والمجتمع، وتداولها بين الناس، جعل المتلقي يشعر بأنه إنسان قوي الإرادة.

ومما سبق نلاحظ أن الفعل الكلامي في الخطاب التربوي عالج الجانب الوظيفي حيث "تنطلق اللسانيات التداولية من مبدأ هام؛ هو أنها لسانيات كلام (تركز على الجانب الاتصالي والوظيفي)"[3].

وقد أدى الفعل الكلامي وظيفته التداولية في الخطابات التربوية السابقة، وأثبتت نجاعتها، ونجاحها، وكلما داوم المتلقي على تطبيقها في أعماله، كانت النتائج موفَّقة.

ومما لا شك فيه أن غرض المبلِّغ هو حمل المخاطب على القيام بفعل معين، ورأينا أن الكثير من الأقوال في الخطاب التربوي قد أنجزت أفعالا، وكان لها الأثر في المتلقين، فأسهمت في تعديل سلوكهم، وزوَّدتهم بطاقات إيجابية فعَّالة.

---

[1] . أحمد الخشاب، الاجتماع التربوي والإرشاد الاجتماعي، مكتبة القاهرة الحديثة، ط1، 1971م، ص 18.

[2] . البخاري، كتاب الأدب، باب: لم يكن لنبي . صلى الله عليه وسلم . فاحشا ولا متفحشا، رقم: 5682، ج5، ص 2243.

[3] . خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 236.

وخلاصة الفصل أن المتتبع للأثر التداولي في الخطاب التربوي يرى تحقّقه في جوانب عدة من الخطاب، بدءا بالمعينات، ثم متضمنات القول، ثم الحجاج، فأفعال الكلام، "لذلك يرى (ليتش) أن في المنهج التداولي حلا لبعض المشكلات، من وجهة نظر كل من المرسل والمرسل إليه، فالمرسل يبحث عن أفضل طريقة لينتج خطابا يؤثر به في المرسل إليه، كما أن المرسل إليه يبحث عن أفضل كيفية للوصول إلى مقاصد المرسل كما يريدها عند إنتاج خطابه لحظة التلفظ"[1].

وعليه يمكن الاستفادة من اللسانيات التداولية لتبليغ المقاصد التربوية للمتلقين، خاصة في المدرسة أثناء العملية التعليمية.

[1] . عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 24.

الفصل الرابع

خصائص لغة الخطاب التربوي في صحيح البخاري

خصائص لغة الخطاب التربوي في صحيح البخاري

. خصائص لغة الخطاب التربوي:

1 . انتقاء المفردة اللغوية

2 . مراعاة أحوال المتعلمين

3 . مراعاة الجانب السلوكي للمتعلمين

لغة الخطاب التربوي في صحيح البخاري:

اللغة هي المقصد الذي ينجذب إليه الإنسان ليبلور وعيه وأفكاره، وبها يمدُّ جسره التواصلي مع الآخر، كما لا يمكن الحديث عن فكر دون لغة تمنحه مسوغات الوجود ودلائل الحضور، حيث إن كل عمل ينجزه الإنسان، قائم على رغبة كبيرة للإقناع عن طريق بسط المفاهيم، وكل نشاط لا يمكن الإسهام به إلا من خلال متلازمتي الفهم والإفهام بعيدا عن كل لبس لغوي، ولعل أصدق ما يمثل ذروة اللغة في هذا المجال، هو الخطاب التربوي في صحيح البخاري، ولا يفوته رفعة إلا كلام الله . عز وجل . وليس من العجيب أن يوليه العلماء منذ القديم أهمية بالغة، للكشف عن مكنوناته الجمالية في لفظه ومعناه وصوره وتراكيبه، "ولم يسمع الناس بكلام قطّ أعمّ نفعا، ولا أقصد لفظا، ولا أعدلَ وزنا، ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحوى، من كلامه . صلى الله عليه وسلم . كثيرا"[1].

وقد جاء منطقه على أتمّ ما يتفق مع طبيعة اللغة، ويتهيأ لها إتقان الأداء، فتميز خطابه بالفصاحة والبيان، فهو من أوتي جوامع الكلم، قال عليه الصلاة والسلام:

"بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ"[2]. وتعني أنها ألفاظ قليلة، حوت معاني كثيرة ؛ فترى الجملة النبوية كلماتها محدودة، ومع ذلك تتضمن الأحكام، والشرائع، والمواعظ والعبر والتوجيهات، والجامع من الكلام يتمثل في قلة اللفظ، وكثرة المعنى.

وهذه الصفة أكبر دليل على فصاحته، ففي ذلك مراعاة للمتعلم وإيصال المعلومة إليه دون إحساس بملل أو سآمة، "فعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ، كَرَاهَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا"[3].

فغرض الحديث: استحباب التخفيف على المتعلمين خشية الملل، " وكان يعظ الصحابة

---

[1] . الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط7، 1998م، ص 17، 18.

[2] . البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» :بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، رقم: 6845، ج6، ص 2654.

[3] . البخاري، كتاب العلم، باب: مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ وَالْعِلْمِ كَيْ لاَ يَنْفِرُوا، رقم:68، ج1، ص 38.

في أوقات معلومة، ولم يكن يستغرق الأوقات خوفا عليهم من الملل والضَّجر"[1].

كما يتَّسم الخطاب بالرفق واللين، "وفيه رفق النبي . صلى الله عليه وسلم . بأصحابه وحسن التوصل إلى تعليمهم وتفهيمهم، ليأخذوا عنه بنشاط لا عن ضجر ولا ملل، ويقتدي به في ذلك، فإن التعليم بالتدريج أخفّ مؤنة وأدعى إلى الثبات من أخذه بالكد والمغالبة"[2].

خصائص لغة الخطاب التربوي

اختصت لغة الخطاب التربوي بالوضوح والجزالة، وضوح لا تحجبه مفردات غريبة ولا أساليب معقدة، وكان عليه السلام يؤثر السهولة في التعبير حتى يكون كلامه مفهوما لدى المتلقين، لأن السمة الغالبة في الخطاب التبليغ، فهو بعيد عن التكلف والتصنع.

"فخطابه عليه السلام عال؛ لأن لغته تمتزج فيها صياغات وتتمخض عنها معان، توسع ساحة اللغة وفضاء الذهن، كما أنها لا تقف عند غاية التوصيل أو التخاطب أوالتفاهم في سياقه الآني الضيق والخاص، كأي لغة إنسانية أخرى؛ بل تتجاوزها إلى التحصيل المعرفي وجمع الخبرات والمهارات والمواقف الإنسانية؛ لتوجهها الوجهة الشرعية التي يرتضيها الإسلام؛ لتحقق وظيفتها السامية في تبليغ الرسالة السماوية الخالدة على اختلاف الأماكن ومر العصور"[3].

فجاء خطابه موجها إلى كافة شرائح المجتمع، فخاطب كل الأصناف، فكان "ذا أسلوب تربوي فذّ، يراعي حاجات الفرد المتعلم وطبيعته، ويأمر بمخاطبة الناس على قدر عقولهم، أي يراعي الفروق الفردية بينهم، كما يراعي مواهبهم واستعداداتهم وطبائعهم"[4].

وقد تميز الخطاب التربوي بعدد من السمات والملامح العامة التي تجعله الأنموذج الأسمى للتربية، وتجعله يفوق كل التطبيقات التربوية للفلسفات والمذاهب الفكرية البشرية ومن جهة أخرى نجد لغة الخطاب التربوي بصفة عامة تتميز ببلاغة لا تضاهيها أية لغة،

---

[1] . بدر الدين العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، ج2، ص 68.

[2] . ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج11، ص 232.

[3] . عريب محمد عيد، الخطاب النبوي خريطة البيان العربي، ص 80.

[4] . عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها البيت والأسرة والمجتمع، دار الفكر، دمشق،ط3، 2004م، ص 26.

وندرك كيف تم اختيار الوسائل التعبيرية الملائمة لحال المخاطب، وهنا تظهر قدرة المبلغ على انتقاء المادة التي تعبر بدقة عن المعنى المراد، ومن هذه السمات:

1 . انتقاء المفردة اللغوية: لقد وردت الألفاظ في الخطاب التربوي في صحيح البخاري منظمة أحسن تنظيم، قال الرافعي في وصف ألفاظ النبي . صلى الله عليه وسلم .: "مسدِّد اللفظ محكم الوضع جزل التركيب، متناسب الأجزاء في تأليف الكلمات، فخم الجملة واضح الصلة بين اللفظ ومعناه، واللفظ وضريبه في التأليف والنسق، ثم لا ترى فيه حرفا مضطربا؛ ولا لفظة مستدعاة لمعناها أو مستكرهة عليه؛ ولا كلمة غيرها أتم منها أداء للمعنى"[1].

وتضمن خطاب النبي . صلى الله عليه وسلم . اللغة العربية الفصيحة البليغة التي تتشربها القلوب قبل الآذان، وقد ارتقى التعبير في خطابه إلى منزلة لم يبلغها أديب في العربية، فجاءت المادة اللغوية المكونة للخطاب بلسان عربي فصيح لم تنحبس في بوتقة القواعد النحوية أو الصرفية أو الصوتية، كما تتعدد معانيها وتتكاثر أمام المبلغ حتى تكون كما قال الجاحظ: "المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي والمدني. وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج"[2].

وقد تضمن كلام النبي . صلى اله عليه وسلم . المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة، "إن أخص ما يميز الأسلوب النبوي الأصالة والإيجاز، فالأصالة خصوصية اللفظ وطرافة العبارة، تتجلى فيما كان ينهجه الرسول من المذاهب البيانية،...والإيجاز وهو تأدية المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، غالب على أسلوب الرسول، لأن الإيجاز قوة في التعبير وامتلاء اللفظ، وشدة التماسك، وهذه صفات تلازم قوة العقل وقوَّة الروح وقوة الشعور وقوة الذهن، وهذه القوى كلها على أكمل ما تكون في الرسول، ومن هنا شاعت جوامع الكلم في خطبه وأحاديثه"[3].

---

[1] . مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط5، 1999م، ص 325.

[2] . الجاحظ، الحيوان، ج 3، تحقيق: عبد السلام هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط 2، 1965م، ص 131.

[3] . أحمد حسن الزيات، وحي الرسالة، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، ط7، 1962م، ج3، ص 79.

وكما ذكرنا لن يبلغ أحد من البشر في حسن الاختيار ودقة الدلالة كما بلغه النبي . صلى الله عليه وسلم . في خطابه التربوي للمتلقين، ومما يدل على ذلك حديث سعد بن أبي وقاص . رضي الله عنه .:

عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي عَامِرُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَهْطًا وَأَنَا جَالِسٌ فِيهِمْ، قَالَ فَتَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ رَجُلاً لَمْ يُعْطِهِ، وَهُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ، فَقُمْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَارَرْتُهُ، فَقُلْتُ: مَا لَكَ عَنْ فُلاَنٍ، وَاللَّهِ إِنِّي لأَرَاهُ مُؤْمِنًا؟ قَالَ: "أَوْ مُسْلِمًا". قَالَ: فَسَكَتُّ قَلِيلاً، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ فِيهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَكَ عَنْ فُلاَنٍ، وَاللَّهِ إِنِّي لأَرَاهُ مُؤْمِنًا؟ قَالَ: "أَوْ مُسْلِمًا". قَالَ فَسَكَتُّ قَلِيلاً، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ فِيهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَكَ عَنْ فُلاَنٍ، وَاللَّهِ إِنِّي لأَرَاهُ مُؤْمِنًا. قَالَ: "أَوْ مُسْلِمًا". يَعْنِي: فَقَالَ:" إِنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ، وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ خَشْيَةَ أَنْ يُكَبَّ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ"[1].

يرينا هذا الخطاب كيف يرشد الرسول . صلى الله عليه وسلم . سعدا إلى حسن انتقاء اللفظة التي تعبّر عن الموصوف بدقة، و(أو) في الحديث للإضراب بمعنى (بل) قال النووي: " وأما قول: (أو مسلما) فليس فيه إنكار كونه مؤمنا، بل معناه النهي عن القطع بالإيمان، وأن لفظة الإسلام أولى به، فإن الإسلام معلوم بحكم الظاهر، أما الإيمان فباطن لا يعلمه إلا الله تعالى"[2].

فقد أعاد لفظ (أو مسلما) عدة مرات ليتعلم سعد، فكان يرى خلاف رأي الرسول . صلى الله عليه وسلم . فبتكرار اللفظ أكد له المعنى المناسب، رغم إلحاحه في بيان وجهة نظره التي كان يعتقد صوابها.

ومما يؤكد دقة اختيار المادة اللغوية في خطابه الحديث الآتي:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ خَبُثَتْ نَفْسِي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ لَقِسَتْ نَفْسِي"[3].

---

[1] . البخاري، كتاب الزكاة، بَابُ: قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا} وَكَمِ الْغِنَى، رقم:1407، ج2، ص 538.

[2] . النووي، شرح صحيح مسلم، ج2، ص 181.

[3] . البخاري، كتاب الأدب، باب: لاَ يَقُلْ خَبُثَتْ نَفْسِي، رقم: 5825، ج5، ص 2285.

يظهر في هذا الخطاب تمكّن المبلغ من اختيار اللفظة المناسبة، التي تعبِّر عن المعنى المقصود وتلائم المقام، فاللّقْس هو الخُبث، ولكن يختلف مدلول كل واحدة عند التوظيف ولذلك يجب مراعاة حال المتكلم، وتنبيهه لاستعمال اللفظة المناسبة للمقام، فمادة (الخبث) تحمل في طياتها من الدلالات ما ليس في (اللقس)؛ فهي تستعمل في الفسق والفجور والخسة، والحرام والمكروه والمستقذر، والفاسد والزنا والخمر، والشياطين وما لا خير فيه، "خبث: الخُبث: ضدَّ الطَّيب من الرِّزق والولد، والنَّاس،...أصْل الخُبْث في كلام العرب: المَكْروه؛ فإن كان من الكلام، فهو الشَّتْم، وإن كان من المِلَل، فهو الكُفْر، وإن كان من الطَّعام، فهو الحَرَام، وإن كان من الشَّراب، فهو الضَّارُّ "[1].

وربما لبشاعة هذا اللفظ، وما يحمله من هذه الدلالات القبيحة التي تشعر بتأصيل الخبث في النفس، ما لا ينبغي أن يسند إلى نفس المسلم، "كأنه كره . صلى الله عليه وسلم . أن يضيف المؤمن الطاهر إلى نفسه الخبث والفساد بوجه من الوجوه"[2].

وجاء هذا الاختيار مراعاة لحال المخاطب الذي هو المقصود بالخطاب التربوي فيعلمه أدقَّ الألفاظ استعمالا في مثل حالته.

1 . 2 . الصيغة اللغوية: يشترك في المفردة اللغوية صيغ كثيرة، اسمية وفعلية، وكل صيغة لها دلالتها الخاصة، إضافة إلى الدلالة الأصلية للمادة، وحال الخطاب هو الذي يحدد صيغة دون أخرى، كما يعطينا المعنى الدقيق للصيغة، ونجد في الخطاب التربوي في صحيح البخاري بلاغة الرسول . صلى الله عليه وسلم . في اختيار الصيغة المناسبة لحال المخاطب، والصيغ عديدة، منها اسم الفاعل واسم المفعول وصيغ المبالغة واسم الفعل، والصفة المشبهة، وغيرها، وسنستشهد ببعضها، حيث جاء في الحديث الآتي:

"عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: ضَمَّنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: "اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْكِتَابَ"[3].

فنقف عند صيغة الفعل: (علّمه) حيث جاء الفعل مضعف العين، "إن المقام هنا مقام مكافأة على حسن الصنيع من هذا الغلام الذي كان حريصا منذ صغره على التعلم والتفقه

---

[1] . ابن منظور، لسان العرب، ج2، مادة (خ ب ث)، ص 141، 144.

[2] . الجاحظ، الحيوان، ج1، ص 335.

[3] . البخاري، كتاب العلم، بَابُ: قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْكِتَابَ"، رقم 75، ج1، ص 41.

فكان أن ضمه النبي . صلى الله عليه وسلم . مراعاة لصغر سنه ليعبر له عن شكره وموافقته على حسن عمله، ودعا له بالتعليم والتفقيه مراعاة لحرصه على ذلك"[1].

فتدل صيغة الفعل المضعَّف على التكثير، والزيادة في الدُّعاء له بالخير والفلاح، لأن صيغة (فعّل) ⟵ لها دلالة الكثرة.

وفي موقع آخر نجد صيغة أخرى تدل على الاختيار الدقيق لمخاطبة المتلقين، يقول:

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ: أَخْبَرَنَا حُمَيْدُ بْنُ أَبِي حُمَيْدٍ الطَّوِيلُ: أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: "أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي"[2].

تضمَّن الحديث عدة صيغ؛ اسم التفضيل، وصيغ اسمية، وأخرى فعلية، ولمراعاة أحوال المخاطَبين "أراد النبي . صلى الله عليه وسلم . أن يشير لهم أن هذه البواعث متحقِّقة فيه أعظم من تحققها فيهم، مع كونهم يتشدَّدون في عباداتهم، وهو على حال من الاعتدال في عبادته، وإن تقالُّوها، ولكنها على ما يحب الله ويرضاه، ولذلك اختار في صياغة هذه البواعث التي يتصف بها، صيغ التفضيل:(أخشى، وأتقى)، مع أن صيغ التفضيل هنا من تزكية النفس، إلا أن المقام يقتضيها لا تعاظما ومباهاة، ولكن ردا على سوء الفهم لحقيقة الدين وسوء الظن برسول رب العالمين"[3]. وقد أشار إلى ذلك البخاري: "قوله (إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ) فيه إشارة إلى رد ما بنوا عليه أمرهم من أن المغفور له لا يحتاج إلى مزيد في العبادة بخلاف غيره، فأعلمهم أنه مع كونه لا يبالغ في التشديد في العبادة أخشى لله

---

[1] . يوسف بن محمد العليوي، رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين، رسالة دكتوراه مخطوطة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية، العام الجامعي، 1428 . 1429 هـ، ص 312 .

[2] . البخاري، كتاب النكاح، بَابُ: التَّرْغِيبُ فِي النِّكَاحِ، رقم: 4776، ج5، ص 1949.

[3] . يوسف بن محمد العليوي، رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين، ص 318.

وأتقى من الذين يشددون، وإنما كان كذلك لأن المشدّد لا يأمن من الملل، بخلاف المقتصد فإنه أمكن لاستمراره وخير العمل ما دام عليه صاحبه"[1].

وقد وردت في الحديث صيغ اسمية وأخرى فعلية، واختيار النبي . صلى الله عليه وسلم . للصيغة الاسمية في قوله: (إني لأخشاكم لله وأتقاكم له) فيه دلالة على تحقق هذه الصفات فيه على سبيل الثبوت والدوام، أما الصيغ الفعلية في قوله (أصوم وأفطر وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء) في صيغة المضارع فهي أفعال تتجدَّد، لذلك لم يتصف بها على وجه الثبوت والدوام[2]، فجاءت هذه الصيغ ملائمة لحال المخاطبين، ومناسبة لمقام الخطاب، ومن الصيغ أيضا:

. صيغ النكرة: نسلط الضوء على النكرة في صحيح البخاري لاستكناه دلالته اللغوية في الخطاب التربوي، لأن النكرة ما دلت على شيء غير معروف، وتأتي على أوجه عدة؛ كتنكير التعظيم، وتنكير التحقير، وتنكير التكثير، وتنكير التقليل، لذلك نتساءل لم وظفت في الخطاب التربوي؟ وما دلالتها في الحديث النبوي؟

ولنبين ذلك نستشهد لها ببعض ما ورد في الخطاب النبوي، بدءا بتنكير التعظيم:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنْتُ أُسَلِّمُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ فِي الصَّلاَةِ، فَيَرُدُّ عَلَيَّ، فَلَمَّا رَجَعْنَا، سَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ، وَقَالَ: 'إِنَّ فِي الصَّلاَةِ شُغْلاً"[3].

فلفظ (شغلا) فيه تنكير التعظيم، لأن الصلاة تتضمن أعمالا كثيرة يقوم بها المصلي وتتطلب التركيز وحضور الجوارح، فإن حدث ما يشتت هذا العمل نقص الأجر، وتكون الأعمال "بقراءة القرآن والذكر والدعاء، أو للتعظيم أي شغلا وأي شغل لأنها مناجاة مع الله تستدعي الاستغراق بخدمته فلا يصلح فيها الاشتغال بغيره، وقال النووي: معناه أن وظيفة المصلي الاشتغال بصلاته وتدبر ما يقوله فلا ينبغي أن يعرج على غيرها من رد السلام ونحوه"[4].

---

[1] . أبو الطيب صديق حسن، عون الباري لحل أدلة البخاري، دار الرشيد، حلب، سوريا، (د.ط)، (د.ت)، ج 5، ص 37.

[2] . انظر: رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين، ص 319.

[3] . البخاري، كتاب العمل في الصلاة، بَابُ: لاَ يَرُدُّ السَّلاَمَ فِي الصَّلاَةِ، رقم: 1158، ج1، ص 407.

[4] . ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج3، ص 73.

فلاحظنا استعمال التنكير لغرض التفخيم وتعظيم العبادة، وأن لا ينشغل المصلي إلا بصلاته لينال الجزاء الأوفر، وتوظيف هذه الصيغة مراعاة لحال المتلقي.

ونجد أيضا تنكير التحقير، في قوله:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "لاَ يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ"[1].

نقف على لفظ (جحر) فيه تنكير التحقير، والجحر مكان مظلم غيبي، ومن معاني الجحر: "جَحَر الحيوان: تأخر، وجَحَر الخير: تَخَلَّف، وجَحَر العام: احتبس مطره،...وأجْحَر القوم: دَخَلُوا في القَحْط،... والجُحر: حفرة تأوي إليها الهَوَامّ وصغار الحيوان(ج) جُحُور، وأجْحَار، وجِحَرَة"[2].

فالجحر في المعنى حفرة فاقدة التهوئة، تجمع بين العفن والضيق الشديد، وكأن الرسول . صلى الله عليه وسلم . يريد أن يبن أن المؤمن إذا وقع مرة فيما أضره فليحذر مرة أخرى، فيجب أن يكون فطنا يدرك ما يضره وما ينفعه، وعلى هذا جاء لفظ (جحر) وفي مدلوله تنكير التحقير، ليوجه المتلقين إلى التدبر في العواقب استنادا إلى ما أنعم الله عليهم من عقول تقيهم الوقوع في الشرور بعد تجربة أولى، ولتوظيف هذه اللفظة أثرها المنفر في النفوس، ليحترزوا من إعادة نفس الخطأ، وهذا أسلوب تربوي يتأسس على مراعاة أحوال المخاطبين.

1 . 3 . القلَّة الدَّالة

تتمثل القلة الدالة في كل حديث قلَّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه، على نحو (خير الكلام ما قل ودل)، وهذا من سمات لغة الخطاب التربوي، حيث تدرك الكلمات الكثيرة بالعبارة القصيرة، لذلك فضل الله . عز وجل . نبيه الكريم على غيره بأن أعطي جوامع الكلم، فكان يعبر عن المعاني الكثيرة بكلمات قليلة، وإذا تتبعنا كلامه عليه السلام وجدناه يجري هذا المجرى، على نحو الحديث الآتي:

---

[1] . البخاري، كتاب الأدب، بَابُ: لاَ يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ، رقم: 5782، ج5، ص 2271.

[2] . المعجم الوسيط، أخرجه شوقي ضيف وآخرون، مجمع اللغة العربية، مصر، مكتبة الشروق الدولية، ط 4، 2004م، ص 138.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ"[1].

ففي هذا الحديث نجد لفظة (الإيمان) فعلا تبليغيا، فهو اسم دالّ على القوَّة الراسخة ويحمل في طيَّاته كل شعب الإيمان، فهي كثيرة ومتفرِّعة عنه، ومن جهة أخرى شاملة لكل حياة الإنسان، أعلاها: شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق وبين هذا وذاك شعبة لا تقلّ عن كل الخصال ألا وهي الحياء.

فيتضح أن الإيمان هو حقيقة لمجموع هذه الشعب، التي تزيد عن الستين أو السبعين شعبة.

ونجد هذا المبدأ في اللسانيات يطلق عليه (قانون الشمولية)، "ويتلخص هذا القانون في إعطاء المتكلم المستمع كل المعلومات اللازمة والتي هي في حوزته، ويلح(غرايس) على أن تحتوي مساهمة المتكلم على أكبر عدد ممكن من المعلومات، فيكون كلامه (...) بعد ذلك شاملا."[2].

وما نستنبطه من الخطاب النبوي يبين أن الفعل التبليغي يتسِّم بقلة حروفه، وعمق معانيه، بخلاف النصوص العادية، ودلالة ذلك ما ورد في حديث الإيمان، حيث نجد لفظة (الإيمان) تتضمن معان كثيرة، منه:

. أعمال اللسان ← وهي شعب قولية ← قول كلمة التوحيد (لا إله إلا الله).

. أعمال الجوارح ← وهي شعب عملية تبين مجهودا بدنيا ← (إماطة الأذى عن الطرق).

. أعمال القلوب ← وهي شعب اعتقادية لها ارتباط بالقلب ← (الحياء)، فهو أمر قلبي دال على الانكسار والانحسار وآثاره تظهر على الجوارح.

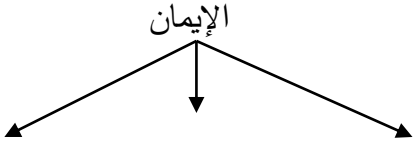

[1]. البخاري، ج1، كتاب الإيمان، باب: أمور الإيمان، ج1، ص 12، 13.

[2]. عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص 110.

قولية عملية اعتقادية

وفي حديث الإيمان لم تُذكر كلُّ الشُّعب، ولكن ذكرها على سبيل العدد، حتى يجتهد المسلم في تحصيلها، فالفعل التبليغي عندما يصل إلى ذهن المتلقي يكون تاما من حيث المقدار الكمي للمعلومات؛ لأن شُعب الإيمان كثيرة، ولمعرفتها يستوجب السعي والاجتهاد، فإذا نال شعبة لا يقف عندها ويظنها المرادة من الإيمان، بل عليه استكمال الشعب الأخرى، والوصول إلى الأدنى ليكتمل الشعب، وبها يستكمل الإيمان.

فيمكن أن نطبق هذا في مؤسساتنا التربوية، فنقدم للمتعلمين ما قلَّ ودلَّ، حتى لا نرهقهم بالمطوَّلات التي تشتت أذهانهم، نجعل المعلومة مختصرة ومركزة ومفيدة، ونترك لهم المجال للتفكير، وإعمال الذهن للوصول إلى المعاني الخفية، وبها نحقق الغاية المنشودة.

وأيضا من الأحاديث التي لها دلالات عميقة ونستفيد من لغتها الدالة، ما ورد:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا. وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا"[1].

تأْسرنا بلاغة الفعل التربوي في مجازه بذكر الاستعارة في قوله: "إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة"، فدلالة التبليغ تتضمن قوة، ومبالغة في المعنى لإعلاء مرتبة الصدق، يقول ابن جني: "... لا يستعملون المجاز إلا لضرب من المبالغة ولولا ذلك لكانت الحقيقة أولى من المسامحة،... وإنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة وهي: الاتساع والتوكيد والتشبيه"[2].

ولترسيخ هذه المبادئ الخُلقية في نفوس المتلقين لابد من وسائل مساعدة على تبليغ ذلك ومنها:

[1] . البخاري، كتاب الأدب، بَابُ: قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} وَمَا يُنْهَى عَنِ الْكَذِبِ، رقم: 5743، ج5، ص 2261.

[2] . ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، مصر،1956م، ج2، ص442.

. أسلوب التوكيد؛ التوكيد الحرفي والتوكيد الاسمي، حيث تصدرت الجملة بأداة التوكيد: (إنّ) ويؤول هذا إلى ضمان التبليغ إلى المتلقيين، واسمية الجملة: تدل على الثَّبات والالتزام بهذا الخلق، وحسم كل تردد في القبول والتلقي.

كذلك تضمَّن لفظ (البرّ) على كل أعمال الخير؛ ويطلق على العمل الخالص الدائم وأصله التوسُّع في أبواب الخير، وهو ما يعرف بأسلوب الإيجاز؛ حيث الألفاظ قليلة تتضمن معاني كثيرة، يقول ابن سنان: "والأصل في مدح الإيجاز والاختصار في الكلام أن الألفاظ غير مقصودة في أنفسها، وإنما المقصود هو المعاني والأغراض التي احتيج إلى العبارة عنها بالكلام، فصار اللفظ إلى المعاني التي هي مقصودة..."[1]

فدلالة (البرّ) ⟵ اسم جامع للخيرات ⟵ جامع لكل المعاني المقصودة.

تتمثل دلالة الفعل في ورود القول مجملا، ثم أعقبه التفصيل، ليتمكن المعنى في نفس المتلقي، فبعد الإجمال يأتي التفصيل، وهذا أفيد للسامع، يقول الجرجاني: "وجملة الأمر أنه ليس إعلامك الشيء بغتة، مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة له، لأن ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام في التأكيد والإحكام. ومن هاهنا قالوا: إنّ الشيء إذا أضمر ثم فسر، كان ذلك أفخم له من أن يذكر من غير تقدمة إضمار"[2].

فبعد الإجمال يأتي التفصيل، "فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار..." وهذا التدرج مسلك الحكماء في تربية النفوس؛ وهو سنة من سنن الله في خلقه فالبدء بالإجمال ثم التفصيل تكون آثاره جيدة ومقبولة.

ثم تأتي المقابلة بين: إن الصدق يهدي إلى البر ≠ وإن الكذب يهدي إلى الفجور.

هنا ائتلاف الألفاظ مع المعاني، ففي صورة الصدق توافق جزالة اللفظ مع رقة المعنى، وفي صورة الكذب توافق قوة اللفظ مع شدة في المعنى، فالبر يوحي بالتوسع في أنواع الخير، والفجور يوحي بالشدة والقوة في الباطل، كما يقول الراغب الأصفهاني: "...والفجور شقّ سرّ الديانة، يقال فجر فجورا فهو فاجر، وجمعه فجّار وفجرة...، وأيام الفجَّار وقائع اشتدت بين العرب"[3].

---

[1] . ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1982م، ص 214.

[2] . الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، ط3، 1992م، ص 132.

[3] . الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 373.

وعليه فالقلة الدالة في لغة الخطاب التربوي "تزيد في دلالة الكلام من طريق الإيحاء؛ ذلك أنه يترك على أطراف المعاني ظلالا خفية يشغل بها الذهن، ويعمل فيها الخيال حتى تبرز وتتلون ثم تتشعب إلى معان أخرى يتحملها اللفظ بالتفسير أو بالتأويل"[1].

فهذه نماذج رفيعة، سِمَة الخطاب التربوي النبوي، خاصة في جانبها اللغوي، وحري بنا أن نطبقها في مدارسنا، ونلقنها للمتعلمين.

1 . 4 . وضوح العبارة

إن لغة الخطاب النبوي لغة بعيدة عن التكلف والصنعة، فكانت سهلة ومفهومة، في متناول كل المتلقين؛ مهما كان سنهم أو جنسهم، أو مركزهم، فكلامه يفهمه كل من يسمعه، فلغته بسيطة بعيدة عن التعقيد والغرابة، وإذا خاطب الناس كان يعيد كلامه ثلاثا خوفا أن لا يسمعه البعيد:

" فعَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاَثًا، حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلاَثًا. "[2].

فاللغة السهلة إذا أُحسن اختيارها كان لها تأثير بالغ في نفوس المتلقين، لذلك جاءت ألفاظه . عليه السلام . في غاية الإفصاح والإبانة، ومن أمثلة ذلك:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا". قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: "تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ"[3].

تتمثل بلاغة لغة هذا الخطاب التربوي في نصرة الآخر:

انصر أخاك ←——— فيه تذكير بحقوق الأخوة ———→ أخوة شاملة.

استخدام كافة الوسائل التي تؤدي إلى تحقيق هذا الفعل:

. النصرة بالقول، وتكون بالنصيحة، والدعوة إلى الخير، وتبيان طريق الحق، وهكذا...

. النصرة بالفعل، وتكون بدفع الأذى، وبذل المال، وغير ذلك.

---

[1] . أحمد حسن الزيات، دفاع عن البلاغة، عالم الكتب، ط2، 1963م، ص 113.

[2] . البخاري، كتاب العلم، باب: بَابُ مَنْ أَعَادَ الْحَدِيثَ ثَلاَثًا لِيُفْهَمَ عَنْهُ، رقم: 95، ج 1، ص 48.

[3] . البخاري، كتاب المظالم، باب أعن أخاك ظالما أو مظلوما، رقم الحديث: 2312، ج 2 ، ص 863.

. النصرة بالعمل، وتكون بالمشاركة في الحقل التعليمي، أو الإعلامي، أو السياسي أو خيري، الخ...

فالخطاب موجه لكل من يصلح له الخطاب، حتى تتحقق بلاغة العمل على أسلمة الحياة والمجتمع.

وقوله: (أخاك) ⟵ تشمل كل المستضعفين والمظلومين والمضطهدين سواء كانوا مسلمين أم غير مسلمين، فالقول عام لبني البشر.

ولفظ (ظالم) ⟵ فيه إيذاء الآخر، واعتداء عليه، وأكل أمواله بغير حق، وأخذ الأمانات ظلما، ومنع الأجير أجرته، وأكل أموال الربا، وعقوق الوالدين، وارتكاب كل أنواع المنكرات، وأشدها على الإطلاق الكفر.

وتكون نصرة الظالم بمنعه وردعه عن الظلم، بقوله:

(تأخذ فوق يديه): كناية عن المنع، وعبر بالفوقية إشارة إلى الأخذ بالاستعلاء والقوة وخروج الكلام بأسلوب المجاز والبلاغة يكون أكثر قوة، وإثارة لدى المتلقي، "وقد فسر صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن نصرة الظالم منعه من الظلم، لأنك إذا تركته على ظلمه أداه ذلك إلى أن يقتص منه، فمنعك له من وجوب القصاص نصرة له، وهذا من باب الحكم بالشيء وتسميته بما يؤول إليه، وهو من عجيب الفصاحة ووجيز البلاغة"[1].

وعبر هذا الخطاب التربوي جاءت لغة النبي . صلى الله علي وسلم . واضحة ومعبِّرة، في تبليغ الرسالة، ليتلقَّاها المخاطَب، فيتفاعل معها بإيجابية، فيكون مؤثرا في مجتمعه، ومبادرا بالعمل المنوط به، كما نلاحظ بلاغة الفعل تتجسد في اجتماع الخطاب الوعظي القلبي العاطفي، مع الخطاب العملي العقلي لاستنهاض الهمم، واستخدام كل الوسائل المتاحة والمباحة التي تسهم في تنفيذ الفعل التربوي لتحقيق النصرة المطلوبة.

ونوضح كيف جاءت الكلمات غاية في الوضوح والبيان:

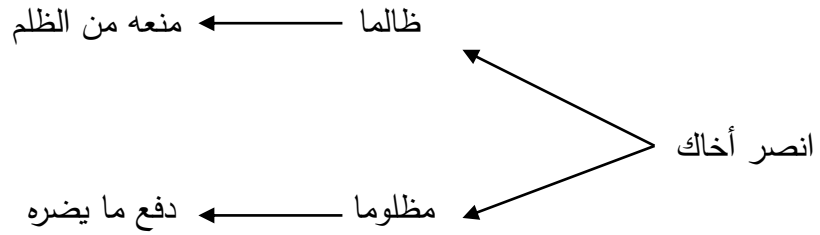

[1] . البخاري، عون الباري لحل أدلة البخاري، كتاب المظالم، ج3، ص 243.

كما جاء الخطاب واضحا ومفهوما، ولغته سهلة بينة، لا تعقيد فيها، ومن هنا علينا أن نتأسى بمثل هذه الخطابات لتلقين العلم بلغة ميسرة، وبسيطة.

ومن البيان النبوي:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَلاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ"[1].

نقف عند بلاغة وبيان هذا الخطاب في تبيان مهمة المسؤولية، فجاءت لغته كالآتي:

(ألا كلكم راع) ⟵ الراعي ⟵ الحافظ المؤتمن، والملتزم بصلاح ما اؤتمن على حفظه.

استهل الحديث بلفظ (ألا) وهي حرف استفتاح وتنبيه، دلالته ⟵ أن الأمر هام ويجب الانتباه إليه، ولأهميته يجب التمهيد له.

كما أن لفظ (رعاية) توحي بدلائل وتضمينات تربوية أكثر من غيرها، ومن مضامينها:

الاهتمام والحرص، والرقابة، والتهذيب، والعناية، والتزكية، والسمو والرفعة، فهي رعاية شاملة.

كلكم راع ⟵ تفيد التعميم؛ أي كل فرد في المجتمع راع، بدءا بالحاكم وصولا إلى الخادم، فالمسؤولية شاملة كل مكلف، وإضافة "كم" استغرق عموم المخاطبين، أيا كان الجنس أو النوع أو الفرد.

ولفظ (راع) ⟵ استعار معنى الرعي الخاص الذي ينصرف إلى رعي الماشية إلى معنى عام يشمل كل حافظ لشأن غيره. وأصناف الراعين هم:

الإمام ⟵ راع على رعيته، ويتطلب عليه:

. النصح لهم.

. عدم غشهم.

---

[1] . البخاري، كتاب الأحكام، باب: قول الله تعالى: "أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم" / النساء : 59/. رقم الحديث: 6719، ج 6، ص 2611.

. تحقيق القيم الأخلاقية؛ العدل والمساواة،...

. تحمل المسؤولية أمام الجميع.

. حمل رسالة الإسلام.

الرجل ⟵ راع على أهل بيته، وذريته ونسائه وإخوته،...

المرأة ⟵ راعية على بيتها، وزوجها وأولادها ونفسها،...

الخادم ⟵ راع على مال سيده، وعلى بيته وممتلكاته،...

ويشمل الخطاب حتى "المنفرد الذي لا زوج له ولا ولد ولا خادم، فإنه يصدق عليه أنه راع على جوارحه وحواسه، حتى يعمل المأمورات الشرعية، ويتجنب المنهيات، فعلا ونطقا واعتقادا، فجوارحه وحواسه رعيته، وهو مسؤول عنها"[1].

فالمسؤولية تتسع وتضيق حسب الرعاية المنوطة بصاحبها، ولهذا انتقل من الإجمالي إلى التفصيل.

ونقتبس من هذه اللغة السهلة في كلماتها، كيف نخاطب المتعلمين، ولنبتعد عن التكلف والتقعر في الكلام، لنرسخ اللغة الفصيحة لدى التلاميذ، ونشجعهم على النطق السليم، لما فيه من يسر وخفة، "فالخفةعلى اللسان تساعد على التبليغ بسهولة ويسر، وعلم المخاطب بهذه الخصائص يسهل عليه فهم الكلام الموجَّه من المتكلم، ثم إنه مرتبط بأحوال التخاطب مثل: حالات الإغراء والتحذير، والتعجب وغيرها؛ أي إن الخطاب يحدث في مكان وزمان معينين كحدث إعلامي تبليغي بحسب ما تقتضيه أنشطة الحياة اليومية"[2].

فلتكن لغة المبلّغ واضحة، وسهلة، ومفهومة، لتنجز ما يفيد.

1 . 5 . قوة الإقناع

استطاع النبي . صلى الله عليه وسلم . أن يوظف الأفعال في سياق يؤدي إلى إقناع المتلقي أيًّا كان، ففي خطابه للأنصار في غزوة الطائف في شوال سنة ثمان:

---

[1] . ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج 13، ص 121.

[2] . بشير إبرير، مفهوم التبليغ وبعض تجلياته التربوية في التراث اللساني العربي، مجلة التراث العربي، اتحاد كتاب العرب، دمشق، العدد: 90، يونيو 2003م، ص 45.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ قَالَ: لَمَّا أَفَاءَ* اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ، قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ يُعْطِ الأَنْصَارَ شَيْئًا، فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ: "يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلاَّلاً فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ بِي، وَكنتم عَالَةً، فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ بِي." كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ. قَالَ: "مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ." قَالَ: كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ. قَالَ: "لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ: جِئْتَنَا كَذَا وَكَذَا. أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رِحَالِكُمْ، لَوْلاَ الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا الأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ"[1].

وردت مجموعة من الأفعال تحمل قوة إقناع، حيث غيَّرت رؤية المتلقين إلى حسن الظنِّ بالرسول الكريم، واقتنعوا بقوله، فالأفعال هي:

أ . الأفعال الماضية ←هداكم . ألفكم . أغناكم.

فعندما سلك أسلوب العتاب، وظف الفعل الماضي، مذكرا إياهم بالفضائل التي تحققت في زمن ماض، وفي هذا دافع قوي للاقتناع، كما أن خطابه يتضمن دلالات تربوية نستشفها من خلال الأفعال التي وظفها، والتي تدل على دقة الاختيار مراعاة لأحوال المتلقين وعليه نتأسى به لمعرفة كيف نخاطب المتعلمين بانتقاء الأفعال والأساليب اللغوية المناسبة للإقناع.

ب . الأفعال المضارعة ←أترضون . أن يذهب . تذهبون . ستلقون.

إن استعمال الفعل المضارع دال على التجدد والاستمرار، وبه تتراءى لهم صورة الفعل وكأنها تتحقق أمام أعينهم، فاكتسبت الأفعال تعبيرا بليغا في استشعارهم عظيم الجزاء الذي سيلقونه، وفي هذا تنبيه للمربي ليدرك كيفية توظيف اللغة لمخاطبة المتعلمين، فأسرارها خفية، يجب إظهارها لترسيخ جمالياتها في الأذهان.

ج . أفعال الأمر

* . أفاء: أعطاه الغنائم، وجدوا: حزنوا، أمن: من المن وهو الفضل (البخاري، ص 1574).

[1] . البخاري، كتاب المغازي، باب: بَابُ غَزْوَةُ الطَّائِفِ، رقم: 4075، ج4، ص 1574.

فعل الأمر هو القول الطالب للفعل، سواء أكان على صيغة(افعل)، أم (ليفعل) أم (اسم فعل أمر)، ولهذه الصيغ معان كثيرة منها: الوجوب، والتأديب، والإرشاد والتهديد، الدعاء، والاحتقار، وغير ذلك، وعرفه العلماء:

"القول المقتضي طاعة المأمور بفعل المأمور به"[1]، ويرى بعضهم أنه: "طلب الفعل على جهة الاستعلاء"[2]، باستثناء الطلب على جهة الدعاء.

ومن أمثلة أفعال الأمر نورد الحديث الآتي:

عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْلَمُوا أَنْ لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، وَأَنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ أَدْوَمُهَا إِلَى اللَّهِ، وَإِنْ قَلَّ"[3].

الأفعال: سددوا، وقاربوا، واعلموا.

تشير هذه الأفعال إلى الاعتدال في العبادات، فهذا أمر من رسول الله . صلى الله عليه وسلم . إلى الناس بأن يؤدوا أعمالهم قدر الاستطاعة، دون إفراط ولا تفريط، يقول النووي: "اطلبوا السداد واعملوا به، وإن عجزتم عنه، فقاربوه؛ أي: اقربوا منه، والسداد: الصواب، وهو بين الإفراط والتفريط، فلا تغلوا، ولا تقصروا"[4].

تحمل دلالة الفعل قوة التنفيذ، فالأمر يتطلب وجوب العمل دون تردد، خاصة إذا كان صادرا من الأعلى إلى الأدنى مثل ما جاء هذا الخطاب.

2 . مراعاة أحوال المتعلمين: مما يلاحظ في خطاب النبي . صلى الله عليه وسلم . للناس مراعاته للعوامل المؤثرة في شخصياتهم، ولأحوالهم، وبيئاتهم، وطرائق تفكيرهم وديانتهم، وصفاتهم السلوكية، ومنزلتهم الاجتماعية، ففي الأثر الصحيح عن علي بن أبي طالب . رضي الله عنه . قال: "حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ"[5]. أشار

---

[1] . الغزالي، المستصفى من علم الأصول، تحقيق: حمزة بن زهير حافظ، شركة المدينة المنورة للطباعة، (دط)، (دت)، ج3، ص 119.

[2] . الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تعليق: عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 2003م، ج2، ص 172.

[3] . البخاري، كتاب الرقاق، باب: الْقَصْدِ وَالْمُدَاوَمَةِ عَلَى الْعَمَلِ، رقم:6099، ج5، ص 2373.

[4] . النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ج17، ص 162.

[5] . البخاري، كتاب العلم، باب: مَنْ خَصَّ بِالْعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ كَرَاهِيَةَ أَنْ لاَ يَفْهَمُوا، رقم: 127، ج1، ص 59.

الحديث إلى مراعاة أحوال السامعين، فيجب مخاطبتهم بلغة سهلة واضحة، والابتعاد عن الكلام الذي لا تتحمله عقولهم وتدركه أفهامهم، فيتبادرون إلى تكذيبه.

وهذه حكمة أن ينزل كل إنسان منزلته، وأن يبلغ الخطاب بالتدريج حتى يقبل عليه ويطمئن إليه.

ومن النماذج التربوية في الخطاب النبوي التي تشمل التدرج في التربية والتعليم نذكر:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ"[1].

يتمثل الجانب العملي في هذا الخطاب التربوي في حث المتلقي لاغتنام الفرص المتاحة للعمل، وتضمنهما الحديث بصيغة موجزة؛ الصحة والفراغ، ومنه ينطلق المربي لتوضيح المعاني الخفية لهذا الخطاب، فالمبلغ له دور فعال في توظيف اللغة بكل مستوياتها، "وهو الذي يوظف اللغة في مستوياتها المتمايزة، بتفعيلها في نسيج خطابه، ذلك التفعيل الذي ينوع طاقاتها الكامنة،..."[2]

وأول ما يشمل عليه الفعل التبليغي:

نعمة الصحة الجسدية ← تكون أكثر قوة في ريعان الشباب ← يستطيع المرء أن يقوم بجميع أعماله على أحسن وجه.

إذا اغتنم هذا الجانب يكون فعله شاملا لمناحي حياته بما ينفعه في دينه ودنياه.

فيشمل التبليغ في هذا الحديث الجانب الظاهر بالترغيب، والجانب الباطن بالترهيب؛ فالصحة نعمة يغبن صاحبها إذا لم يستغلها في المنافع، فهي:

نعمة الصحة ← تشمل كل أعمال الخير ← نتيجة إيجابية.

نعمة الصحة ← تشمل كل أنواع الشر ← نتيجة سلبية.

أراد المبلغ أن يجسد لنا فاعلية العمل التربوي إذا التزم به المتلقي.

أما ثانيها فنعمة الفراغ: لابد أن يستغل فيما ينفع، وقد يشمل الكثير من وجوه الخير؛ كطلب العلم، أو القيام بعمل، أو الخروج في رحلات علمية، أو مطالعة الكتب المفيدة أو

[1] . البخاري، كتاب الرقاق، باب ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، رقم الحديث 6049 ج 5، ص 2357.

[2] . عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 46.

السعي من أجل مساعدة الآخرين، وغيرها...، وقد نجد له ما يقابله إذا استغل في اللهو والمعاصي، فيكون الفراغ حجة عليهم.

نعمة الفراغ ⟵ تستغل في المنافع ⟵ تحصل الغبطة.

نعمة الفراغ ⟵ تستغل في المفاسد ⟵ يحصل الغبن.

كما شمل الفعل التبليغي دلالة الكثرة والقلة، ونجد ذلك في قوله: " نعمتان مغبون فيها كثير من الناس..."

المغبونون كثيرون ≠ والشاكرون قليلون.

ونتاج هذا الفعل التبليغي:

الصحة هي ⇐ قوة البدن ⇐ عافية الجسد ⇐ سلامة العقل.

والفراغ هو: الزمن المتيسر للفرد، يستغله لإنجاز ما تأخر من واجبات، وقد يكون للترويح.

والغبن هو: الضياع، والفساد، والكساد في التجارة، وضعف في الرأي.

ويمكن استثمار هذا الجانب في المدرسة، لأننا نرى البرامج التربوية لا تمدّ المتعلم بما يؤهله أن يستنبط المعاني مما يقرأ أو يحفظ، وبفهم هذه الأحاديث، تجعل المتلقي يتأمل دلالاتها التربوية التي تفيده في حياته الآنية والمستقبلية، ومثل هذه الخطابات تمكّنه من أن يتعلم ويفكر، ويقبل ويرفض ويتساءل، ويكون قادرا على البحث عن معانيها الحقيقية أو نقدها، فالتعليم الحقيقي هو ذلك الذي "يجعل المتعلم قادراعلى التحاور مع ذاته، وأن يفكر في تفكيره"[1].

وعليه يجب أن تكون المعلومة مؤثرة تسترعي انتباه المتلقي، وتدفعه للتحاور من أجل الفهم والتعلم.

وما يسترعي الانتباه في الخطاب التربوي، أن النبي . صلى الله عليه وسلم . قد انتهج في خطاباته كل هذه الأحوال مراعيا:

2 . 1 . سن المتعلم: لا يؤتى الخطاب التربوي ثماره إلا إذا كان تطبيقا عمليا وأنموذجا سلوكيا، وهذا ما جاء في خطاب الرسول . صلى الله عليه وسلم . للأطفال

حيث كان حريصا على تعليم الصغار كل مبادئ العقيدة، ومما ورد في تعليم عمر بن أبي سلمة عندما كانت يده تطيش في الصحفة، يقول:

1 - Olivier Reboul , Qu’est ce qu’apprendre, PUF, 1980, Paris, p 92.

"كُنْتُ غُلاَمًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا غُلاَمُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ". فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ[1].

نستنبط فوائد تربوية هامة، فلا بد من تعليم الطفل آداب الأكل وهو صغير ليتعوَّد عليها؛ فقبل أن يمد يده يسمي الله، ولا يأكل إلا مما يليه، ولا يأخذ من كل جهة، بل يأكل مما أمامه، حتى لا يقل أدبه مع الآخرين.

وقد تميز هذا التوجيه بالرفق والسماحة، فناداه المربي بعبارة لطيفة، ومحببة إلى النفس، فقال: (يا غلام)، فيه تنبيه للمتلقي لينتبه ما سيتلقاه من المبلغ.

وفي إفادتنا منه نطبقه في مدارسنا، وفي تعاملنا مع التلاميذ، حيث نتدرج معهم لنلقِّنهم التربية الصحيحة، مثل ما يشير ابن خلدون: "اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدا ، إذا كان على التدرج، شيئا فشيئا، وقليلا، يلقي عليه أولا مسائل من كل باب من الفنّ هي أصول ذلك الباب، ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال، ويراعي في ذلك قوة عقله، واستعداه لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي إلى آخر الفن، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم"[2].

ومن مظاهر الخطاب التعليمي تنمية مهارات التفكير، فانتهج . عليه السلام . أساليب متنوعة في استثارة القدرات العقلية لدى الصغار، منها الحوار، ونستشهد بما جاء في حواره مع أحد الصبيان:

"عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِشَرَابٍ فَشَرِبَ مِنْهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلاَمٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ الأَشْيَاخُ، فَقَالَ لِلْغُلاَمِ: "أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلاَءِ". فَقَالَ الْغُلاَمُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ أُوثِرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَدًا، قَالَ: فَتَلَّهُ* رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَدِهِ"[3].

---

[1] . البخاري، كتاب الأطعمة، بَابُ: التَّسْمِيَةِ عَلَى الطَّعَامِ وَالأَكْلِ بِالْيَمِينِ، رقم: 5061، ج5، ص 2056.

[2] . محمود بن جماعة، نصوص في الانسان والعمران، والفلسفة من مقدمة ابن خلدون، دار محمد للنشر، صفاقس، تونس، ط1، 2006م، ص167.

* . فتلَّه: أعطاه الإناء، حيث احترم حقه ولم يعنفه على ذلك.(انظر: البخاري، ج5، ص 2130).

[3] . البخاري، كتاب الأشربة، بَابُ: هَلْ يَسْتَأْذِنُ الرَّجُلُ مَنْ عَنْ يَمِينِهِ فِي الشُّرْبِ لِيُعْطِيَ الأَكْبَرَ، رقم: 5297، ج5، ص 2130.

وهذا دليل على أنه إذا كان الذي على اليمين أصغر سنا، فإنه يفضل على الذي على اليسار ولو كان أكبر سنا، "وفي الحديث أن سنَّة الشرب تقديم الأيمن في كل موطن"[1].

ولهذا الخطاب التربوي للأطفال إشعار بأهميتهم، وإعطاء الثقة المفيدة في التربية وعلى المربين استثمار هذا الحديث في المدرسة، وتقديم نموذج راق للمتلقين لتطوير قدراتهم على الثقة بالنفس، ليكون حافزا لهم على المضي قدما في الحياة، بعيدين عن الشعور بالنقص.

كذلك توظيف المداعبة والملاطفة، قصد إدخال السرور إلى أنفس الصغار، كما جاء في سؤاله للطفل عمير:

عن "أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: إِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيُخَالِطُنَا**، حَتَّى يَقُولَ لأَخٍ لِي صَغِيرٍ: "يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ***"[2].

فتعامله مع الأطفال يؤكد فهمه العميق لنفسياتهم وشخصياتهم، وما فيها من فروق فردية وحاجات نفسية، ودوافع فطرية، فوجههم بطريقته الحكيمة، وأسلوبه التربوي المناسب، وهذا ما سبق به رجال التربية الغربيين قديما وحديثا، "فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعلم الطفل (كلمات) مختصرة مفيدة لا طول فيها، ولا ملل، وذلك انسجام مع طبيعة الطفل الفكرية؛ التي تتطلب الكلمات القصيرة الموجزة، والجامعة، والغنية بالمعاني والأفكار"[3]، وما يلائم الصغير في هذا الخطاب، الإيجاز في التركيب مع وضوح الألفاظ.

فيتكون الخطاب من جملتين؛ جملة ندائية (أبا عمير)، والأخرى استفهامية (ما فعل النغير؟)، وكلتاهما موجزتان وواضحتان، مراعاة لسن المخاطب. ومما يجلب انتباه الطفل أسلوب التصغير، "فيحقِّق السجع الذي يحدث تأثيرا في النفس، إذ هو يخاطب الوجدان والمشاعر أكثر مما يخاطب العقول...، والأطفال يعجبهم الجرس الصوتي في الكلام"[4].

---

[1] . ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج10، ص 87.

** . يخالطنا: يلاطفنا بطلاقة الوجه والمزح.(البخاري، ج5، ص 2270).

*** . النغير: مصغر نُغَر، وهو طير كالعصفور محمر المنقار، يسميه أهل المدينة البلبل. .(المرجع نفسه).

[2] . البخاري، كتاب الأدب، بَابُ: الِانْبِسَاطِ إِلَى النَّاسِ، رقم: 5778، ج5، ص 2270.

[3] . محمد نور بن عبد الحفيظ سويد، منهج التربية النبوية للطفل، مع نماذج تطبيقية من حياة السلف الصالح، دار ابن كثير للنشر والتوزيع، دمشق، ط3، 2000م، ص 116.

[4] . انظر: بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البديع، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1998م، ص 309.

كما يعد المديح والثناء الصادق في الخطاب التربوي، منهجا محفزا للهمم، وداعما للسلوك الإيجابي، على نحو ما قاله للحسن بن علي . رضي الله عنهما .:

"عَنِ الْحَسَنِ: سَمِعَ أَبَا بَكْرَةَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَالْحَسَنُ إِلَى جَنْبِهِ، يَنْظُرُ إِلَى النَّاسِ مَرَّةً وَإِلَيْهِ مَرَّةً، وَيَقُولُ: "ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ".[1]

فكان كما ذكر الرسول . صلى الله عليه وسلم . حيث أصلح الله به بين أهل الشام وأهل العراق، بعد حروب طويلة ومهلكة، وهذا أمر ممدوح، فأثنى النبي . عليه الصلاة والسلام . ما حدث على يديه، وسماه بذلك سيدا جراء ما فعله.

فالثناء على المتعلّم حافز له للانطلاق والحيوية، كما تجعله دائما على أهبة واستعداد لتلقي الملاحظات والإرشادات والنصائح، فالخطاب النبوي فيه الأنموذج الأمثل لهذا الجانب، لأن الإثابة بالمدح والثناء من وسائل التشجيع على طلب العلم، ومن ذلك ما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَقَدْ ظَنَنْتُ . يَا أَبَا هُرَيْرَةَ . أَنْ لاَ يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ"[2].

فالمدح والثناء عاملان يستثيران المتلقي لطلب العلم، ويدفعه دائما لأن يكون سباقا في السؤال عنه، كما يعدُّ من المحفزات الإيجابية التي ينتهجها المربون تجاه المتعلمين.

لذلك لا بد أن يحرص رجال التربية على استخدام هذا الأسلوب النبوي في التربية والتوجيه، وليستعينوا بالعبارات التي تحمل معاني المدح والثناء؛ كقولهم:

. أنا على علم بأنك قادر على فعل هذا العمل.

. أنت ذكي تستطيع أن تقوم بهذا العمل.

. لدي ثقة في حكمك على الأمور.

. سوف تصل إلى معرفة الطريقة الصحيحة.

---

[1] . البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب: مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما، رقم: 3536، ج3، ص 1369.

[2] . البخاري، كتاب العلم، باب: الحرص على الحديث، رقم: 99، ج1، ص 49.

كما نجد للمدح آثارا تربوية ناجعة، فالمدح الصادق له عظيم الوقع في نفوس المتعلمين، فهو يقوي ثقتهم ويشعرهم بالراحة النفسية، ويبعث فيهم روح المنافسة على الاجتهاد وطلب العلم، ويحفز الكثير من الطلبة على تحسين مستواهم الدراسي.

كذلك يعد جزءا من المكافأة المعنوية للمتعلم نتيجة قيامه بأعمال جيدة، فالطبيعة الإنسانية تحب أن يثني الناس على أدائها وصفاتها، وبهذا تشعر أنها على صواب فتمضى قدما في عملها الجاد.

وهكذا نحفز المتعلمين ونمنحهم الثقة للوصول إلى تحقيق أهدافهم مستأنسين بالخطاب النبوي.

ويعضده الدعاء في قوة الاستمالة، لما ينطوي عليه من روحانية ملهمة، يستعين به المربي لبثّ الثقة في روع المتلقي، فينتشله من دركات الانهزامية، إلى درجات النورانية تحيطه الرحمة ويكتنفه العطف، وله طاقة إيجابية في التحفيز على عمل الخير، ولنا في هذا المقام أنموذجا حيّا:

"فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: ضَمَّنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: "اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْكِتَابَ".[1]

من أبرز صفات المربي أن يظهر للمتعلم الرأفة واللين، وهذا ما لمسناه في لفظة (ضمني)، "فيستفاد منه جواز احتضان الصبي القريب على سبيل الشفقة".[2]

"فحركة ضم ابن عباس هذه إلى الرسول . صلى الله عليه وسلم . لها فعلها المؤثر والقوي في نفس ابن عباس طفلا، وفي معطيات علم النفس والاجتماع ثمة أفعال تدفع الطفل نحو مجتمعه؛ ليصبح عضوا فاعلا فيه، يحس بأحاسيسه ويتعاون مع أفراده..."[3]

وللدعاء أهمية في تعزيز الثقة وتهيئة الاستقرار النفسي للمتعلم، ودفعه إلى تقديم أفضل ما لديه من قدرات، لذلك رأينا تحقق دعوة النبي . عليه السلام . لابن عباس فأصبح من مفسري القرآن الكريم، "والكتاب ها هنا القرآن عند أهل التأويل، قالوا: كل موضع ذكر الله

[1] . المصدر نفسه، بَابُ: قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْكِتَابَ"، رقم 75، ج1، ص 41.

[2] . ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج1، ص 170.

[3] . عريب محمد عيد، الخطاب النبوي خريطة البيان العربي، ص 164.

فيه الكتاب فالمراد به القرآن، وفيه بركة دعوة النبي . عليه السلام .؛ لأن ابن عباس كان من الأخيار الراسخين في علم القرآن والسنة، أجيبت فيه الدعوة".[1]

فيمكن أن يستفيد المربي من هذه الوسيلة للتوجيه التربوي والتأثير السلوكي العملي فالدعاء أفضل علاج نفسي، إذ يحقّق معالجة الإحباط واليأس، والانطواء وانفصام الشخصية التي عجز الطب النفسي عن علاجها لأنها مرتبطة بالروح البشرية.

كذلك من مظاهر التربية التي وردت في الخطاب التربوي، ظاهرة الترويح، وكم لهذا الجانب من فوائد تسهم في تنمية الشخصية لدى الأطفال، ويتحقق ذلك في اللعب، فهو الوسيلة المثلى لاكتساب المهارات والمعارف، وتشجيع الطفل على الإبداع.

وموقفه صلى الله عليه وسلم من الطفل الصغير (أبي عُمير)؛ أخو أنس بن مالك . رضي الله عنه . حين علم أنه اشترى عصفورا وكان شديد الفرح به، فكان يداعبه كلما رآه قائلا: (يا أبا عُمير ما فعل النغير؟) ،والنغير هو عصفور صغير . سبق ذكره . وذات مرة كان يمشي في السوق فرآه يبكي فسأله عن السبب، فقال له: مات النغير يا رسول الله، فظل يداعبه ويحادثه ويلاعبه حتى ضحك، فمر الصحابة بهما فسألوا الرسول عما أجلسه معه، فقال لهم: "مات النغير، فجلست أواسي أبا عُمير".

فالترويح وسيلة تربوية هادفة متعددة الأشكال، يمكن أن يمارسها الأطفال اختياريا في أوقات الفراغ، فتجلب لهم المتعة والسرور، والشعور بالرضا، ويمكن للمربين استغلال هذا النشاط لتشجيع المتعلمين على الترويح النافع، مثل القراءة، والمناظرة، وجمع الطوابع، والرسم، والزخرفة، والتمثيل، وألعاب الذكاء، والمسابقات الثقافية، وغير ذلك.

2 . 2 . مراعاة جنس المتعلم: كان . عليه السلام . إذا خاطب النساء يناديهن بقوله: يا معشر النساء، أو يا نساء المسلمين، وفي ذلك خطابه التربوي:

"عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَضْحًى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَوَعَظَ النَّاسَ وَأَمَرَهُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَقَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ، تَصَدَّقُوا". فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: "يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ"[2].

يحثهن على الصدقة، فهي أعظم ما يكفِّر الله بها الذنوب، لأن المرأة قد تشغلها رعاية

---

[1] . ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج1، ص 160.

[2] . البخاري، كتاب الزكاة، بَابُ: الزَّكَاةِ عَلَى الأَقَارِبِ، رقم: 1393، ج2، ص 531.

أسرتها عن الأعمال الصالحة، فتكون الصدقة مع عظم أجرها أسهل على المرأة من تلك الأعمال، وقد تكون "لغلبة البخل عليهن، وقلة معرفتهن بثواب الصدقة وما يترتب عيها من الحسن والفضل في الدنيا قبل يوم الآخرة"[1]. لذلك جاء الخطاب ليربي النساء . خاصة . على الإكثار من التصدُّق لما فيها من خيرات كثيرة.

وجاء في خطاب آخر:

"عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لاَ تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ*"[2].

"أي لا تحقرن أن تهدي إلى جارتها شيئا ولو أنها تهدي لها ما لا ينتفع به في الغالب ويحتمل أن يكون من باب النهي عن الشيء أمر بضده، وهو كناية عن التحابب والتوادد ...، وخص النهي بالنساء لأنهن موارد المودة والبغضاء، ولأنهن أسرع انفعالا في كل منهما"[3].

وما يلاحظ أن الخطاب التربوي جاء بما يناسب المرأة من أمور تتصف بها.

لذلك يجب مراعاة ذلك في مدارسنا التربوية، أن نعرف كيف نتعامل مع المتلقين حسب جنسهم، ولا نخلط بينهم في التوجيه، فالأنثى تكوينها يختلف عن الذكر.

2 . 3 . مراعاة منزلة المتعلم: منزلة المخاطب سواء أكانت سياسية أم وظيفية أم اجتماعية، أم غيرها، لها أثر في رعاية المتكلم له في خطابه، وقد خاطب . عليه السلام . الملوك والرؤساء بما يليق بمنزلتهم ويلائم حالهم، ومن ذلك:

رسالة إلى قيصر، " مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ: سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ،..."[4]

لم يقل: هرقل فقط، بل أتى بنوع من الملاحظة، فقال: عظيم الروم، أي الذي يعظمونه ويقدسونه، ففيه اختيار للألفاظ التي تشعر الملوك بالاطمئنان على ملكهم إذا أسلموا.

---

[1] . بدر الدين العيني، عمدة القارئ، ج3، ص 272.

* . ولو فرسن شاة: حافر الشاة، وهو عظم قليل اللحم.

[2] . البخاري، كتاب الأدب، بَابُ: لاَ تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا، رقم: 5671، ج5، ص 2240.

[3] . ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج10، ص 445.

[4] . البخاري، كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي...، رقم: 7، ج1، ص 9.

ومن الحكمة تنزيل الناس منازلهم اللائقة بهم، ومخاطبتهم بما يناسبهم، فإن ذلك أدعى إلى قبول الدين، والرغبة في اتباعه، ومن العناية النبوية أن يتعرف على من يقصده وافدا، أو مستفتيا، أو من يلتقي به، ومما ورد عن ابن عباس . رضي الله عنه .:

"قَالَ: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ أَتَوُا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: "مَنِ الْوَفْدُ– أَوْ مَنِ الْقَوْمُ". قَالُوا: رَبِيعَةُ. فَقَالَ: "مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ أَوْ بِالْوَفْدِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ نَدَامَى"[1].

فكانت معاملة الرسول . صلى الله عليه وسلم . لهم على قدر منزلتهم، فلقيت القبول وأدى هذا إلى التأثير فيهم ومن ثم تحقق التبليغ.

يجب أن نستفيد من هذا الخطاب لنعمل به مع المتعلمين، لأننا نجد بينهم أبناء الطبقة الميسورة، فنعرف كيف نخاطبهم، لأن تربيتهم في البيت ربما تختلف عن بقية التلاميذ فنحاول أن نتصرف معهم بما يناسب هذه التربية لنشعرهم بالاطمئنان، ونستطيع أن نؤثر فيهم بطريقة إيجابية دون تفضيلهم أو تمييزهم عن باقي المتعلمين.

2 . 4 . مراعاة المتعلم من حيث الشدة واللين: تختلف الأخطاء التي تصدر عن الناس، ويتطلب ذلك تتبع أسلوب معين لإصلاح الخطأ، قد تنحو لمساءلة المخطئ؛ جراء سلوكات لا تغتفر، وربما هي أخطاء عامة لا يترتب عنها شيء من ذلك، وإن كانت تستدعي المؤاخذة، وقد سلك الرسول . صلى الله عليه وسلم . مسلك اللين وعدم التعنيف في كل الأمور، مثل ما جاء في خطابه التربوي لذلك المتعجل في صلاته:

"عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَدَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ السَّلاَمَ فَقَالَ: "ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ". فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: "ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ". ثَلاَثًا، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، فَمَا أُحْسِنُ غَيْرَهُ فَعَلِّمْنِي، قَالَ: "إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلاَةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلاَتِكَ كُلِّهَا"[2].

---

[1] . البخاري، كتاب العلم، بَابُ: تَحْرِيضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ عَلَى أَنْ يَحْفَظُوا الإِيمَانَ وَالْعِلْمَ وَيُخْبِرُوا مَنْ وَرَاءَهُمْ، رقم: 87، ج1، ص 45.

[2] . البخاري، كتاب الأذان، بَابُ: حَدِّ إِتْمَامِ الرُّكُوعِ وَالاِعْتِدَالِ فِيهِ وَالاِطْمَأْنِينَةِ، رقم: 760، ج1، ص 274.

نرى كيف علَّم الرسول . صلى الله عليه وسلم . الأعرابي كيفيَّة الصلاة، مركِّزا على الجانب العملي، فكان يطلب منه أن يعيد صلاته لمَّا رأى فيها تقصيرا وعدم التمام "فعلَّمه الصلاة وأمره بالطمأنينة في الركوع والسجود"[1].

وانتهج في ذلك أسلوب اللين والرفق ليتمكن من تبليغ الرسالة؛ فعلمه برفق، وخاطبه بلطف القول، وبهذا الهدي يتحقق المطلوب.

وممَّا سبق ذكره فإنَّ المعاملة بالرفق واللين ليست هي الصورة الوحيدة للتبليغ، بل هناك أحوال يعدل فيها عن هذا الأسلوب، إذا انتهكت محارم الله تعالى، أو انتشر المفسدون في الأرض، ففي تلك الأحوال يلجأ إلى الشدة والقسوة، لأن الإسلام شرع حدودا لا يجوز التهاون فيها، وفي ذلك مراعاة لحال بعض النفوس التي لا ينفع معها أسلوب الترغيب.

وللنبي . صلى الله عليه وسلم . مواقف سلك فيها أسلوب الشدة والإنكار، وذلك في الأمور التي لا تتطلب التسامح في حدود الله، ونجد ذلك في الخطاب:

"عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّتْهُمُ الْمَرْأَةُ الْمَخْزُومِيَّةُ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا مَنْ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلاَّ أُسَامَةُ، حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: "أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ". ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ، قَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا"[2].

فهذا خطاب فيه زجر وشدة، لأن الأمر يحتاج إلى ذلك، وأن الشفاعة في حدّ من حدود الله غير جائز، وأن السرقة تعد من كبائر الذنوب، ويجب تعظيم حرمات الله، كل هذه الأمور جعلت الرسول . صلى الله عليه وسلم . ينكر ما طلبوه منه، وبين لهم لا فرق بين غني وفقير في إقامة الحدود، وحرم المحاباة في شرع الله.

كذلك في المدرسة يجب مراعاة هذه الجوانب مع المتعلمين، فنسلك معهم أسلوب الترغيب في الأمور الهينة حسب طباعهم، وأسلوب الترهيب في الأمور الجادة التي تتطلب الصرامة

---

[1] . ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج2، ص 409.

[2] . البخاري، كتاب الحدود، بَابُ: كَرَاهِيَةِ الشَّفَاعَةِ فِي الْحَدِّ، إِذَا رُفِعَ إِلَى السُّلْطَانِ، رقم: 6406، ج6، ص 2491.

وعدم التهاون فيها، حتى لا تصبح من الأمور العادية، يألفها المتعلمون فتضيع هيبة العلم، ويُستهان بحرمته.

2 . 5 . مراعاة الحالة النفسية للمتعلم: للحالة النفسية تقلُّبات؛ تقبل حينا وتدبر أخرى وتنشط أحيانا، وتفتر، وعليه يجب مراعاة تباين تلك الأحوال غير المستقرة عند التربية ومعرفة أثر ذلك على نفسية المتعلم، فكان النبي . عليه السلام . يراعي ما يناسب المتلقين، ويخاطبهم بما يلائم أحوالهم، فكان يباسط أصحبه ويمازحهم، وكان يعظم ذكرهم، ويعلمهم ويوجههم، ولم يكن يطغى جانب على آخر، فيأتي الخطاب التربوي للمتلقي مراعيا مناسبة كل حال؛ فوقت الفرح ليس كوقت الحزن، وما يحسن في مجلس العلم والذكر قد لا يحسن في مجلس التبسُّط، ومراعاة عامل الظروف والمناسبات له تأثير كبير في نفسية المخاطبين، فعن شقيق أبي وائل قال: كان عبد الله يذكرنا كل يومِ خميس فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، إنا نحب حديثَك ونشتهيه، ولوددنا أنك حدثتنا كلَّ يوم فقال: ما يمنعني أن أُحدثكم إلا كراهية أن أُملَّكم؛ وقد ورد عن ابن مسعود طريقة النبي . صلى الله عليه وسلم . في تعليمه لصحابته حتى لا يملوا وينفروا من الدرس:

"فعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ كَرَاهَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا"[1].

في المدرسة أيضا لا نجعل دروسنا مملَّة، تنفِّر المتعلمين، فيترقبون نهاية الدرس بشغف، علينا أن نتحيَّن ما يبعد السآمة، ونغتنم فرص إقبال نفوسهم.

أ . مراعاته في حالة السرور: فالنفس عند فرحها وسرورها، تتطلع إلى من يشاركها فرحتها؛ لأنَّ ذلك من تمام الفرحة وكمالها، وهو حديث يجد القبولَ في نفس المخاطب وفي قصة كعب بن مالك، بعد أن أنزل الله توبته:

"قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهْوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: "أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ". قَالَ:

[1] . البخاري، كتاب العلم، باب: مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ وَالْعِلْمِ كَيْ لاَ يَنْفِرُوا، رقم:68، ج1، ص 38.

قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: "لاَ، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ". وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ..."[1].

فكان تبليغه بتوبة الله عليه أعظم سرور حدث له في حياته، كما تلقي عفو الرسول . صلى الله عليه وسلم . بغبطة كبيرة ومؤثرة جعلته من خيرة التائبين.

هذه إشارة إلى كيفية معاملة المتلقي أثناء تعليمه، فلا بد من مراعاة نفسيته، فلها إقبال كما لها إدبار، وهنا يكون دور المعلم فعَّالا لتخير الأوقات التي يلاحظ فيها أن المتعلم له قابلية لتلقي العلم، وعليه أن يوجز ويختصر دون إطناب أو إطالة ليبلغ الغاية.

ب . مراعاته في حالة الحزن: وقد جاء الخطاب التربوي أيضا لمواساة المبتلين، حيث خفَّف عنهم مصابهم، وأسدى لهم التوجيه عند وقوع البلية:

"فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقَالَ: "اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي". قَالَتْ إِلَيْكَ عَنِّي*، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي، وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَالَ: "إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى"[2].

فهذه صورة معبّرة عن حال تلك المرأة وهي في حزن شديد، فلم ينهرها النبي عليه السلام أو يعنّفها، بل خاطبها بلين ورفق، وأبان لها أجر الصابرين، وهذا مواساة لحالها وتخفيف عن آلامها.

يجب أن يقتدي المربي بسلوك النبي الكريم، ففيه قاعدة أساسية لمعرفة كيف يعامل المتعلِّم، وهو في حالة نفسية صعبة، فلا خيار له إلا الرفق واللين، لمعالجة المشكلات وتخفيف وقع الآلام عليه، وهذا تحفيز له للنسيان، ورفع للمعنويات.

2 . 6 . مراعاة حق الآخر

يعيش الفرد وسط بيئته الاجتماعية، وعليه أن يتعلم كيفية التعامل مع الآخر، وقد يتلقى هذه المبادئ من المدرسة، لذلك نجد المعلم يسعى لتقديم أفضل النماذج التربوية للمتعلمين

---

[1] . البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، رقم:4156، ج4، ص 1607.

* . إليك عني: اسم فعل بمعنى تنح وابتعد، "إنما الصبر": الكامل الأجر والثواب، "الصدمة الأولى": أول وقوع المصيبة الذي يصدم القلب فجأة، (البخاري، ص 431.)

[2] . البخاري، كتاب الجنائز، باب: زيارة القبور، رقم: 1223، ج1، ص431.

ولا أدل على ذلك من الخطاب النبوي، فكيف تكون معاملة الجار؟ وكيف يكون التصرف مع الضيف؟ فهذه أساسيات حياتية تقود إلى التربية القويمة.

أ . الجار

عَنْ عَائِشَةَ قالت: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي جَارَيْنِ، فَإِلَى أَيِّهِمَا أُهْدِي؟ قَالَ: "إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكِ بَابًا"[1].

في هذا الحديث يستنتج المتلقي:

. وجود هدية.

. وجود جارين. ← "يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي جَارَيْنِ، فَإِلَى أَيِّهِمَا أُهْدِي؟"

. من الأولى بالهدية.

المبلِّغ ←——— يخبر المبلَّغ من الأولى بالهدية:

"إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكِ بَابًا"

فهم المتلقي من هذا الخطاب أن الهدية تكون للجار الأقرب بابا.

فالإخبار هنا يحمل فائدة مهمة تتمثل في:

. الجار الأقرب بابا أولى بالهدية من غيره.

. الجار الأقرب بابا يعرف كل ما يخرج ويدخل دار جاره.

. الجار الأقرب بابا أسرع إجابة لجاره في كل الأحوال.

و..."إنما سألت عمن تبدأ به من جيرانها بالهدية، فأخبرها بأن من قرب أولى من غيره، لأنه ينظر إلى ما يدخل وما يخرج منها، فإذا رأى ذلك أحب أن يشاركه فيه وأنه أسرع إجابة لجاره عند النوائب العارضة له في أوقات الغفلة، فلذلك بدئ به على من بعد"[2].

ومن ثمَّ تتمثل الفائدة التربوية في:

. الترغيب في الإحسان إلى الجار.

. بذل الهدية إلى أقرب الجيران منزلة.

. تفضيل الجار الجنب على غيره.

. الجار الأقرب بابا هو أقرب إجابة لما يقع لجاره.

---

[1] . البخاري، كتاب الأدب، باب: حق الجوار في قرب الأبواب، رقم: 5674، ج5، ص2241.

[2] . عون الباري، كتاب الشفعة، باب أي الجوار أقرب، ج3، ص 131.

. هو أقرب الناس علما بحالك وسر بيتك.

. الهدية تجلب المودة، وتكذب سوء الظن.

ويمكن تبليغ هذه المعلومات للمتلقين مع التنبيه للشاهد ليكون خير دليل، لأن الإحسان إلى الجار من أساسيات الحياة.

ب . الضيف

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ"[1].

إن الفعل التربوي الوارد في هذا الحديث متعلق بالشرط :

. من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، والجواب: فلا يؤذ جاره، فليكرم ضيفه، فليقل خيرا أو ليصمت.

تضمن الفعل التبليغي أخبارا متنوعة، تجمع مكارم الأخلاق القولية والفعلية:

يؤمن ⟸ الإيمان الكامل الموصل إلى رضا الله تعالى.

اليوم الآخر ⟸ يوم القيامة لا يوم بعده، ذكر للترهيب لأنه قادم لا محالة.

أراد المبلغ أن يخبر المتلقي ويفيده في نفس الوقت بما يأتي:

. التعريف بحق الجار، والحث على إكرامه، والتحذير من إيذائه بالقول أو بالفعل.

. الأمر بإكرام الضيف، والقيام بخدمته، والإحسان إليه.

. رعاية الجوار والضيافة مما يدل على كمال الإسلام.

. الخطاب التربوي موجه لتقوية الروابط بين الناس.

. الترغيب في الصمت إذا كان الكلام غير نافع.

. التحذير من آفات اللسان، وقول الخير والسكوت عن الشر.

فيحمل الفعل التربوي توجيهات توثق صلة الناس بخالقهم، وصلة بعضهم ببعض، لتسود العلاقات الإنسانية الكريمة، كما نجد قانون الإخبارية ينطبق على أفعال الكلام الدالة على الطلب بنية الأمر والإرشاد، حيث تتحقق بتطبيق المتلقي لها.

[1] . البخاري، كتاب الأدب، باب: إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه، رقم:5785، ج5، ص 2273.

ونوضح ذلك في المشجر الآتي:

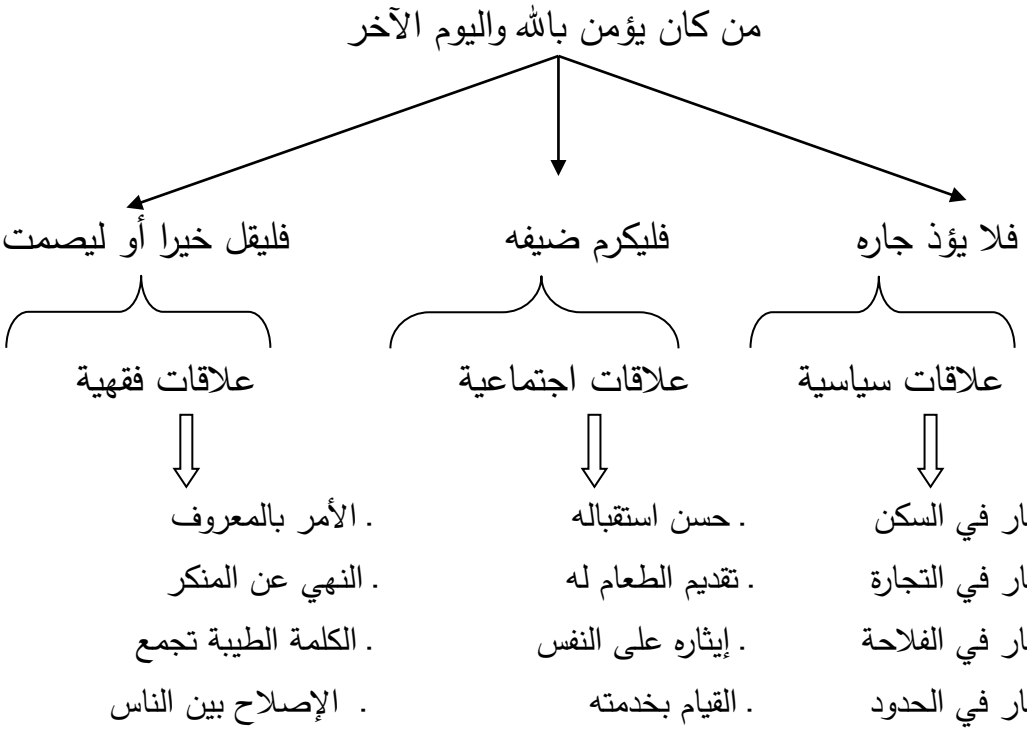

فأفعال الطلب أدت إلى تحقيق علاقات متنوعة ومتكاملة، كما أسهم الخطاب التربوي في ترسيخ هذه المفاهيم.

2 . 7 . مراعاة الجانب السلوكي للمتعلمين

نرى في الجانب السلوكي أساسيات كثيرة، وباستنطاقنا للخطاب التربوي في صحيح البخاري نجد أن النبي الكريم قد راعى هذه الجوانب، ولم يترك جانبا إلا وأشار إليه ودعا إلى تعلُّمه، ونذكر بعضها مستشهدين بأحاديث شريفة، منها:

أ . حفظ الوقت: عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا"[1].

يحمل هذا الخطاب التربوي تحذيرا مخيفا لكل من يقضي فراغه في اللهو والضحك وهذا التحذير ناتج عن انغماس الإنسان في أمور اللهو والعبث واللغو، وصرف العمر والسنين في مسائل لا قيمة لها في الميزان الإلهي، وفي رصيد العمل الصالح.

ويتضمن الفعل التربوي ما يلي:

. لو تعلمون ما أعلم

. المبلغ يعلم حقائق كثيرة أخفاها الله عن عباده رحمة بهم.

. المبلغ يعلم عقاب المذنبين والخاطئين.

. المبلغ يعلم، ولم يؤمر بإبلاغها إلى الناس.

. لضحكتم قليلا ← فيه ترهيب للذين ينغمسون في شهوات الدنيا وملذاتها.

. لبكيتم كثيرا ← فيه ندم شديد على التفريط في إهدار سنين العمر في العبث.

يحمل الإخبار مقابلة لها قوة التأثير في المتلقي، نوضح دلالتها في المخطط الآتي:

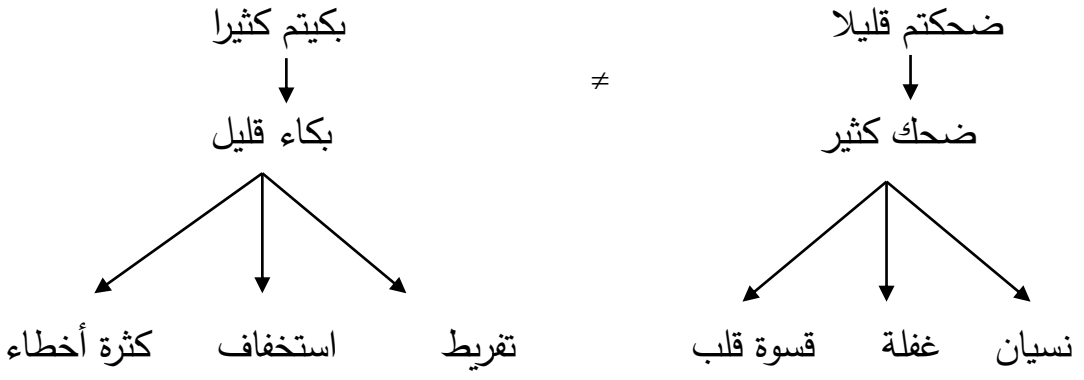

[1] . البخاري، كتاب الرقاق، بَابُ: قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا"، رقم: 6120، ج5، ص 2379.

الفعل التربوي: موت القلب، وضياع النفس بين شواغل الدنيا وملذَّاتها.

على المبلغ أن يشدد القول لتحذير المتعلمين الذين يضيعون أوقاتهم في توافه الأمور فالوقت هو عمر الإنسان، إذا لم يستغله في ما يفيد خسر كل شيء.

ب . حفظ الأمانة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ". قَالَ كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "إِذَا أُسْنِدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ، فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ"[1].

أراد المبلغ من خلال هذا الخطاب التربوي أن ينقل معلومة لها قيمة تربوية يستفيد منها المتلقي:

. "إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ" ⟸ الخطاب بصيغة المبني للمفعول (ضُيِّعت)، فيه دلالة عامة، ليست مقتصرة على شخص معين، فالأمانة قوة في حفظ الحقوق، وتحمل معاني كثيرة، منها:

. الأمانة في الدِّين ⟸ التمسُّك به، وتبليغه.

. الأمانة في الإيمان ⟸ أداء الأوامر واجتناب النواهي.

. الأمانة في نعم الله ⟸ يجب استعمالها وفق ما أراد المؤتمن.

. الأمانة في كل مجالات الحياة ⟸ يجب مراعاتها في المال والعرض، والجسد والروح، والمعارف والعلوم، والولاية والوصاية، والفكر والرأي، والسلطة والقرار وغير ذلك...

فإن ضاعت الأمانة ⟵ فانتظر الساعة، ودلالتها: قرب قيامها، لاختلال في النظام، وضعف أحكام الدين، "ومعنى الضياع: أن لا يبقى اعتمادٌ لأحد على أحد، لا في الدين ولا في الدنيا"[2].

فالإخبار في هذا الفعل التبليغي يحمل علامتين متلازمتين من علامات الساعة:

---

[1] . البخاري، كتاب الرقاق، باب: رفع الأمانة، رقم: 6131، ج5، ص 2372.

[2] . محمد أنور الكشميري، فيض الباري على صحيح البخاري، تحقيق: محمد بدر عالم الميرتهي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2005م، ج1، ص 241.

. العلامة الأولى ⟵ تضييع الأمانة.

. العلامة الثانية ⟵ توسيد الأمر إلى غير أهله.

ونجد أن العلامة الأولى مرتبة على الثانية، يقول ابن حجر: "إن إسناد الأمر إلى غير أهله إنما يكون عند غلبة الجهل ورفع العلم، وذلك من جملة الأشراط".[1]

والفائدة المستقاة من هذا الفعل التبليغي:

. أن الأمَّة التي لا أمانة لها تنتشر فيها الرشوة، وتضيع الحقوق.

. لا تقتصر الأمانة على أداء الأموال والوفاء بالعهود، بل هي شجرة الإيمان الوافرة.

. يقدم هذا الخطاب التربوي منهجا علميا بليغا في معرفة الأمانة.

. فيه تبليغ المتلقي بأهمية الأمانة، وضياعها من منذرات قيام الساعة.

ج . التحذير من النفاق

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا، أَوْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ"[2].

يأتي الفعل التبليغي مجملا في قوله "أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا"، يريد المبلغ من خلال هذا الخطاب التربوي أن ينقل فائدة هامة إلى المتلقي وهي:

. التحذير من خصال النفاق، وتفصيلها كالآتي:

- إذا حدث كذب ⟵ فالإنسان السوي صدوق في قوله وعمله.
- إذا وعد أخلف ⟵ فالإنسان السوي يفي بما وعد به، وهو خير كله.
- إذا عاهد غدر ⟵ فالإنسان السوي يحفظ العهد ويصون الود.
- إذا خاصم فجر ⟵ فالإنسان السوي يسعى إلى السلام عند الخصام.

وهنا تظهر النتائج العملية لهذا الخطاب، فمن خلال المعطيات الأولية نتوصَّل إلى ما يفيد المتلقي، للتحلّي بالخصال الرفيعة التي يجب أن يكون عليها الإنسان السوي. "وهي

[1] . ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج1، ص 143.

[2] . البخاري، كتاب المظالم، باب إذا خاصم فجر، رقم: 2327، ج2، ص 868.

التي تميز القول الذي يمثل قاعدة لاستخلاص حجاج بإمكانه تغيير مخزون معارف ومعتقدات الشخص"[1]، لأن الإفادة في التغيير، وإلا أصبح الخطاب مجرد كلام عادي.

وسنوضح هذه القاعدة في الشكل أدناه:

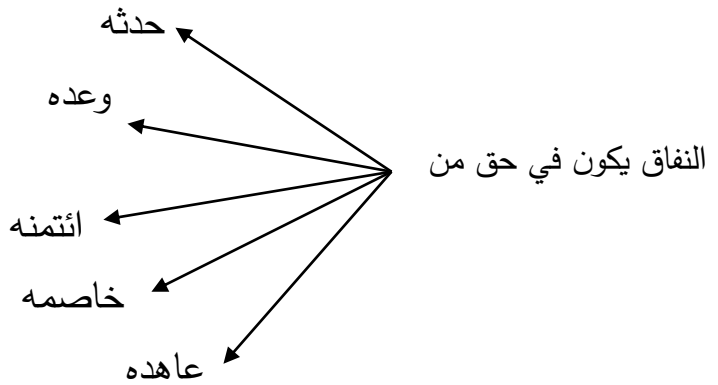

وقد تتفرع عن صفات المنافقين أشياء أخرى، مثل:

الخداع، والمكر، والعدوان على الناس، والرياء في أعمالهم، والغفلة عن عباداتهم والتثاقل في واجباتهم، وغير ذلك، وليبتعد المتلقي عن هذا السبيل المهلك يجب أن يستفيد من الخطاب التربوي الموجَّه إليه، ويدرك أن النفاق أساس كل الشرور، وكفيل بإهلاك العبد ما لم يتب.

د . نبذ الإطراء

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلاً يُثْنِي عَلَى رَجُلٍ، وَيُطْرِيهِ فِي مَدْحِهِ فَقَالَ: "أَهْلَكْتُمْ– أَوْ قَطَعْتُمْ– ظَهْرَ الرَّجُلِ"[2].

يحمل الفعل التبليغي حقيقة لها أبعاد تربوية تفيد المتلقي في حياته؛ أراد المبلغ أن يعلم المبلَّغ كيف يتلقى الثناء والمدح من الآخر:

الثناء ⟵ مدح مكرر، وهو أخص منه.

الإطراء ⟵ المبالغة في المدح ومجاوزة الحد.

ويكون المدح في حالتين:

---

[1] . عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي، ص 104.

[2] . البخاري، كتاب الشهادات، باب: ما يكره من الإطناب في المدح، وليقل ما يعلم، رقم: 2520، ج2، ص 947.

أولا: في حضور الممدوح، وهذا منهي عنه لئلا يصاب بالغرور، كما يكره الإطناب في الثناء، ويشار "إلى أن الثناء على الرجل في وجهه لا يكره، وإنما يكره الإطناب"[1].

ويترتب عن هذا:

. الإصابة بالغرور، "فيرى أنه عند الناس بتلك المنزلة، فيترك الازدياد من الخير، ويجد الشيطان إليه سبيلا، ويوهمه في نفسه حتى يضع التواضع لله، وكان السلف الصالح يقولون: إذا أثني على أحدهم: اللهم اغفر لنا ما لا يعلمون واجعلنا خيرا مما يظنون"[2].

. الافتتان بما يقال فيه، فيجره هذا إلى الفساد.

. حب المدح من الشهوات، فجبلت النفس على ذلك بطبيعتها.

. حب المدح يؤدي إلى إحباط العمل.

. وإن خيف عليه شيء من هذه الأمور كُره مدحه كراهة شديدة.

ثانيا: في غير حضور الممدوح، فلا مانع من ذلك إذا لم يدخله كذب.

ويترتب عن هذا ما يلي:

. أن يكون في مدحه خير وتشجيع له.

. ذكر محاسنه عند الغير تجعلهم يجتهدون في الاقتداء به.

. الناس محبون لمن أحسن إليهم.

. إن المدح لا يزيد رزقا ولا يمد في أجل.

ويبقى الإطراء من الخصال المرفوضة، هذا ما أدلى به المبلغ حين قال:

"أَهْلَكْتُمْ- أَوْ قَطَعْتُمْ- ظَهْرَ الرَّجُلِ" ←—— أي أثقلتموه بالإثم الكبير الذي يقطع الظهر، "وإنما قال: "أهلكتم" لئلا يغتر الرجل ويرى أنه عند الناس كذلك بتلك المنزلة ليحصل منه العُجب فيجد إليه سبيلا"[3].

فيهدف الخطاب إلى نبذ كيل ألفاظ الثناء والإطراء لمن ليس له بأهل، لأنها تؤدي إلى مخاطر كثيرة، سواء على الصعيد الاجتماعي، أم في التعامل، أم في الوظائف.

هـ . نبذ التحاسد والتباغض

---

[1] . بدر الدين العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، ج13، ص 339.

[2] . ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج8، ص 48.

[3] . بدر الدين العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، ج13، ص 339.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا".[1]

من قواعد الخطاب الناجحة، أن يحمل الكلام فائدة عندما تصل المتلقي تترك أثرا وغالبا ما يكون أثرها إيجابيا، وقد ورد في هذا الخطاب مجموعة من السلوكيات التربوية، جاء في مستهله تحذير من خلق ذميم، ألا وهو سوء الظن بالناس:

"إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ" ⟵ لا يقبل المسلم شيئا دون التحقق منه كذلك لا يتخذ موقفا أو يبني رأيا على أخبار منقولة، وإنما على شيء ثابت.

والقاعدة التربوية أن يقول:(رأيت) ⟵ فهذا حق.

لا يقول: (سمعت) ⟵ فهذا باطل.

من صفات المؤمن التحقق والتبين.

وينتج عن سوء الظن بقية السلوكيات المشينة:

. التحسس ⟵ التصنت على حديث الناس.

. التجسس ⟵ تتبع عورات الناس.

"قال الحافظ أبو ذر: التحسس بالحاء: الطلب لنفسه، والتجسس الجيم: الطلب لغيره، وقيل بالجيم: البحث عن عورات الناس، وبالحاء: استماع حديثهم، وقيل بالجيم: البحث عن بواطن الأمور، وبالحاء: البحث عما يدرك بحاسة العين أو الأذن"[2].

. التحاسد ⟵ تمني شخص زوال النعمة عن مستحق لها.

"النهي عن التحاسد ليس مقصورا على وقوعه بين اثنين فصاعدا، بل الحسد مذموم ومنهي عنه ولو وقع من جانب واحد"[3].

. التدابر ⟵ التهاجر؛ أن يولي الرجل الآخر دبره إذا أعرض عنه حين يراه.

. التباغض ⟵ تعاطي أسباب البغض.

وبعد التحذير من هذه الأخلاق السيئة، يتحقق الفعل التبليغي الآتي:

---

[1] . البخاري، كتاب الأدب، باب: ما ينهى عن التحاسد والتدابر، ج5، رقم: 5717، ص 2253.

[2] . انظر: الإمام البخاري، عون الباري لحل أدلة البخاري، كتاب الأدب، ج5، ص332.

[3] . المصدر نفسه، ص 333.

"وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا" ـــــــإذا تركتم المنهيات السابقة، "هذه الجملة تشبه التعليل لما تقدم، كأنه قال: إذا تركتم هذه المنهيات كنتم إخوانا، ومفهومه: إذا لم تتركوها تصيروا أعداء، ومعنى (كونوا إخوانا) اكتسبوا ما تصيرون به إخوانا مما سبق ذكره"[1].

في هذا الفعل التربوي تجلَّت قاعدة تربويّة نافعة، بشرط أن يلتزم المتلقي بمحتواها:

. أن يترك الخوض في ما لا يعنيه.

. أن يجتنب الشبهات حتى لا يكون عرضة للكلام عليه.

. أن يحسن الظن بإخوانه، فيحمل ما يصدر عنهم من قول أو فعل على محمل حسن.

. لا يتمنى زوال النعمة عن الآخر؛ لأن هذا السلوك نقيصة كبيرة.

. المؤمن يغبط؛ لأنه يرى فضل الله واسعا يكفي كل خلقه.

. أن يقبل على نفسه، فيصلح شأنها، ويقوّم خطأها، ويرتقي بها إلى مراتب الآداب والأخلاق.

. أن يحرص على سلامة صدره على إخوانه، ويحذر من كل الآفات الضَّارة بالدين والدنيا.

ويرمي الفعل التربوي في هذا الخطاب إلى أن أصل الكلام الإفادة، ومما لاشك فيه أن ما سبق يحمل إعمال الكلام في المتلقي، من أجل توصيل سلوك تربوي يجب الالتزام به كذلك على المعلّم أن يربي الناشئة على هذه الأخلاق.

و . نبذ الإسراف

"عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَمَرَنَا النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعٍ: بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، وَنَصْرِ الضَّعِيفِ، وَعَوْنِ الْمَظْلُومِ، وَإِفْشَاءِ السَّلاَمِ، وَإِبْرَارِ الْمُقْسِمِ. وَنَهَى عَنِ الشُّرْبِ فِي الْفِضَّةِ، وَنَهَى عَنْ تَخَتُّمِ الذَّهَبِ، وَعَنْ رُكُوبِ الْمَيَاثِرِ، وَعَنْ لُبْسِ الْحَرِيرِ، وَالدِّيبَاجِ، وَالْقَسِّيِّ، وَالإِسْتَبْرَقِ"[2].

أراد المبلغ أن يقدم مجموعة من الأوامر، حدَّد عددها بسبع:

. عيادة المريض.

. اتباع الجنائز.

. تشميت العاطس.

---

[1] . المصدر نفسه، ص 333، 334.

[2] . البخاري، كتاب الاستئذان، باب: إفشاء السلام، رقم: 5881، ج5، ص 2302.

. نصر الضعيف.

. عون المظلوم.

. إفشاء السلام.

. إبرار القسم.

وفي المقابل قدَّم مجموعة من النواهي، حدد عددها أيضا بسبع:

. الشرب في الفضة.

. تختم الذهب.

. ركوب المياثر[1].

. لبس الحرير.

. لبس الديباج.

. لبس القسي[2].

. لبس الإستبرق[3].

وتحمل هذه الأوامر والمنهيات قاعدة تربوية هامة، إذا أخذ بها المبلَّغ فاز فوزا عظيما لما فيها من خصال حميدة، تحقق التكافل الاجتماعي بين الناس من جهة، ونبذ للبذخ والإسراف من جهة أخرى، كما تحمل دلالات أخرى؛ صحية ونفسية، واقتصادية وغيرها.

ز . إعطاء الطريق حقه

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ". فَقَالُوا مَا لَنَا بُدٌّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا. قَالَ: "فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجَالِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا". قَالُوا وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: "غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلاَمِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ"[4].

---

[1] . "قال أبو عبيدة: وأما المياثر الحمر التي جاء فيها النهي فكانت من مراكب الأعاجم من ديباج أو حرير".

أنظر: بدر الدين العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، ج22، ص369.

[2] . "قال الطبري: القسي ثياب تعمل من الحرير بقرية مصر يقال لها: القسي".

أنظر: نقله ابن بطال في شرح صحيح البخاري، ج9، ص113.

[3] . "والإستبرق: غليظ الديباج والحرير، وهو بالفارسية استبره، وكان الأصمعي يقول: عربتها العرب".

أنظر: ابن بطال في شرح صحيح البخاري، ج9، ص 124.

[4] . البخاري، كتاب المظالم، باب: أفنية الدور والجلوس فيها والجلوس على الصعدات، رقم: 2333، ج2، ص 870.

يتشكل الفعل التبليغي في هذا الخطاب التربوي من عدة نصائح:

. التحذير من الجلوس في الطرقات، "إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ"، لأن الأصل في الأفنية والطرقات أنها ليست للجلوس، لما يترتب من إيذاء الآخرين، وضياع للأوقات بما لا يفيد.

. إعطاء الطريق حقها، ما حقُّ الطريق؟

. غضَّ البصر ⟵ كفه ومنعه من الاسترسال في التأمل والنظر إلى ما حرم الله.

. كف الأذى ⟵ القولي والفعلي.

. ردّ السلام ⟵ على المار، أن يسلم الماشي على القاعد كما ورد في السنة.

. أمر بالمعروف ⟵ الحث على الخير والترغيب فيه.

. نهي عن المنكر ⟵ الطريق مليئة بالمنكرات والمفاسد والفتن، فالنهي واجب.

كما يدخل في ذلك كل ما يؤذي سالك الطريق، أو يضايقه.

وتقدم القاعدة التربوية في هذا الخطاب إلى ضمانات وقائية، تجلب المصالح وتدفع المفاسد والشرور، "وقد تبين من سياق الحديث أن النهي عن ذلك للتنزيه لئلا يضعف الجالس عن أداء الحق الذي عليه، وأشار بغض البصر إلى السلامة من التعرض للفتنة بمن يمر من النساء وغيرهن، وبكف الأذى إلى السلامة من الاحتقار والغيبة ونحوها، وبرد السلام إلى إكرام المار، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى استعمال جميع ما يشرع وترك جميع ما لا يشرع"[1].

ونوضح ذلك في الشكل الآتي:

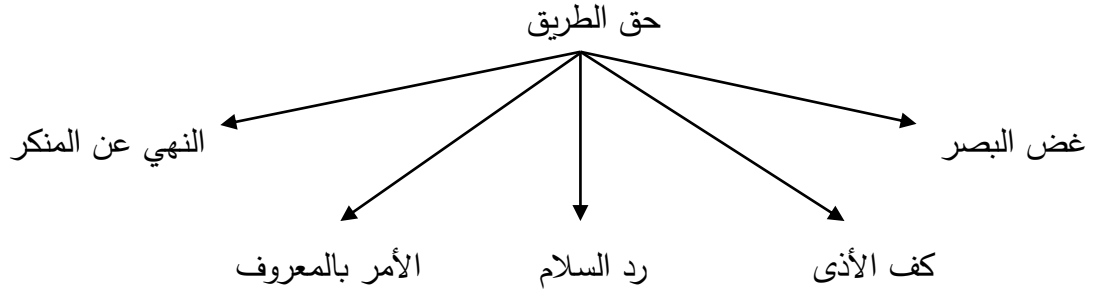

[1] . ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج5، ص 135.

يستفيد المتلقي من هذه التعاليم النبوية، فيرقى إلى معالي الأمور، وسمو الأخلاق وعلو الآداب، "والقول المفيد هو ذلك الذي تنجرّ عنه نتائج عملية تكون في فائدة المستمع"[1]. وهذه وصيّة فيها فوائد عملية، وجهت إلى مجتمع الصحابة؛ مجتمع العفَّة والطهر، فكيف لو رأوا مجتمع اليوم؟

ح . نبذ السلبية

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لاَ طِيَرَةَ، وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ". قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ"[2].

إذا كان الخطاب الموجه إلى المتلقي يحمل فائدة، فستكون نتائجه العملية موفقة، "لأن هناك أقوالا غير إخبارية ولكنها مفيدة، ... وهناك أقوالا مخبرة غير مفيدة لأنها لم تأت بأي نفع للشخص الذي وجهت إليه"[3]، وحين نتأمل هذا الخطاب ندرك أن هذه القاعدة ستفي بالغرض، فقوله: (لا طيرة) تحمل النهي عن عادة اكتسبها الإنسان من عهد الجاهلية، وما زالت راسخة في معتقداته إلى يومنا هذا، فالخبر يحمل فائدة إلى المتلقي:

الطيرة هي التشاؤم، ولا يكون إلا فيما يسوء، قال الإمام النووي: "والتطير: التشاؤم وأصله الشيء المكروه من قول، أو فعل، أو مرئي"[4].

ويقول طاهر بن عاشور: " وأما التطيّر فقد صاغوه على وزن التفعّل؛ لما فيه من تكلف معرفة حظ المرء بدلالة حركات الطير، أو هو مطاوعة؛ يسمي بها ما يحصل من الانفعال من أثر طيران الطير"[5].

والفائدة العملية من هذا الخطاب التربوي تتمثل في تحريم هذه العادة، ومحاولة محاربتها من العقول، فالتطير لا يحدث خيرا أو شرا، إنما هو شرك بالله تعالى.

ثم أعطاه البديل الموصل إلى المنهج القويم، بقوله:

---

[1] . عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي، ص 104.

[2] . البخاري، كتاب الطب، باب: الفأل، ج5، رقم:5423، ص 2171.

[3] . عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي، ص105.

[4] . النووي، شرح صحيح مسلم، ج4، ص2261.

[5] . طاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ط1، 1984م، ج9، ص 65.

(وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ). والفأل ضد الطيرة، قال ابن تيمية: "الفأل: هو أن يفعل أمرا، أو يعزم عليه متوكلا على الله، فيسمع الكلمة الحسنة التي تسره مثل أن يسمع "يا نجيح" "يا سعيد"، "يا منصور"، ونحو ذلك"[1] ، وقال ابن بطال: "وقد جعل الله في فطرة الناس محبّة الكلمة الطيبة والأنس بها، كما جعل فيهم الارتياح للبشرى وبالمنظر الأنيق، وقد يمر الرجل بالماء الصافي فيعجبه وهو لا يشربه، وبالروضة فتسره وهي لا تنفعه"[2].

لذلك فهناك فرق بين الطيرة والفأل، "يقول الخطابي: "والفرق بين الفأل والطيرة: أن الفأل إنما هو من طريق حسن الظن بالله ـ تعالى ـ والطيرة إنما هي من طريق الاتكال على شيء سواه"[3].

تتمثل القاعدة التربوية في هذا الفعل التبليغي في النقاط الآتية:

أولا: محاربة الطيرة، وذلك:

ـ بالتوكل على الله.

ـ والمضي في طلب الحاجة دون التأثر بخاطر الطيرة.

ـ وطلب الخير من الله تعالى والتعوذ من الشر.

ـ ومقاومة التشاؤم والتطير واليأس.

ـ والمستفاد أن منهج الإسلام يحارب العادات الاجتماعية ذات الآثار السلبية، التي تعود بالضرر على الفرد والمجتمع، ويجد البدائل ذات الآثار الإيجابية النافعة.

ثانيا: التفاؤل، ومن فوائده:

ـ حسن الظن بالله تعالى.

ـ جلب السعادة إلى النفس والقلب.

ـ فيه ترويح للنفس وسرور لها.

ـ فيه تقوية للعزائم، وباعث للجد.

ـ فيه اقتداء بالسنة المطهرة، وأخذ بالأسوة الحسنة.

---

[1] ـ ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج23، ص 41.

[2] ـ ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج9، ص 437.

[3] ـ نقله ابن بطال في شرح صحيح البخاري، ج9، ص 436.

وخلاصة القول لما ورد في هذا الخطاب التربوي: أنه لابد من محاربة التشاؤم ومقاومة الفتور والفوضى والانهزام النفسي، ويجب الالتفات إلى الكلمة الطيبة والفأل الحسن، لما لهما من أثر معنوي من جهة، ومن حض على العمل الصالح من جهة أخرى، فلا تفضي بصاحبها إلى المعصية، ومخالفة المنهج القويم.

ومما لا شك فيه أن المبلغ قد حقق إفادة، حيث وضح مدلول الطيرة، ولا بد من تركها، وحث على التفاؤل ويجب الأخذ به، ثمّ تلقين كلَّ هذه القواعد التربوية للنشء ليكون تعليمه قائما على أساس راسخ، وهذا غاية ما نطمح إليه.

هذه بعض الخصائص التي تميزت بها لغة الخطاب التربوي في صحيح البخاري ولا يسعنا المجال لذكر كل الأحوال التي راعاها، فاخترنا عينة لنشير إلى الفلسفة التربوية التي انتهجها سيد البشرية جمعاء، لتكون نبراسا نقتدي بنورها في تعاملنا مع بعضنا بعض في خضم هذه الحياة.

وقد رأينا كيف وظف المبلّغ في خطابه التربوي كثيرا من الصيغ الملائمة لأحوال المتلقين، حيث كان لانتقاء اللفظة مكانها المناسب للحال، والمعنى المطابق للمقام، وبذلك تحقّق الهدف من التبليغ، وعلى إثر ذلك يستطيع كل مبلّغ أن ينحو هذا السمت القويم لبلوغ المرام.

ودور المربّين هو اسثمار مثل هذه الخطابات في الدراسات التربوية الحديثة، وتطبيقها في مدارسهم مع التلاميذ، والطلبة، عساها تؤتي أكلها ولو بعد حين.

وعقب هذا الفصل رأينا أن ندرج فضل التربية النبوية على العالمين، ونذكر بعض الآراء المختلفة لمن كانت لهم زعامة الدنيا؛ علما، وفلسفة، وقيادة، حيث استقطبت الفلسفة التربوية النبوية اهتمامات البشرية جمعاء، فوقفوا مشدوهين أمام عبقرية محمد . صلى الله عليه وسلم . وكيف ربى الناس انطلاقا من رسالته المكلف بتبليغها، ولأن هذه الرسالة عالمية المقصد، فليس من العجب أن يتأثر بها غير المسلمين، بل ويسيروا على خطاه ونحن في هذا القرن وصلتنا آراء بعض المشاهير؛ من فلاسفة، وأدباء، وزعماء ورؤساء ندرج بعضا منها:

قال عنه الدكتور "زويمر" (مستشرق كندي ت سنة 1900م): "إن محمداً كان ولا شك من أعظم القواد المسلمين الدينيين، ويصدق عليه القول أيضاً بأنه كان مصلحاً قديراً وبليغاً

فصيحاً وجريئاً مغواراً، ومفكراً عظيماً، ولا يجوز أن ننسب إليه ما ينافي هذه الصفات وهذا قرآنه الذي جاء به وتاريخه يشهدان بصحة هذا الادعاء"[1].

وقال "برناردشو" (فيلسوف أنجليزي تـ سنة 1902م): "إن العالم أحوج ما يكون إلى رجل في تفكير محمد، هذا النبي الذي وضع دينه دائما موضع الاحترام والإجلال، فإنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات، خالدا خلود الأبد، وإني أرى كثيرا من بني قومي قد دخلوا هذا الدين على بينة، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة(يعني أوربا)"[2].

قال تولستوي (ليف تولستوي الأديب العالمي الروسي، تـ 1910م): "يكفي محمداً فخراً أنّه خلّص أمةً ذليلةً دمويةً من مخالب شياطين العادات الذميمة، وفتح على وجوههم طريقَ الرُّقي والتقدم، وأنّ شريعةَ محمدٍ، ستسودُ العالم لانسجامها مع العقل والحكمة"[3].

وقال "مايكل هارت"(وهو فيزيائي فلكي أمريكي، ولد سنة 1932م): "لقد اخترت محمدا . صلى الله عليه وسلم . في أول هذه القائمة، ولا بد أن يندهش كثيرون بهذا الاختيار ومعهم حقّ في ذلك، لكن محمدا عليه السلام الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين: الديني والدنيوي"[4].

كما افتتح رئيس أمريكا "أوباما" الحفل الذي انعقد في يوم 5 فبراير 2009م، ووجه خطابا إلى شعبه يحثهم على ترسيخ مبدأ التعاون، والتكافل فيما بينهم، وأنه أساس الحب والتقدم في الحياة، وقد استشهد بالحديث النبوي الشرف الآتي:

In Islam, there is a hadith that reads : « None of you truly believes, until he wishes for his brother what wishes for himself » .

"لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"[5].

كذلك نجد "أنجيلا ميركل" المستشارة الألمانية، بعد الأزمة الاقتصادية استعانت بحديث الرسول . صلى الله عليه وسلم . عن التعاملات الاقتصادية وهو "لا بيع ما لا عندك" بعد

---

[1] . موقع الدكتور طارق عبد الحليم، ماذا قال المستشرقون غير المسلمين في محمد . صلى الله عليه وسلم . يوم 13 ماس 2008م الساعة: 13.16 http://www/tariqabdelhaleem.net

[2] . المرجع نفسه.

[3] . المرجع السابق.

[4] . مايكل هارت، الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ترجمة: أنيس منصور، المكتب المصري، إنتاج جدران المعرفة للنشر الالكتروني المجاني، ص 15.

[5] . البخاري، كتاب الإيمان، بَابُ: مِنَ الإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، رقم: 13، ج1، ص 14.

مقابلتها لخبير اقتصادي سعودي، وذكر لها أسس المعاملات في الإسلام، فاقتنعت بهذه النظرية، وعلى إثرها أصدرت قانونا في بلدها يخضع لهذا الحديث.

والحديث في صحيح البخاري:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنِ ابْتَاعَ طَعَامًا فَلاَ يَبِعْهُ حَتَّى يَسْتَوْفِيَهُ". زَادَ إِسْمَاعِيلُ: "مَنِ ابْتَاعَ طَعَامًا فَلاَ يَبِعْهُ حَتَّى يَقْبِضَهُ"[1].

فهذه المبادئ التي نادى بها هؤلاء، تضمنت العقائد الصحيحة التي تقبلها العقول السليمة والفطرة البريئة وتطمئن إليها النفوس الصافية، بالإضافة إلى كل ما تشتمل عليه من مبادئ وتشريعات وتنظيم لعلاقات الإنسان بربه، وإفادته بكل ما في هذا الكون الواسع من عناصر وأجزاء مادية ومعنوية، كله يهدف إلى خيري الدنيا والآخرة، كما تصلح لكل بني البشر مهما تباعدت مساكنهم واختلفت أجناسهم، واستيعابها جميع متطلبات العصر الحديث المعقولة، وعلى مواكبة كل تقدم ثقافي وحضاري واقتصادي حقيقي، وإرضائها وتحقيقها لكافة الاحتياجات والمطالب اللازمة للفرد والمجتمع والأمة، وعليه فهي مصدر صالح لاشتقاق فلسفتنا العامة والتطبيقية في مجالات التربية والتنمية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

ومهما أدرجنا من آراء لا يمكن الإحاطة بما احتوته الفلسفة التربوية النبوية من مناهج شاملة ومتكاملة في مختلف المجالات.

[1] . البخاري، كتاب البيوع، بَابُ: بَيْعِ الطَّعَامِ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ، وَبَيْعِ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ، رقم: 2028، ج2، ص 2031.

الخـاتمـة

بعد مسيرة غير يسيرة خضناها في دروب البحث عن لغة الخطاب التربوي وفق نظريتي التبليغ والتداول، في مدونة صنفت في المرتبة الثانية بعد كلام الله . عز وجل . وهي ما صحَّ من أقوال وأفعال النبي المصطفى . عليه أفضل صلاة وأزكى سلام . حيث جمعها وصححها، وأخرجها الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، في كتابه المعروف "صحيح البخاري".

نختم هذا العمل بحوصلة نضعها في قالب النتائج، عساها تنير درب الباحثين عن المنهج القويم الذي ارتضاه لنا خير معلِّم، وأعظم مربّ، وقصاراتنا أن ننال أجر الدعاء بالخير والثبات على الحق.

أهم النتائج

في مستهل هذا البحث أفردنا بعض الإضاءات النظرية الخاصة بمفاتيح العنوان فتطرقنا إلى مفهوم الخطاب بصفة عامة، وعرفنا أن مصطلح (الخطاب) مصطلح تناولته الدراسات النقدية الحديثة، ثم تداوله النقاد العرب لاحتكاكهم بالتيارات النقدية المعاصرة، وقد اختلف مفهومه عند علماء الأصول، لاقترانه بالتشريع الديني، ويعد الخطاب النبوي من أكثر الخطابات إقناعا بعد الخطاب القرآني، ومن خلاله بيّنا أن الخطاب تواصل إنساني تحققه اللغة الإنسانية.

وفي مفهوم التربية، أدركنا أن التربية هي الحياة، وليست إعدادا للحياة، وجوهرها الإنسان مهما تنوعت تعريفاتها، ومهما أرّخ لها الفلاسفة؛ حين رأوا بأن الإنسان لا يصبح إنسانا إلا بالتربية، ومن دونها يكون الإنسان جسدا بلا روح، وتمتد من المهد إلى اللحد، وهي إعداد المرء ليحيا حياة متكاملة؛ قويا في جسمه، ورفيعا بخلقه ومنظما في تفكيره، ورقيقا في شعوره، وماهرا في عمله، ومتعاونا مع غيره، ويحسن التعبير بقلمه ولسانه، ويجيد العمل بيده.

ورأينا اهتمام التربية بأمر التعليم، لأنه الأداة الرئيسة لتحقيق التربية المقصودة بصورتها المثلى، فالتعليم ساعد كثيرا في غرس المفاهيم التربوية أيّا كانت، فأصبح يشكل وفقها ثنائية ثابتة ومستمرة، بل أصبحت توأمة لا فكاك لها.

وقد انفرد الخطاب التربوي في صحيح البخاري بسمات وخصائص تجعله الأنموذج الأمثل يتفوق على كل ما جادت به محابر الفلاسفة والمربين عبر كل العصور.

وفي مفهوم التبليغ توصلنا أن مصطلح (التبليغ) دلَّ على معاني القوة والشدة والإحكام، كما تضمن معنى التوكيد، الذي يناسب لغة الخطاب التربوي، لأنه ارتكز بالدرجة الأولى على بناء الإنسان أخلاقيا، ومعرفيا، ومهنيا، واختيارنا للفظ (التبليغ) فيه دلالة التواصل أو التوصيل، لأن طبيعة الخطاب التربوي تطلبت توظيف هذه اللفظة، فهي الأنسب للموضوع.

وفي التداول تتبعنا جذورها الفلسفية، وعرفنا كيف انتقلت إلى الدرس اللغوي على يد فلاسفة اللغة بجامعة (أكسفورد)، وهم: (جون أوستين، وجون سيرل، وبول غرايس)، وما يفهم من هذه النظرية هو دراسة اللغة أثناء الاستعمال، أي في صورتها الناطقة، لتحقيق التواصل الفعلي، أو التبليغ، وتداولية اللغة هي تبادل الأفكار والمعلومات، وطرح القضايا الهامة للنقاش، وتوظيفها في المجال التربوي يحقق قفزة نوعية لاعتمادها على مبدأ التعلم بواسطة العمل.

وقد وظف المبلِّغ عدة وسائل لفظية وغير لفظية لتبليغ الرسالة التربوية إلى المتلقين، ووقفنا على نماذجها النابضة بالحياة، وأدركنا مفعولها في النفوس، فلانت لها كل الأحاسيس، واحتضنتها برغبة المتعطش لمعانقة الخلد، ورغم ندرة وسائل الإيضاح في بادية مقفرة، إلا أن المبلغ استغل كل ما كان متوفرا في حينه لتقريب الصورة للمتلقين، وأشرنا إلى أساليب التبليغ اللفظي؛ منه: التكرار، حيث تفرد بخاصيته الملحة في التلقين، وعلى إثره رسخت المعلومات في الأذهان وعلقت المعتقدات بالنفوس.

كذلك نجد في الحوار الوسيلة الفعالة في التبليغ، فبفضله حدث التقارب الحسي والمعنوي، وظفه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في عدة مواقف، وجعله الأسلوب الأمثل لتوجيه الناس وإرشادهم، وللحوار غرض تعليمي، فعن طريقه اتضحت الأمور وزال الغموض، كما كان وسيلة موصلة للإقناع، جعلت المخطئ يترك السلوك السلبي ويرغب في الاستقامة، وفي ضرب المثل تجليات وجماليات، هدفه تربوي خالص فيه تقريب الأشياء غير المنظورة إلى أشياء محسوسة، واستخدمت الأمثال بطريقة مؤثرة وبليغة، تمكنت من توصيل الفكرة بأقصر الطرق.

ورأينا في التبليغ غير اللفظي أبلغ صورة ناطقة، لا يمكن إغفال ما لهذه اللغة من تأثير فعال في إدراك الرسالة، فوظف المبلغ كل حواسه؛ من أجل توصيل المعنى إلى

المخاطبين، كما استعان بالرسومات التوضيحية في العديد من المرات، خدمة للعملية التربوية والتعليمية.

وقد كان لهيئة الرأس وملامح الوجه، ونظرات العينين، وحركة اليدين والرجلين دلالات تربوية وتعليمية، وقد رأينا كيف فهم المتلقون معانيها، واهتدوا بهديها.

وتمثل هذه الوسائل مرجعية عليا في التربية والتعليم، فضلاً عن كونها مرجعيةً رئيسة في الأحكام والعقائد، ولهذا فلا بد أن تشتمل السنة على ما يخدم هذه الغاية ونقصد بذلك اشتمالها على أساليب تحقق التربية وتثري التعليم، وتضع القواعد، وترسم المعالم للمشتغلين في هذا السبيل.

وفي الإجراءات التداولية، استثمرنا عناصرها التي تخدم العملية التربوية كالمعينات، ومتضمنات القول، والاستلزام الحواري، والحجاج، والأفعال الكلامية.

وعلى إثره توصلنا إلى أن المعينات في إطار المتواليات الكلامية في الجملة اشتملت على الضمائر، وأسماء الإشارة، وأسماء الموصول، وأسماء المكان والزمان وعرفنا أن المدلول التداولي للمعينات لم يتحقق إلا في سياق الخطاب، حيث تحققت فاعليتها التواصلية بحضورها في كل متوالية.

وفي متضمنات القول اكتسي الخطاب التربوي بعدا تداوليا شفافا، يدركه المتبصر من ظاهر اللفظ المرموز لاعتبارات عديدة؛ مؤداها معتقدات مجتمع ما، تقيده أنظمة وقوانين مجحفة، أو عادات وتقاليد قاهرة.

ومن عناصر التضمين: الافتراض المسبق، والقول المضمر.

فالافتراض المسبق هو الخلفية التي انطلق منها المربي، أو المبلغ لتقديم معلومات جديدة للمتلقي، ولا يتحقق النجاح إلا به، وانعدامه إخفاق للعمل التربوي.

القول المضمر عنصر أساس في الفعل التربوي، لجأ إليه المبلغ أو المربي قصد إصلاح سلوك، أو تقديم نصيحة مكتفيا بالتلميح دون التصريح، وقد استخدمه النبي . صلى الله عليه وسلم . في مواقف شتى، واستنادا لخلقه الرفيع أنه لم يعنف أو يوبخ شخصا بعينه، فكانت توجيهاته التربوية عامة، حيث سلك في تعبيره قوله:

(أيها الناس)أو (ما بال أقوام)، وهذا منهج المربين في التبليغ.

و الاستلزام الحواري من عناصر الدرس التداولي، حيث استقطب اهتمام العديد من اللسانيين، لما له من دور أساس في إنجاح التواصل بين المتحاورين، فحددوا له شروطا، وأطَّروه في قواعد، وقنّنوا له ضوابط معينة، من خلالها يحكمون على الخطاب إن كان موفقا أم لا، كما أشار فلاسفة اللغة إلى ذلك، وفي مقدمتهم:

(بول غرايس).

وقد رأينا أثر ذلك في عدة نماذج من الخطابات التربوية، وكيف حققت لغة المبلغ تلك القواعد بدقة، . ألا وإن لها السبق عليها . فكل المبادئ التي حددها (غرايس) موجودة في الخطاب النبوي؛ من صدق، وإخلاص، وكم، وكيفية، وملاءمة، وغيرها.

وتجلى ملمح الحجاج في الخطاب التربوي فقدم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتائج معينة، وشكل أحد عناصر الدرس التداولي، وساعد على فهم المقصدية التبليغية، وسعى إلى التأثير في المتلقي قصد إقناعه، وتحقق الإقناع بوسائل لغوية، وأخرى منطقية حددنا معالمها في الخطاب التربوي في صحيح البخاري، حيث ارتكزت على التأكيد بنوعيه؛ اللفظي، والمعنوي، والتكرار.

أما الفعل الكلامي الذي عَدُّوه نواة اللسانيات التداولية، باعتباره قوة فاعلة في الواقع ومؤثرة فيه، كما عدّه فلاسفة اللغة الوحدة اللغوية الصغرى للتبليغ، وقد وضحوا أن وظيفة اللغة لا ترتكز على الإخبار فحسب، إنما هي أداة إجرائية إنجازية، فالمتلفظ بالقول ينجز أفعالا.

وكانت نتائج ذلك ما توصلنا إليه من خلال الخطاب التربوي في صحيح البخاري وقد لاحظنا ذلك أثناء تطبيقنا على الفعل الإنجازي بعض الخطابات فعالجنا أفعالا مختلفة ترتكز على جوانب عديدة منها:

الأفعال الأخلاقية، والمهارية، والفكرية، والنفس . وجدانية، والقيادية، والسلوكية.

وكل هذه الأفعال نتجت عنها المقاصد التربوية التي تضمنها الخطاب.

ومن خصائص لغة الخطاب التربوي في صحيح البخاري، رأينا كيف وُجه الخطاب للمتلقين بلغة سهلة، وواضحة، وبعبارة موجزة، ومركزة، أدت الغرض وحققت الهدف، فجاءت لغة الخطاب فصيحة، وبليغة، لا اضطراب فيها ولا تنافر فهمها القاصي والداني، دلّت على المعنى بصدق، وقد رأينا ذلك في خطاب النبي . صلى الله عليه وسلم . (لسعد)

حيث أمره أن يتخيَّر اللفظة المناسبة للدلالة على الموقف الذي هو فيه، كذلك تخير الألفاظ الملائمة التي استأنستها النفس، والابتعاد عن الألفاظ القبيحة المنفِّرة التي تمجُّها الآذان.

تميزت لغة الخطاب التربوي بتنوعها في مراعاة كل أصناف الناس؛ حسب سنهم وجنسهم، وديانتهم، وتفكيرهم، وسلوكهم، ومنزلتهم الاجتماعية، وتضمنت كل ما ينفع المتلقي في حياته، وبينت له الكيفية الصحيحة في التعامل، لكي لا يضل ولا يشقى.

ويبقى أفضل ما يقال في التربية النبوية، أنها تربية عملية بالدرجة الأولى لا تكتفي بالكلمات، بل تدعو دوما للعمل والتطبيق، فلا علم بلا عمل، ولا نصيحة بغير قدوة ولا تصوُّر بغير تنفيذ، إنها تربية تتحول بها الكلمة إلى عمل بنّاء أو إلى خلق فاضل أو إلى تعديل في السلوك نحو الأصلح.

قائمة المصادر والمراجع

۞ **القرآن الكريم (رواية ورش عن نافع)**

المصادر والمراجع

أولا . المصادر

1 . ابن الأثير(ضياء الدين تـ 627ه)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر تحقيق: كامل محمد، محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م.

2 . الآمدي(سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد تـ631ه)، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 2003م.

3 . إميل بديع يعقوب، موسوعة أمثال العرب، دار الجيل، بيروت، ط1، 1995م.

4 . البخاري(أبو الطيب حسين الفنوجي)، عون الباري لحل أدلة البخاري، دار الرشيد، حلب، سوريا، (د ط)، (د ت).

5 . البخاري، (أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي تـ 256 ه)،صحيح البخاري، دار الهدى للطباعة والنشر عين مليلة، الجزائر، ط 1، 1992م.

6 . ابن بطال(أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك تـ 449 ه)، شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دارالنشر: مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط2، 2003م.

7 . البيضاوي(ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي تـ 685ه)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد صبحي حلاق ومحمود أحمد الأطرش، دار الرشيد، دمشق، ط1، 2000م.

8 . التهانوي(محمد بن علي الهندي تـ 1158ه)، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق: لطفي عبد البديع، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1972م.

9 . ابن تيمية(أحمد بن عبد الحليم تـ 728ه)، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن القاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ط1، 2004م.

10 . الجاحظ(أبو عثمان عمرو بن بحر بحر تـ 255ه)، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط7، 1998م.

11 . " " " الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط 2، 1965م.

12 . الجرجاني(أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي تـ 471ه)، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، ط3، 1992م.

13 . ابن جني(أبو الفتح عثمان تـ 392ه)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، مصر،1956م.

14 . ابن حجر العسقلاني(شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن محمد تـ 852ه)، هدي الساري، مقدمة فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد القادر شيبة أحمد، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، الرياض، ط1، 2001م.

15 . الخطيب البغدادي (الحافظ أبو بكر أحمد بن علي تـ 463ه)، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت).

16 . الذهبي (الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد تـ 748ه)، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1، 1998م.

17 . الرازي،(فخرالدين محمد بن عمر بن الحسين تـ 606ه)، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط1، 1999م.

18 . الرازي، المحصول في علم أصول الفقه، تحقيق: طه جابر العلواني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1992م.

19 . الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد تـ 502ه)، مفردات القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1412ه.

20 . ابن رجب الحنبلي(زين الدين أبو الفرج تـ 795ه)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد بن شعبان بن عبد المقصود، وآخرون، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، السعودية، ط1، 1996م.

21 . ابن رشيق (أبو علي الحسن القيرواني الأزدي تـ 390ه)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط5، 1981م.

22 . الزمخشري(أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد تـ 538ه)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2009م.

23 . ابن سنان الخفاجي(محمد بن عبد الله بن محمد بن سعيد تـ 466ه)، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1982م.

24 . السيوطي(جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين تـ 911ه)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، دار إحياء الكتب العربية

25 . الطبري(أبو جعفر محمد بن جرير ت 310ه)، مختصر تفسير الطبري، أبو يحيى التجيبي، مراجعة: مروان سوار، دار الفجر الإسلامي، دمشق، ط6، 1998م.

26 . الطّريحي (فخر الدين بن الشيخ محمد علي تـ 1085ه) ، مجمع البحرين ومطلع النيرين، تحقيق السيد أحمد الحسيني، مركز الإشعاع الإسلامي،(دط)، (دت).

27 . ابن عاشور(طاهر)، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ط1، 1984م.

28 . العيني(بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد تـ 855ه)، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، ضبطه وصححه: عبد الله محمود بن محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001م.

29 . الغزالي(محمد بن محمد الطوسي أبوحامد تـ 505ه)، المستصفى من علم الأصول، تحقيق: حمزة بن زهير حافظ، شركة المدينة المنورة للطباعة، (دط)، (دت).

30 . ابن فارس(أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا تـ 395ه)، الصاحبي في فقه اللغة العربية، تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997م.

31 . القرطبي(أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري شمس الدين ت 671ه)، الجامع لأحكام القرآن، صححه: هشام سمير البخاري، دار الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط2، 2003م.

32 . ابن قيم الجوزية(أبو عبد الله بن أبي بكر بن أيوب ت 751 ه)، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق: نايف بن أحمد الحمد، دار علم الفوائد، جدة، (دط)، (دت).

33 . ابن كثير(أبو الفداء إسماعيل بن عمر تـ 774ه)، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1990م.

34 . الكشميري (محمد أنور)، فيض الباري على صحيح البخاري، تحقيق: محمد بدر عالم الميرتهي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2005م.

35 . الكفوي(أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني تـ 1094ه)،الكليات، معجم المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة بيروت، ط1، 1992م.

36 . الإمام مسلم(أبو الحسن مسلم الحجاج النيسابوري، تـ 261ه)،صحيح مسلم المسمى المسند الصحيح المختصر من السنن، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 2006م.

37 . النووي(محيي الدين أبو زكريا بن شرف النووي تـ 676ه)، صحيح مسلم بشرح النووي، مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1994م.

38 . " " شرح رياض الصالحين، من كلام سيد المرسلين، شرحه: محمد بن صالح العثيمين وآخرون، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ط 1، 2004م.

ثانيا . المراجع باللغة العربية

1 . ابراهيم (عبدالله)، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1999م.

2 . أدراوي (العياشي)، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011م.

3 . استيتية (سمير شريف)، اللغة وسيكولوجية الخطاب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2002م.

4 . بحيري (سعيد)، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2005م.

5 . بلخير (عمر)، تحليل الخطاب المسرحي، في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط1، 2003م.

6 . بوجادي (خليفة)، في اللسانيات التداولية، بيت الحكمة، للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط1، 2009م.

7 . التميمي (عز الدين) و بدر إسماعيل سمرين، نظرات في التربية الإسلامية، دار البشير عمان، ط1، 1985م.

8 . جحفة (عبد المجيد)، مدخل إلى الدلالة الحديثة ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ط1 ،2000م.

9 . ابن جماعة (محمود)، نصوص في الانسان والعمران، والفلسفة من مقدمة ابن خلدون، دار محمد للنشر، صفاقس، تونس ط1، 2006م.

10 . الحايك (عطا الله بن قسيم) ، قبسات من التأديب التربوي عند المسلمين، دار هجر للنشر والتوزيع، أبها،ط1، 2001م

11 . حسن (عباس)، النحو الوافي، دار المعارف بمصر، ط3، 1966م.

12 . ابن حسين (عبد الله)، الحوار في الإسلام، مركز الكون، مكة المكرمة، ط1، 2006م.

13 . حماد (حسن) ، بحثا عن المعنى والسعادة واليوتوبيا، مكتبة دار الكلمة،القاهرة، مصر، ط1، 2007م.

14 . الحميري (عبد الواسع)، الخطاب والنص "المفهوم والعلاقة والسلطة"، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط1، 2008م.

15 . الخشاب (أحمد) ، الاجتماع التربوي والإرشاد الاجتماعي، مكتبة القاهرة الحديثة، ط1، 1971م.

16 . خضر (السيد علي)، الحوار في السيرة النبوية، الهيئة العالمية للتعريف بالرسول ونصرته، الرياض، ط1، 2010م.

17 . خليل (إبراهيم)، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2007م.

18 . الرافعي (مصطفى صادق)، تاريخ آداب العرب، ج2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط5، 1999م.

19 . الرحيلي (عبد الله بن ضيف الله)، قواعد ومنطلقات في أصول الحوار ورد الشبهات، دار المسام، الرياض، ط1، 1994م.

20 . الزنتاني (عبد الحميد الصيد) ، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط2، 1993م.

21 . زهران (حامد عبد السلام)، علم النفس الاجتماعي، عالم الكتب ، القاهرة، ط 4، 1977م.

22 . الزيات (أحمد حسن)، دفاع عن البلاغة، عالم الكتب، ط2، 1963م.

23 . " " وحي الرسالة، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، ط7، 1962م.

24 . السد (نور الدين) ، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث، تحليل الخطاب الشعري والسردي ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1997م.

25 . سويد (محمد نور بن عبد الحفيظ)، منهج التربية النبوية للطفل، مع نماذج تطبيقية من حياة السلف الصالح، دار ابن كثير للنشر والتوزيع، دمشق، ط3، 2000م.

26 . السيد (عز الدين علي)، التكرير بين المثير والتأثير، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1986م.

27 . السيساوي (يوسف) ، الإشاريات: مقاربة تداولية، كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة، حافظ اساعيل علوي، عالم الكتب الحديث،اربد، الأردن، ط1، 2011م.

28 . شحرور (محمد)، الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، سورية، ط7، 1994م.

29 . شرشار (عبد القادر)، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، 2006م.

30 . الشهري (عبد الهادي بن ظافر): استراتيجيات الخطاب– مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، طرابلس، 2004م.

31 . الصباغ (محمد) ، التصوير الفني في الحديث النبوي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988م

32 . الصدوقي (محمد) ، المفيد في التربية، انفو برانت، فاس، المغرب، ط2، 2006م.

33 . العبد (محمد)، العبارة والإشارة، دراسة في نظرية الاتصال، مكتبة الآداب، القاهرة،ط2، 2007م.

34 . عبد الرحمن(طه)، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998م.

35 . عبد الله إبراهيم، وآخرون، معرفة الآخر، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 1996م.

36 . العدناني (محمد)، معجم الأخطاء الشائعة، مكتبة لبنان، بيروت، ط 2، 1980م، مادة(خطب).

37 . عرار (مهدي أسعد) ، البيان بلا لسان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2007م.

38 . عرقسوسي (محمد خير) ، محاضرات في الأصول الإسلامية للتربية، المبادئ العليا، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1419هـ.

39 . عريب محمد عيد، الخطاب النبوي خريطة البيان العربي، دراسة في اللسانيات النفسية والاجتماعية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2015م.

40 . العزاوي (أبو بكر)، اللغة والحجاج، مطبعة الأحمدية، الدار البيضاء، ط1، 2006م.

41 . عصفور(جابر) : آفاق العصر ، مهرجان القراءة للجميع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1997م.

42 . " " عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو، دار الآفاق العربية، بغداد، ط1، 1985م.

43 . عكاشة(محمود)، لغة الخطاب السياسي، دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظري الاتصال، دار التشر للجامعات، مصر، ط1، 2005م.

44 . أبوعياش (نضال) ، الاتصال الإنساني من النظري إلى التطبيق، كلية فلسطين التقنية، العروب، الخليل، ط1، 2005م.

45 . الغامدي (عبد الرحمان بن حجر) ، مدخل إلى التربية الإسلامية، دار الخريجي للنشر والتوزيع، الرياض، 1418هـ.

46 . غبار (مليكة) ، أحمد مزيل وآخرون، الحجاج في درس الفلسفة، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2006م.

47 . فارس (أحمد محمد)، النداء في اللغة والقرآن، دار الفكر اللبناني، ط1، 1989م.

48 . فضل (صلاح)، بلاغة الخطاب وعلم النص، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، عدد 164، 1992م.

49 . فوزي نورية صالح، الخطاب المسرحي في النقد الأدبي في الخليج العربي، مجلة فصول، مج 16، عدد 3، 1997م.

50 . فيود (بسيوني عبد الفتاح)، علم البديع، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1998م.

51 . كشاش (محمد) ، اللغة والحواس، رؤية في التواصل والتعبير بالعلامات غير اللسانية، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2001م.

52 . الكليني (محمد بن يعقوب) ، أصول الكافي، منشورات الفجر، بيروت، لبنان، ط1، 2007م.

53 . لاشين (موسى شاهين) ، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2002م.

54 . الماشطة مجيد ، شظايا لسانية، مطبعة السلام، البصرة، العراق، ط1، 2007م.

55 . المتوكل(أحمد)، الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، الدار العربية للعلوم ناشرون، الرباط، المغرب، ط1، 2010م.

56 . محمد محمد يونس علي، علم الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004م.

57 . " " مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت،ط1، 2004م.

58 . المسدي (عبد السلام)، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط1، 1997م.

59 . المصري (ابن أبي الأصبع) =، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق: حفني محمد الشريف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية الجمهورية العربية المتحدة ط1، 1963م.

60 . مقبول(إدريس)، الأسس الابستمولوجية والتداولية، للنظر النحوي عند سيبويه، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2007م.

61 . محمد مكسي، الدليل البيداعوجي . مفاهيم، مقاربات، منشورات صدى التضامن، الدار البيضاء، ط1، 2003م.

62 . الملائكة (نازك) ، قضايا الشعر المعاصر، مكتبة النهضة، بغداد، ط3، 1967م.

63 . ابن الناظم (أبو عبد الله بدر الدين محمد)، شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000م.

64 . النحلاوي (عبد الرحمن)، أصول التربية الإسلامية وأساليبها البيت والأسرة والمجتمع، دار الفكر، دمشق،ط3، 2004م.

65 . النحلاوي (عبد الرحمن)، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، دمشق، ط1، 1979م.

66 . نعيمة (محمد متولي)، القيمة الاقتصادية للتعليم في الوطن العربي، الوضع الراهن واحتمالات المستقبل، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1996 م.

67 . نهر (هادي) ، النحو التطبيقي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2008م.

68 . الهاشمي (عبد الحميد)، الرسول العربي المربي، دار الثقافة للجميع، دمشق، ط1، 1981م.

69 . وطفة(علي)، علم الاجتماع التربوي، وقضايا الحياة التربوية المعاصرة، مكتبة الفلاح، الكويت، ط2، 1998م.

70 . ياقوت (محمود سليمان)، علم الجمال اللغوي، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ط1، 1995م.

71 . يقطين(سعيد)، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1989م.

ثالثا: المراجع المترجمة

1 . أرمينكو (فرانسواز)، المقاربة التداولية، ترجمة د.سعيد علوش، مركز الانتماء القومي، بيروت،الطبعة الأولى 1986م.

2 . أوستين(جون)، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، ط1، 1991م.

3 . باختين (مخائيل)، شعرية ديستويفسكي، ترجمة: نصيف التكريتي، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1986م.

4 . براون (ج. ب)، وج. بول، تحليل الخطاب، ترجمة: محمد لطفي الزليطي، ومنير التريكي، جامعة سعود، الرياض، ط1، 1997م.

5 . دلاش (جيلالي) ، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1992م.

6 . دليمز (سوزان دفيس)، أسرار لغة الجسد، تعريب مركز دافينشي للترجمة، إبداع للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2007م.

7 . ديك (فان)، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2000م.

8 . روبول (آن) ، جاك موشلار ، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس و محمد الشيباني، دارالطليعة للطباعة والنشر بيروت لبنان ، ط1 ، 2003م.

9 . روبول (أوليفيي)، فلسفة التربية، ترجمة: عبد الكريم معروفي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1994م

10 . " " لغة التربية تحليل الخطاب البيداغوجي، ترجمة: عمر أوكان، أفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2002م.

11 . زتسيسلاف واورزنياك، مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص، ترجمة: سعيد بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2003 م.

12 . سيرفوني (جان)، الملفوظية، ترجمة: قاسم مقداد، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، ط1، 1998م.

13 . فوكو (ميشال)، ، نظام الخطاب، ترجمة: محمد سبيلا، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2007م.

14 . فوكو (ميشال)، نظام الخطاب وإرادة المعرفة، ترجمة: أحمد السطائي وعبد السلام بنعبد العالي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ط1، 1985م.

15 . هارت (مايكل)، الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ترجمة: أنيس منصور، المكتب المصري، إنتاج جدران المعرفة للنشر الالكتروني المجاني.

رابعا: الرسائل الجامعية

1 . جليل وادي حمود، الخطاب الإعلامي وإدارة الأزمة السياسية (1991 – 1998)، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الإعلام 2000 م.

2 . العليوي (يوسف بن محمد) ، رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين رسالة دكتوراه مخطوطة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية العام الجامعي، 1428 . 1429 هـ.

خامسا: المجلات والدوريات والمؤتمرات

1 . بدر الدين (أميمة)، التكرار في الحديث النبوي الشريف، مجلة جامعة دمشق المجلد 26، العدد الأول + الثاني، 2010م.

2 . برهومة (عيسى عودة) ، تمثلات اللغة في الخطاب السياسي، مجلة عالم الفكر عدد1، مج 36، 2007م.

3 . بشير إبرير، مفهوم التبليغ وبعض تجلياته التربوية في التراث اللساني العربي، مجلة التراث العربي، اتحاد كتاب العرب، دمشق، العدد: 90، يونيو 2003م.

4 . بغورة (الزاوي)، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو ، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، 2000 م.

5 . بغورة (الزاوي)، منهج في تحليل الخطاب، مجلة إبداع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ابريل . مايو 2000م.

6 . حجازي (عبد الرحمن) مفهوم الخطاب في النظرية النقدية المعاصرة، مجلة علامات في النقد، جدة: النادي الأدبي الثقافي، ، مجلد 15، الجزء 57، رجب 1426هـ.

7 . أبو دف (محمود خليل)، جودة الخطاب التربوي في السنة النبوية، دراسة تحليلية، بحث مقدم لمؤتمر المعلم الفلسطيني، جامعة الأقصى، غزة، كلية التربية، منعقد من 28 إلى 29 جانفي 2008م.

8 . السالم (عبد الكري، أهمية لغة الجسم في الاتصال مع الآخرين، مجلة الإدارة المجلد 33، العددان (3،4)، القاهرة، 2001م.

9 . شريف (محمد)، أساليب الاتصال غير اللفظي، (في السنة النبوية المطهرة)، مجلة تفكر، عن معهد إسلام المعرفة (إمام)، السودان، مجلد 8، العدد1، 2007م.

10 . صفار (محمد)، تحليل الخطاب وإشكالية نقل المفاهيم، رؤية مقترحة، مجلة النهضة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، القاهرة، مج6، ع4، 2005م.

11 . صلاح الدين محمد توفيق، وآخرون، اتجاهات الخطاب التربوي في مجلة كلية التربية ببنها "دراسة في سياق بناء وإنتاج المعرفة التربوية، مجلة كلية التربية بنها، مصر، المجلد 17، العدد: 71، يوليو 2007م.

12 . ابن طالب (عثمان)، البراغماتية وعلم التراكيب، الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات، الجامعة التونسية، تونس، 1980م.

13 . عبد الرحمن (طه)، البحث اللساني والسيميائ، ندوة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، جامعة محمد الخامس، 1980م.

14 . عبود (عبد الغني) ، طبيعة الخطاب التربوي السائد ومشكلاته، إسلامية المعرفة، بيروت، لبنان، 2002م، العدد: .29

15 . نزال (فوز سهيل)، التكرار في طائفة من أحاديث الرسول . صلى الله عليه وسلم . المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد السابع، العدد(1/أ)، 2011م.

16 . وطفة (علي أسعد)، إشكالية الإصلاح التربوي في الوطن العربي، تحديات وتطلعات مستقبلية، مجلة الطفولة العربية، الكويت، مج 2، العدد 6، 2001م.

سادسا: المعاجم والقواميس

1 . الجوهري(إسماعيل بن حماد)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1990م.

2 . الزبيدي،(محب الدين أبو فيض السيد محمد مرتضى الحسين الواسطي)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق : علي هلالي، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 2004م.

3 . ابن سيده(أبو الحسن علي إسماعيل بن سيده المرسي)، المحكم والمحيط الأعظم تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط 1، 2000م.

4 . ضيف (شوقي)، وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط 4 ، 2004م.

5 . ابن فارس(أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا)،معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط 1، 1979م.

6 . الفيروز آبادي(مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب ت 817 هـ)، القاموس المحيط، ضبط وتحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، لبنان 1995م.

7 . ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، لسان العرب، المجلد الأول مادة (خطب) دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 2، 1997م.

ثامنا: المراجع باللغة الفرنسية

1 - Adam(J.M) ,Les textes : types et protoypes Paris, Nathan, 1997.
2 - Benveniste (Émile), Problèmes de linguistique générale,Editions Gallimard, Paris,1966.
3 - Breton (Philippe) : L'argumentation dans la communication, Edition du CASBAH, Alger, , Janvier 1998.
4 - Reboul (Olivier), Qu'est ce qu'apprendre, PUF, Paris, 1980.

تاسعا: المواقع الالكترونية

1 . بلخير (عمر)، الخطاب وبعض مناهج تحليله، مدونة على الشبكة العنكبوتية. omarbelkheir.wordpress.com

2 . مركز نون للتأليف والترجمة، التبليغ الديني، مفهومه، مضمونه، أساليبه، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، بيروت، لبنان، ط1،2011م، ص 22. الإخراج الالكتروني: http://www.almaaref.org

3 . محمد عصمت بكر، الفرق بين الدعوة والتبليغ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مجلة النبأ الالكترونية، العدد 35، السنة الخامسة، ربيع الثاني، 1420هـ. http://annabaa.org/nba35/tableeg.htm

4 . عقبات في طريق التبليغ الإسلامي المعاصر، (لا مؤلف)، الموقع الالكتروني: دار الولاية للثقافة والإعلام، 22 /2007/10، 16.22.54 http://www.alwelaya.net

5 . الموقع الالكتروني: البوابة الدينية، محمد راتب النابلسي، حكمة نبينا. http://www.islam.ahram.org.eg

6 . الموقع الالكتروني: ساعة علم. http:// www.science_hour.com

7 . الموقع الالكتروني: وسيط الخير، فضل كفالة اليتيم. http:// www.wasitalkhir.org

8 . الموقع الالكتروني، منبر التربية، علي عبده علي الألمعي، مفهوم التربية في الإسلام. http://www.minbr.com

9 . موقع الدكتور طارق عبد الحليم، ماذا قال المستشرقون غير المسلمين في محمد . صلى الله عليه وسلم . يوم 13 ماس 2008م. http://www/tariqabdelhaleem.net

10 . موقع الشيرازي، أهميةالتبليغ، الموقع الالكتروني: http://www.alshirazi.com

مـلحـق

ملحق: 1 ـ فهرس الأحاديث النبوية

ملحق: 2 ـ ملخص البحث باللغة العربية

ـ ملخص البحث باللغة الأجنبية

ملحق: 1

فهرس الأحاديث النبوية*

الحديث	الصفحة
كتاب بدء الوحي	
. "مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ: سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ".	ص 194
كتاب الإيمان	
. عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ، قَالَ: "مَنْ هَذِهِ". قَالَتْ: فُلاَنَةُ، تَذْكُرُ مِنْ صَلاَتِهَا، قَالَ: "مَهْ، عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَوَاللَّهِ لاَ يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا". وَكَانَ أَحَبُّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَامَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ".	ص 72
. "لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ".	ص 115_130 161- 214
. قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلاَمِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلاً، فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ	ص 120

* . رتبت حسب الكتب كما وردت في صحيح البخاري (المدونة).

فَأَعِينُوهُمْ.	
. عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الإِسْلاَمِ أَفْضَلُ؟ قَالَ :"مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ".	ص 141
. "إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ".	ص 146
. "يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَلَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً".	ص 148
. "الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ".	
<u>كتاب العلم</u>	ص 177
. "عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاَثًا حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلاَثًا".	ص 60 و 180
. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَهِيَ مَثَلُ الْمُسْلِمِ، حَدِّثُونِي مَا هِيَ ". فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَادِيَةِ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَاسْتَحْيَيْتُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه، أَخْبِرْنَا بِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "هِيَ النَّخْلَةُ". قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَحَدَّثْتُ أَبِي بِمَا وَقَعَ فِي نَفْسِي، فَقَالَ: لأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي كَذَا وَكَذَا.	ص 74

. عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْقِتَالُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَإِنَّ أَحَدَنَا يُقَاتِلُ غَضَبًا، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً. فَرَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ، قَالَ: وَمَا رَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ قَائِمًا، فَقَالَ: "مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ".	ص 91
. عَنْ سَالِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يُقْبَضُ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرُ الْجَهْلُ وَالْفِتَنُ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ". قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْهَرْجُ؟ فَقَالَ: هَكَذَا بِيَدِهِ، فَحَرَّفَهَا، كَأَنَّهُ يُرِيدُ الْقَتْلَ.	ص 98
. عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ أَكَادُ أُدْرِكُ الصَّلاَةَ مِمَّا يُطَوِّلُ بِنَا فُلاَنٌ، فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْ يَوْمِئِذٍ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ مُنَفِّرُونَ، فَمَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ".	ص 136
. "عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: ضَمَّنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: "اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْكِتَابَ".	
. "فعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ، كَرَاهَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا".	ص173 و184
. "حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ".	ص 169و197
. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَقَدْ ظَنَنْتُ . يَا أَبَا هُرَيْرَةَ . أَنْ لاَ يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ	ص 186

حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ".	ص 193-194
. عن ابن عباس: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ أَتَوُا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: "مَنِ الْوَفْدُ- أَوْ مَنِ الْقَوْمُ". قَالُوا: رَبِيعَةُ. فَقَالَ: "مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ أَوْ بِالْوَفْدِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ نَدَامَى".	
. حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُعَاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ قَالَ :"يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ". قَالَ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: "يَا مُعَاذُ".قَالَ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. ثَلاَث.	ص 197
مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلاَّ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ...	ص 122
كتاب مواقيت الصلاة	
. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ، يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ: ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِه". قَالُوا: لاَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا، قَالَ: "فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهَا الْخَطَايَا".	ص 82 وص 142
. "الَّذِي تَفُوتُهُ صَلاَةُ الْعَصْرِ كَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ".	
كتاب الجماعة والإمامة	ص 127
. عَنْ عَمْرٍو قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَانَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ	

يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ يَرْجِعُ فَيَؤُمُّ قَوْمَهُ، فَصَلَّى الْعِشَاءَ، فَقَرَأَ بِالْبَقَرَةِ، فَانْصَرَفَ الرَّجُلُ، فَكَأَنَّ مُعَاذًا تَنَاوَلَ مِنْهُ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: "فَتَّانٌ فَتَّانٌ فَتَّانٌ". ثَلاَثَ مِرَارٍ، أَوْ قَالَ: "فَاتِنًا فَاتِنًا فَاتِنًا". وَأَمَرَهُ بِسُورَتَيْنِ مِنْ أَوْسَطِ الْمُفَصَّلِ. قَالَ عَمْرٌو: لاَ أَحْفَظُهُمَا".	ص 64
<u>كتاب صفة الصلاة</u> . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَدَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ السَّلاَمَ، فَقَالَ :"ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ". فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ :"ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ". ثَلاَثًا، فَقَالَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، فَمَا أُحْسِنُ غَيْرَهُ، فَعَلِّمْنِي، قَالَ :"إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلاَةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلاَتِكَ كُلِّهَا".	ص70و 125
. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ، عَلَى الْجَبْهَةِ- وَأَشَارَ بِيَدِهِ عَلَى أَنْفِهِ- وَالْيَدَيْنِ، وَالرُّكْبَتَيْنِ، وَأَطْرَافِ الْقَدَمَيْنِ، وَلاَ نَكْفِتَ الثِّيَابَ وَالشَّعَرَ".	
. عَنْ عُقْبَةَ قَالَ: صَلَّيْتُ وَرَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ الْعَصْرَ، فَسَلَّمَ ثُمَّ قَامَ مُسْرِعًا، فَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ، إِلَى بَعْضِ حُجَرِ نِسَائِهِ، فَفَزِعَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَتِهِ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ، فَرَأَى أَنَّهُمْ عَجِبُوا مِنْ	ص 99

سُرْعَتِهِ، فَقَالَ: "ذَكَرْتُ شَيْئًا مِنْ تِبْرٍ عِنْدَنَا، فَكَرِهْتُ أَنْ يَحْبِسَنِي، فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ".	ص 105
. "مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلاَتِهِمْ". فَاشْتَدَّ قَوْلُهُ فِي ذَلِكَ حَتَّى قَالَ :"لَيَنْتَهُنَّ عَنْ ذَلِكَ أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ".	
كتاب الجمعة	
. "إذا رأيتم الليل أقبل من ها هنا، فقد أفطر الصائم". وأشار بإصبعه قبل المشرق.	ص 138
. عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ فَلاَ تَأْتُوهَا تَسْعَوْنَ، وَأْتُوهَا تَمْشُونَ، عَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا	ص102_ 103 ص 112
كتاب تقصير الصلاة	
. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ: أَنَّ عَامِرَ بْنَ رَبِيعَةَ أَخْبَرَهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهْوَ عَلَى الرَّاحِلَةِ يُسَبِّحُ، يُومِئُ بِرَأْسِهِ قِبَلَ أَيِّ وَجْهٍ تَوَجَّهَ، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ ذَلِكَ فِي الصَّلاَةِ الْمَكْتُوبَةِ".	
كتاب العمل في الصلاة	ص 94
. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنْتُ أُسَلِّمُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ فِي الصَّلاَةِ، فَيَرُدُّ عَلَيَّ، فَلَمَّا رَجَعْنَا، سَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ، وَقَالَ: 'إِنَّ فِي الصَّلاَةِ شُغْلاً".	

كتاب الجنائز	ص 178
. "فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقَالَ: "اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي". قَالَتْ إِلَيْكَ عَنِّي، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي، وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَالَ: "إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى".	ص 201
كتاب الزكاة	
. حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ". فَقَالُوا يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: "يَعْمَلُ بِيَدِهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ". قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: "يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ". قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: "فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ".	ص 54 و ص 71 _73
. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ".	ص 96
. "الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، فَالْيَدُ الْعُلْيَا هِيَ الْمُنْفِقَةُ، وَالسُّفْلَى هِيَ السَّائِلَةُ".	

. "عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَضْحًى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَوَعَظَ النَّاسَ وَأَمَرَهُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَقَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ، تَصَدَّقُوا". فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: "يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ".	ص 160
. عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي عَامِرُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَهْطًا وَأَنَا جَالِسٌ فِيهِمْ، قَالَ فَتَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ رَجُلاً لَمْ يُعْطِهِ، وَهُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ، فَقُمْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَارَرْتُهُ، فَقُلْتُ: مَا لَكَ عَنْ فُلاَنٍ، وَاللَّهِ إِنِّي لأَرَاهُ مُؤْمِنًا؟ قَالَ: "أَوْ مُسْلِمًا". قَالَ: فَسَكَتُّ قَلِيلاً، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ فِيهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَكَ عَنْ فُلاَنٍ، وَاللَّهِ إِنِّي لأَرَاهُ مُؤْمِنًا؟ قَالَ: "أَوْ مُسْلِمًا". قَالَ فَسَكَتُّ قَلِيلاً، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ فِيهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَكَ عَنْ فُلاَنٍ، وَاللَّهِ إِنِّي لأَرَاهُ مُؤْمِنًا. قَالَ: "أَوْ مُسْلِمًا". يَعْنِي: فَقَالَ:" إِنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ، وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ، خَشْيَةَ أَنْ يُكَبَّ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ".	ص 196 ص 175
كتاب الحج . قال: "فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا". فَأَعَادَهَا مِرَارًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: "اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ".	
. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ الْفَضْلُ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ، فَجَعَلَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْرِفُ وَجْهَ	ص 75

الْفَضْلِ إِلَى الشِّقِّ الآخَرِ".	
كتاب الصوم	ص 104
. قال: "إِذَا رَأَيْتُمُ اللَّيْلَ أَقْبَلَ مِنْ هَاهُنَا، فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ". وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ قِبَلَ الْمَشْرِقِ.	
. " كُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يُؤَذِّنَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَإِنَّهُ لاَ يُؤَذِّنُ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ.	وص130
كتاب صلاة التراويح	
. مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه	ص 129
كتاب البيوع	
. "مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ- عَلَيْهِ السَّلاَمُ- كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ".	ص 129
. عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنِ ابْتَاعَ طَعَامًا فَلاَ يَبِعْهُ حَتَّى يَسْتَوْفِيَهُ". زَادَ إِسْمَاعِيلُ: "مَنِ ابْتَاعَ طَعَامًا فَلاَ يَبِعْهُ حَتَّى يَقْبِضَهُ	ص 161
كتاب المظالم	ص 217
. "إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ". فَقَالُوا مَا لَنَا بُدٌّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا. قَالَ: "فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجَالِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا".	

قَالُوا وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: "غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلاَمِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ".	
. عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا". وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ".	ص 212
. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا، أَوْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ".	ص 103
. عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا". قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: "تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ".	ص 207
كتاب الشهادات	
. عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ". ثَلاَثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ . وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا، فَقَالَ . أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ". قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ.	ص 183
وَقَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: حَدَّثَنَا الْجُرَيْرِيُّ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ".	
. عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلاً يُثْنِي عَلَى رَجُلٍ، وَيُطْرِيهِ فِي مَدْحِهِ فَقَالَ: "أَهْلَكْتُمْ- أَوْ قَطَعْتُمْ- ظَهْرَ الرَّجُلِ".	ص 121

كتاب الجهاد	
. "لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ، خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا".	ص 208
. "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّه، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهَا أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ . أُرَاهُ . فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ".	
كتاب فضائل الصحابة	ص 165
. "عَنِ الْحَسَنِ: سَمِعَ أَبَا بَكْرَةَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَالْحَسَنُ إِلَى جَنْبِهِ، يَنْظُرُ إِلَى النَّاسِ مَرَّةً وَإِلَيْهِ مَرَّةً، وَيَقُولُ: "ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ".	ص 166
كتاب الأنبياء	
. عن عبد الله بن عمرو: أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «بلّغوا عنّي ولو آية، وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمّدا فليتبوّأ مقعدة من النّار".	ص 193
. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: "أَتْقَاهُمْ لِلَّهِ". قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: "فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ". قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: "فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونَنِي؟ النَّاسُ مَعَادِنُ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلاَمِ، إِذَا فَقِهُوا".	ص 42 -43

كتاب المغازي	
. قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهْوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: "أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ". قَالَ: قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: "لاَ، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ". وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ".	ص 72
. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: "إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْكُمْ صَدَقَةً، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ، فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ.	ص 91
. عن غزوة تبوك، قال: "فَجِئْتُهُ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ: "تَعَالَ". فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ.	ص 112
. عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الإِيمَانُ هَا هُنَا". وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْيَمَنِ".	
. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ قَالَ: لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ، قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ يُعْطِ	

الأَنْصَارَ شَيْئًا، فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ: "يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلاَّلاً فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ بِي، وَكنتم عَالَةً، فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ بِي." كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ. قَالَ: "مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ." قَالَ: كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ. قَالَ: "لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ: جِئْتَنَا كَذَا وَكَذَا. أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رِحَالِكُمْ، لَوْلاَ الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا، الأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ."	ص 99 ص 187
. قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهْوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: "أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ". قَالَ: قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: "لاَ، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ". وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ.	
كتاب النكاح . حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ: أَخْبَرَنَا حُمَيْدُ بْنُ أَبِي حُمَيْدٍ الطَّوِيلُ: أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ،	ص 200

وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: "أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي".	ص 177
كتاب الأطعمة	
. عَنْ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ. وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ، لاَ رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ. وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ. وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ".	
. "كُنْتُ غُلاَمًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا غُلاَمُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ". فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ".	ص 83
كتاب الذبائح	
. عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً. وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً".	ص 191
كتاب الأشربة	

. عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْبِتْعِ، فَقَالَ: "كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ فَهُوَ حَرَامٌ".	
. "عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِشَرَابٍ فَشَرِبَ مِنْهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلاَمٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ الأَشْيَاخُ، فَقَالَ لِلْغُلاَمِ: "أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلاَءِ". فَقَالَ الْغُلاَمُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ أُوثِرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَدًا، قَالَ: فَتَلَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَدِهِ".	ص 85
كتاب الطب	
. "هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون".	ص 155
. "لاَ طِيَرَةَ، وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ". قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ".	ص 192
كتاب الأدب	
. عَنْ حَارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ الْخُزَاعِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَاعِفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ. أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ".	
. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو: قَالَ سُفْيَانُ: لَمْ يَرْفَعْهُ الأَعْمَشُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَفَعَهُ حَسَنٌ وَفِطْرٌ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا".	ص 127 ص 163و213

. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: "أُمُّكَ". قَالَ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: "أُمُّكَ". قَالَ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ :"أُمُّكَ". قَالَ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ:"ثُمَّ أَبُوكَ".	ص 52
. حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ: حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ، عَنْ عَامِرٍ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "تَرَى الْمُؤْمِنِينَ: فِي تَرَاحُمِهِمْ، وَتَوَادِّهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى".	ص 65
. "وعن جرير قال: مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلاَ رَآنِي إِلاَّ تَبَسَّمَ فِي وجهي".	ص 71
. حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ :سَمِعْتُ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا". وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى.	ص 79
. "اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ".	
. "تَجِدُ مِنْ شَرِّ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ ذَا الْوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ، وَهَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ".	ص 91
. "لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال".	ص 102

. "لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ".	
	ص 119
. "إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ، وَمَنْعَ وَهَاتِ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ".	ص 124و 131
. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ".	ص 128 ص 135
. "عن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ".	ص 136
	ص 154
. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْصِنِي، قَالَ: "لاَ تَغْضَبْ". فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: "لاَ تَغْضَبْ". . إِنَّ مِنْ أَخْيَرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ خُلُقًا.	
. عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ خَبُثَتْ نَفْسِي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ لَقِسَتْ نَفْسِي".	ص 167
. "لاَ يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ".	
. "إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ	ص 168

لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا. وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا".	ص 168
. فعن "أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: إِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيُخَالِطُنَا، حَتَّى يَقُولَ لأَخٍ لِي صَغِيرٍ: "يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ".	ص 173
. "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لاَ تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ".	ص 192
. عَنْ عَائِشَةَ قالت: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي جَارَيْنِ، فَإِلَى أَيِّهِمَا أُهْدِي؟ قَالَ: "إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكِ بَابًا".	ص 181
. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ".	ص 192
. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا".	ص 196
كتاب الاستئذان	ص 201
. "لا يقيم الرجلُ الرجلَ من مجلسه ثم يجلس فيه".	ص 202
. في رواية جابر . رضي الله عنه . يقول: "أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ	

وَسَلَّمَ فِي دَيْنٍ كَانَ عَلَى أَبِي، فَدَقَقْتُ الْبَابَ، فَقَالَ: "مَنْ ذَا". فَقُلْتُ: أَنَا، فَقَالَ: "أَنَا أَنَا". كَأَنَّهُ كَرِهَهَا.	
. "عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَمَرَنَا النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعٍ: بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، وَنَصْرِ الضَّعِيفِ، وَعَوْنِ الْمَظْلُومِ، وَإِفْشَاءِ السَّلاَمِ، وَإِبْرَارِ الْمُقْسِمِ. وَنَهَى عَنِ الشُّرْبِ فِي الْفِضَّةِ، وَنَهَى عَنْ تَخَتُّمِ الذَّهَبِ، وَعَنْ رُكُوبِ الْمَيَاثِرِ، وَعَنْ لُبْسِ الْحَرِيرِ، وَالدِّيبَاجِ، وَالْقَسِّيِّ، وَالإِسْتَبْرَقِ".	ص 209
كتاب الدعوات	ص 131
. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ".	ص 139
. عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ".	ص 211
. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَسَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسْمًا، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ، فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَغَضِبَ، حَتَّى رَأَيْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ وَقَالَ: "يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى، لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ".	
. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فِي الْجُمُعَةِ سَاعَةٌ، لاَ يُوَافِقُهَا مُسْلِمٌ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ خَيْرًا إِلاَّ أَعْطَاهُ". وَقَالَ بِيَدِهِ، قُلْنَا: يُقَلِّلُهَا، يُزَهِّدُهَا".	ص 66

. "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ".	ص 80
كتاب الرقاق	
. فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الْوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطُطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسَطِ، وَقَالَ: "هَذَا الإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ . أَوْ: قَدْ أَحَاطَ بِهِ . وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الْخُطُطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا".	ص 92
. "إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً، يَرْفَعُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ".	ص 100
. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: "كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ.	ص 164
. مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ لاَ أَدَّخِرْهُ عَنْكُمْ، وَإِنَّهُ مَنْ يَسْتَعِفَّ يُعِفُّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَلَنْ تُعْطَوْا عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ.	ص 107
. "سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْلَمُوا أَنْ لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، وَأَنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ أَدْوَمُهَا إِلَى اللَّهِ، وَإِنْ قَلَّ".	ص 146
. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ".	

. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ". قَالَ كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "إِذَا أُسْنِدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ، فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ".	ص 152
. عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا.	ص 159
كتاب الحدود	
. "عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّتْهُمُ الْمَرْأَةُ الْمَخْزُومِيَّةُ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا مَنْ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلاَّ أُسَامَةُ، حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: "أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ". ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ، قَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا".	ص 162و188 ص 189 ص 205
كتاب الإكراه	
. "انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا". قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ قَالَ: "تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ، فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ".	ص 204
. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ	ص 199

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: "كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ".	
كتاب الأحكام	
. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَلاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه".	ص 143
كتاب التفسير	
. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: "إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُقْرِئَكَ الْقُرْآنَ". قَالَ آللَّهُ سَمَّانِي لَكَ؟ قَالَ: "نَعَمْ". قَالَ: وَقَدْ ذُكِرْتُ عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: "نَعَمْ". فَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ".	ص 152
. "عن أبي هريرة . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . قَال: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْجُمُعَةِ: وآخرين منهم لمّا يلحقوا بهم قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَلَمْ يُرَاجِعْهُ حَتَّى سَأَلَ ثَلَاثًا، وَفِينَا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ، وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ، ثُمَّ قَالَ: "لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا، لَنَالَهُ رِجَالٌ، أَوْ رَجُلٌ، مِنْ هَؤُلَاءِ".	ص 185
كتاب الاعتصام	

. "بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ".	
كتاب التوحيد	
. "لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهْوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَهْوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ".	ص 97
	ص 199
	ص 172
	ص 158

ملحق: 2

ملخص البحث باللغة العربية

يرقى الخطاب التربوي ليكون مناط تحليل ودراسة، وقد استقطب اهتمام الدارسين في شتى المجالات، لما يتميز به من صدق المقصد، وعمق الطرح، ويتصدر الخطاب النبوي الذروة، فهو أكثر الخطابات إقناعا، وتعبيرا عن الحقيقة، وتأثيرا في الناس، استنادا إلى لغته التي فاقت منطق كل البشر.

غير أن الدراسات السابقة لم تكن شاملة لكل جوانبه، لرحابة البحث فيه، وسعة أفق التناول، وعلى هذا كانت الحاجة ملحة لتناول دراسة تقوم على استجلاء لغة الخطاب التربوي وفق مناهج لغوية حديثة، فكان التبليغ والتداول، في عينة من أحاديث "صحيح البخاري"، وبذلك جاء العنوان موسوما بـ :

"لغة الخطاب التربوي في صحيح البخاري بين التبليغ والتداول"

ضمن خطة تفصيلية احتوت مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة.

الفصل الأول: الإطار النظري: مصطلحات ومفاهيم، تحددت فيه المفاهيم والأبعاد لكل من: الخطاب، والتربية، والتبليغ، والتداول، مع التعريف بالمدونة وسبب اختيارها.

الفصل الثاني: وسائل التبليغ في الخطاب التربوي، احتوى أهم الأساليب اللفظية وغير اللفظية في صحيح البخاري.

الفصل الثالث: الأثر التداولي في لغة الخطاب التربوي، وجاء ضمنه أبرز العناصر التداولية، مثل: المعينات، ومتضمنات القول، والاستلزام الحواري، والحجاج، وأفعال الكلام.

الفصل الرابع: خصائص لغة الخطاب التربوي، تضمن المفردة اللغوية واستعمالاتها تربويا اتجاه المتلقين.

خاتمة احتوت نتائج الدراسة وبعض الاقتراحات.

Le résumé de la recherche :

Le discours éducatif progresse pour atteindre la position primordiale d'analyse et d'étude. Il a captivé l'attention des chercheurs dans divers domaines en se caractérisant par l'objectif sincère et l'offre approfondie. Le discours du prophète est mis en position suprême puisqu'il est le plus convaincant des discours, le plus expressif de sincérité et le plus influent sur les personnes en s'appuyant sur sa langue qui a dépassé la logique de tout être humain.

Toutefois, les précédentes études n'étaient pas exhaustives dans tous ses aspects à cause de l'immensité de recherches, ce qui a exigé d'aborder une étude basée sur l'élucidation de la rhétorique par des programmes linguistiques. C'était alors, la transmission et l'échange par un échantillon des Hadith « Sahih El-Boukhari » et dont l'intitulé est le suivant : "Le discours éducatif dans Sahih El-Boukhari entre transmission et échange" , avec un plan détaillé contenant une introduction, quatre chapitres et une conclusion.

Chapitre I : Le cadre théorique : glossaires et définitions, dont on a tracé les définitions et les dimensions du discours, de l'éducation, de la transmission et de l'échange avec la définition du corpus et l'objectif de son choix.

Chapitre II : Les outils transmissifs dans le discours éducatif : a comporté les plus nécessaires outils langagiers et non-langagiers dans Sahih El-Boukhari.

Chapitre III: L'effet transmissif à l'intérieur de la langue du discours éducatif : contient les plus importants éléments transmissifs comme : les déictiques, l'implicite, l'argumentation, l'implication conversationnelle et les actes de parole.

Chapitre IV : Les caractéristiques de la langue du discours éducatif, contient la singularité langagière et son emploi envers les étudiants.

Conclusion : a contenu les résultats de la recherche et quelques suggestions.

فـهرس الموضوعـات

فـهرس الموضوعات

المحتوى الصفحة

مقدمـة.....أ . ز

الفصل الأول: الإطار النظري: مصطلحات ومفاهيم

أولا: الخطاب: مفهومه وأنواعه.

أ . المفهوم اللغوي للخطاب.....10

ب . المفهوم الاصطلاحي للخطاب.....12

ج . تحليل لبخطاب.....19

د . أنواع الخطاب.....21

ثانيا: الخطاب التربوي: مفهومه وخصائصه.

أ . مفهوم الخطاب التربوي.....22

ب . مفهوم التربية.....23

ج . أزمة الخطاب التربوي.....31

د . خصائص الخطاب التربوي.....36

ثالثا: مفـهوم التبـليغ

أ . لغة.....35

ب . اصطلاحا.....37

ج . أبعاد التبليغ التربوية.....38

1 . في القرآن الكريم.....38

2 . في السنة النبوية.....41

3 . في اللسانيات.....44

رابعا: التداولية: مفهومها وخصائصها

أ . مفهوم التداولية.....43

ب . خصائص التداولية.....50

خامسا: التعريف بالمدونة

أ . صحيح البخاري.....52

ب . سبب اختيار المدونة.....54

الفصل الثاني: أساليب التبليغ في الخطاب التربوي

أولا: التبليغ اللفظي.....59

أ . التكرار.....59

ب . الحوار.....66

ج . ضرب المثل.....75

ثانيا: التبليغ غير اللفظي.....84

. أهمية التبليغ غير اللفظي.....85

. أساليب التبليغ غير اللفظي.....86

1 . حركات الجسد.....87

أ . ملامح الوجه.....87

ب . هيئة الرأس.....90

ج . العين ودلالتها.....93

د . اليد ودلالتها.....95

هـ . دلالة المشي.....102

2 . رسوم هندسية وخطوط توضيحية.....104

. التعبير بالرسم.....104

الفصل الثالث: الأثر التداولي في الخطاب التربوي.....114

1 . المعينات.....114

1 . 1 . الضمائر.....115

1 . 2 . أسماء الإشارة.....121
1 . 3 . اسم الموصول.....124
1 . 4 . اسما الزمان والمكان.....125
2 . متضمنات القول.....129
2 . 1 الافتراض المسبق.....130
2 . 2 . القول المضمر.....135
3 . الاستلزام الحواري.....137
4 . الحجاج.....144
أ . الوسائل اللغوية.....145
ب . الوسائل المنطقية.....152
5 . الأفعال الكلامية.....154
5 . 1 . الفعل التداولي الأخلاقي.....155
5 . 2 . الفعل التداولي العملي.....157
5 . 3 . الفعل التداولي النفس– وجداني.....159
5 . 4 . الفعل التداولي القيادي.....162
5 . 5 . الفعل التداولي السلوكي.....164
الفصل الرابع: خصائص لغة الخطاب التربوي في صحيح البخاري
. خصائص لغة الخطاب التربوي.....170
1 . انتقاء المفردة اللغوية.....171
1 . 1 . الصيغة اللغوية.....173
1 . 2 . صيغ النكرة.....175
1 . 3 . القلة الدالة.....176
1 . 4 . وضوح العبارة.....180
1 . 5 . قوة الإقناع.....184
2 . مراعاة أحوال المتعلمين.....186

2 . 1 . سن المتعلم.....188
2 . 2 . مراعاة جنس المتعلم.....193
2 . 3 . مراعاة منزلة المتعلم.....194
2 . 4 . مراعاة المتعلم من حيث الشدة واللين.....195
2 . 5 . مراعاة الحالة النفسية للمتعلم.....196
أ . مراعاته في حالة السرور.....197
ب . مراعاته في حالة الحزن.....197
2 . 6 . مرعاة حق الآخر.....198
2 . 7 . مراعاة الجانب السلوكي للمتعلمين
أ . حفظ الوقت.....201
ب . حفظ الأمانة.....202
ج . التحذير من النفاق.....204
د . نبذ الإطراء.....205
هـ . نبذ التحاسد والتباغض.....206
و . نبذ الإسراف.....208
ز . إعطاء الطريق حقه.....209
ح . نبذ السلبية.....210
الخاتمة.....217
قائمة المصادر والمراجع.....223
ملحق:1 فهرس الأحاديث النبوية..... 239
ملحق:2
أ . ملخص البحث باللغة العربية.....262
ب . ملخص البحث باللغة الأجنبية.....263
فهرس الموضوعات.....266